

اتحاد الجامعات العربية



جمعية كليات الآداب

مجلة اتحاد الجامعات العربية

للآداب والعلوم الإنسانية

مجلة علمية نصف سنوية محكّمة

تصدر عن جمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية

المجلد السادس العدد الثاني 1430هـ/2009م

تنضيد واخراج: مجدي الشناق

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب والعلوم الإنسانية
مجلة علمية نصف سنوية محكّمة

القواعد الناظمة للمجلة

- **مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب والعلوم الإنسانية** مجلة علمية نصف سنوية محكّمة معتمدة تصدر عن جمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية.
- يقدم البحث للنشر باللغة العربية مع ملخص له باللغة الانجليزية، ويجوز أن يقدم بإحدى اللغتين الإنجليزية أو الفرنسية أو أية لغة أجنبية أخرى تتيسر طباعتها بموافقة هيئة التحرير مع تقديم ملخص له باللغة العربية.
- تنشر المجلة البحوث العلمية التي تتوافر فيها الأصالة والمنهجية العلمية والإحاطة والاستقصاء، والتي تراعى فيها الإشارات الدقيقة إلى المصادر والمراجع، ولم تقدم للنشر في أي مكان آخر، ويجوز نشر نقد متخصص أو مراجعة لأحد المؤلفات العلمية الصادرة في الوطن العربي أو خارجه بالإضافة لنشر تقارير عن الندوات والمؤتمرات التخصصية العربية والعالمية، وتعد البحوث التي تقبل للنشر بحوثاً معتمدة لأغراض الترقية.
- تعنى المجلة بنشر البحوث العلمية المقدمة إليها في مجالات الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية والخدمة الاجتماعية والصحافة والإعلام.
- أن يكون البحث مرقوناً على الحاسوب وبمسافة مزدوجة بين السطور، وتقدم أربع نسخ منه مع قرص مرن قياس 3.5 انش، متوافق مع أنظمة (IBM (Ms Word.
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث بما فيها الأشكال والرسوم والجداول والملاحق على ثلاثين صفحة.
- تعرض البحوث المقدمة للنشر في المجلة حال قبولها مبدئيا على محكمين اثنين في الأقل من ذوي الاختصاص، يتم اختيارهما بسرية مطلقة من رئيس التحرير.
- تحتفظ المجلة بحقها في الطلب من المؤلف أن يحذف أو يعيد صياغة بحثه أو أي جزء منه بما يتناسب وسياستها في النشر.
- تنتقل حقوق طبع البحث ونشره إلى المجلة عند إخطار صاحب البحث بقبول بحثه للنشر .
- لا تدفع المجلة مكافأة عن البحوث التي تنشر فيها.
- تهدي المجلة لمؤلف البحث بعد نشره نسخة العدد الذي نشر فيه.

- ترسل البحوث على العنوان التالي: -

الأستاذ الدكتور أمين عام جمعية كليات الآداب،

رئيس تحرير مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب والعلوم الإنسانية

كلية الآداب – جامعة اليرموك، اربد، الأردن

هاتف :00962 2 7211111

فاكس :00962 2 7211137

البريد الإلكتروني: e-mail: saufa@yu.edu.jo

الموقع الإلكتروني:website: http://saufa.yu.edu.jo

التوثيق

ترقم الإحالات في متن البحث بطريقة متسلسلة، بين قوسين صغيرين()

وتكون هوامش الإحالة إلى المصادر والمراجع في نهاية البحث على النحو التالي، في حالة أن يكون المصدر أو المرجع كتاباً:

إسم المؤلف كاملاً: **المصدر أو المرجع**، عدد الأجزاء، مكان النشر،الناشر، السنة، الصفحة.

ضيف، شوقي: **العصر العباسي الأول**، مصر، دار المعارف، 1966، ص 24.

وفي حال الرجوع إلى الدوريات أو المجلات تكون الإحالة إليها على النحو التالي:

إسم المؤلف كاملاً: عنوان البحث، **إسم الدورية أو المجلة**، المجلد، العدد، السنة، الصفحة.

مثال:

سعيدان، أحمد سليم: "حول تعريب العلوم"، **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، المجلد الأول، العدد الثاني، تموز 1978، ص101.

وتثبت في آخر البحث قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث في بحثه حسب التسلسل الألف بائي لاسم المؤلف العائلي، بحيث تذكر المراجع العربية أولاً ثم تليها المراجع الأجنبية.

الاشتراك في المجلة

الاشتراك السنوي للأفراد: ثلاثة دنانير داخل الأردن وسبعة دولارات أمريكية أو ما يعادلها خارج الأردن وللمؤسسات خمسة دنانير داخل الأردن وعشرة دولارات أمريكية أو ما يعادلها خارج الأردن.

محتويات العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد:

تحرص مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب والعلوم الإنسانية منذ إنشائها عام 2001 على تشجيع البحوث العلمية وتلقي البحوث النوعية والدراسات المتفردة في مجالات تتلاحم فيها العلوم والمعارف والتخصصات الاجتماعية والإنسانية والخدمة الاجتماعية والصحافة والإعلام والسياحة والآثار.

وإنني احيي أسرة هيئة تحرير المجلة الذين يتداولون دائمًا في تطوير المجلة من خلال الاهتمام بالبحوث المتفردة والباحثين المتميزين الذين تنشر لهم المجلة أبحاثًا علمية رائدة موضوعًا ومنهجًا، هذا بالإضافة إلى حرصهم الكبير على السمعة العلمية للمجلة لتكون دائمًا نموذجًا ورائدًا بين المجلات العلمية الأخرى محليًا وقطريًا ودوليًا.

فلجميع الباحثين الذين اثروا هذه المجلة بآرائهم وفكرهم الثاقب كل الشكر والتقدير. وإننا دائمًا نتطلع إلى تلقي المزيد من البحوث والدراسات التي تتصف بالمكانة العلمية العالية.

وأود أن أضيف شكري وتقديري إلى جميع المشرفين على هذه المجلة على جهودهم التي بذلت من اجل أن تظهر بهذه الصورة التي نراها متميزة شكلاً وموضوعًا.

والله ولي التوفيق

أ.د. فهمي الغزوي
رئيس التحرير
أمين عام جمعية كليات الآداب للجامعات
للجامعات في اتحاد الجامعات العربية
جامعة اليرموك - الأردن

Subscription Form

Association of Arab Universities Journal for Arts

A Biannual Refereed Academic Journal

Published at Yarmouk University, Irbid, Jordan by the Society of Arab Universities Faculties of Arts, Members of AARU.

قسيمة اشتراك

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب

مجلة علمية نصف سنوية محكّمة

تصدر في جامعة اليرموك، اربد، الأردن، عن جمعية كليات الآداب في الجامعات أعضاء اتحاد الجامعات العربية.

Name: .... :الاسم
Address: .... :العنوان
P.O. Box:.. :ص.ب.
City & Postal Code: .... :المدينة والرمز البريدي
Country: .... :الدولة
Phone:.. :هاتف
Fax: .... :فاكس
E-mail:.. :البريد الإلكتروني
No. of Copies: .... :عدد النسخ
Payment:.. :طريقة الدفع
Signature:.. :التوقيع

ترسل الشيكات المصرفية مدفوعة لصالح "جمعية كليات الآداب، كلية الآداب، جامعة اليرموك، اربد، الأردن."

Cheques should be paid to The Society of Arab Universities Faculties of Arts, Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

I would like to subscribe to the Journal — أرغب الاشتراك بالمجلة
For — لمدة
- One Year — سنة واحدة
- Two Years — سنتان
- Three Years — ثلاث سنوات

أسعار الاشتراك السنوي
One Year Subscription Rates

خارج الأردن Outside Jordan	داخل الأردن Inside Jordan	
7 دولار أمريكي US $ 7	3 دنانير JD 3.00	الأفراد Individuals
10 دولار أمريكي US $ 10	5 دنانير JD 5	المؤسسات Institutions

سعر النسخة الواحدة (دينار أردني)
One Issue Price

Standard Price JD 2.000 — سعر البيع العادي 2.000 ديناران
Students JD 1.300 — سعر البيع للطلبة 1.300 دينار
خصم 40% للمكتبات ومراكز البيع
40% Discount for Bookshops

Correspondence

Subscriptions and Sales:

Secretary General
The Society of Arab Universities Faculties of Arts
Editor – in -Chief
Association of Arab Universities Journal for Arts
Yarmouk University , Irbid , Jordan.
Tel . 00962 2 7211111 Ext. 3555
Fax. 00962 2 7211137

المراسلات

مراسلات البيع والاشتراكات:

الأستاذ الدكتور أمين عام جمعية كليات الآداب.
رئيس تحرير "مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب"
كلية الآداب – جامعة اليرموك، اربد، الأردن.
هاتف: 00962 2 7211111 فرعي 3555
فاكس : 00962 2 7211137

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 6 العدد 2، 2009، ص ص 201- 242

من مشكلات المصطلح النقدي في الدراسات النقدية العربية الحديثة والمعاصرة

منتهى الحراحشة*

ملخص

تناول هذا البحث العديد من مشكلات المصطلح النقدي الأكثر أهمية في الدراسات النقدية العربية الحديثة مثل: تعدد تسميات المصطلح الواحد، واستخدامه للدلالة على عدة مفاهيم، وفقدان الإبداع واعتماد الصنعة، وتابعية النقد الغربي. ويأتي الوقوف على هذه مشكلات لرصد الأسباب وبيانها ومعرفة الأبعاد والامتدادات والنتائج التي يمكن أن تولدها هذه مشكلات في النقد العربي الحديث، ومن ثمَ محاولة اقتراح حلولٍ منهجية لتجاوزها. كما وبيّن البحث أن هذه المشكلات ما هي في النهاية إلا سبب يفضي إلى نتيجة، فغياب كل من الإبداع والابتكار والصناعة والرؤية والفلسفة والمنهج يفضي إلى الغموض والخلط وهامشية الدلالة، ومن ثم يكون الاضطراب في الاستخدام والتداول.

الكلمات الدالة: (النقد العربي، النقد الحديث، المصطلح، المصطلح النقدي)

تقديم:

يثير تعدد مشكلات المصطلح النقدي في الدراسات النقدية الحديثة تساؤلات عديدة تتصل بمفهوم المصطلح، وأهميته، وآليات توحده، وأسباب مشكلاته في الدراسات النقدية، ومدى تأثير النظريات النقدية الغربية فيه، ومن هذه التساؤلات:

- هل يعدّ المصطلح النقدي إشكالية نقدية؟ وهل أدى استقباله جاهزاً من النقد العربي وعدم صناعته إلى اضطراب في استخدامه وتداوله؟
- ما الأسباب التي ولدت مشكلات المصطلح النقدي في الدراسات العربية الحديثة؟
- أين يكمن الخلل والاضطراب الاصطلاحي؟
- أين تكمن أهمية المصطلح النقدي، وهل النقد العربي غير مؤهل لابتكار وصناعة المصطلح النقدي وصناعته؟

* قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن.

إن كلً هذه الأسئلة الجادة قد تفتح أمام النقّاد والدارسين العديد من السبل لإعادة هيكلة المصطلح النقدي العربي وصياغته من جديد.

ولما كان المصطلح النقدي يشكل أهمية واضحة في صياغة النص النقدي، فإن الدراسات النقدية رغم جديتها وريادتها تزدحم بعشرات المصطلحات النقدية التي أفرزها تعامل النقاد والدارسين العرب مع النقد الغربي، مما أحدث ثورة واضحة في عالم المصطلح النقدي، ورفع شعارات "مشكلات المصطلح النقدي".

ونظراً لولادة المصطلح النقدي في سياق ثقافي مغاير، فقد استهدى الباحثون بوسائل عديدة لوضعه مثل: الاشتقاق، والترجمة، والمجاز، والتوليد، والتعريب، فرفدت النصوص بمصطلحات كثيرة وجديدة، مما أدى إلى هيمنتها واضطرابها، وخلط في تداولها واستعمالها، وكل ذلك ولّد العديد من المشكلات في استخدام المصطلح من أكثرها أهمية:

- تعدد تسميات المصطلح النقدي الواحد.
- استخدام المصطلح النقدي الواحد للدلالة على عدة مفاهيم.
- فقدان الإبداع واعتماد الصنعة.
- ضبابية منبع المصطلح النقدي.
- تابعية النقد العربي للنقد الغربي.

ولما كانت هذه المشكلات على درجة من الخطورة والهيمنة الاصطلاحية، فإن الباحث بعد أن يبين مفهوم المصطلح وآليات صياغته وشروط توحده وانتشاره، يحاول الوقوف على هذه المشكلات، لرصدها وتوضيحها وتفنيد الأسباب الأكثر أهمية في ولادتها مثل: حرفية الترجمة، واستقبال النظريات النقدية الغربية وسكونية المجامع اللغوية في الوطن العربي وتنوع المناهج النقدية وغياب النظرية النقدية العربية، وكل ذلك من أجل الوصول إلى اقتراحات قد تسهم في توضيح العلاقة بين المصطلح النقدي ودلالته، والذي يعدّ مطلبا ملحا لتطوير حركة النقد العربي، وترسيخ حركته وإعادة فعاليته في الدراسات النقدية العربية الحديثة ليتجاوز هذه المشكلات قبل أن تترسخ وتصبح تاريخاً في مسيرة النقد العربي الحديث، خاصة وأن تحديد استخدام المصطلح يرتبط برؤية الإنسان والعالم.

مفهوم المصطلح:

يعتمد الكثير من الباحثين والدارسين على المصطلح في تحديد مفاهيمهم ومقاصدهم، ولما كانت المصطلحات هي مفاتيح العلوم، فقد بذل العرب جهداً واضحاً في تحديد مفهوم المصطلح؛

لأنه كما يرى التهانوي: "أن أكثر ما يحتاج به في العلوم المدونة والفنون المروجة إلى الأساتذة هو اشتباه الاصطلاح، فإن لكل علم اصطلاحاً به إذا لم يُعلم بذلك لا يتيسر للشارع فيه إلى الاهتداء سبيلاً ولا إلى فهمه دليلاً"[1].

والمصطلح كلمة مأخوذة من المادة اللغوية (صلح) الدالة على صلاح الشيء وصلوحه بمعنى أنه مناسب ونافع: "وصلح الشيء: كان نافعاً أو مناسباً، يقال: هذا الشيء يصلح لك، ويأتي الإصطلاحُ من مصدر اصطلح: (اتفاق طائفة على شيء مخصوص، ولكلِّ علمٍ اصطلاحاته)[2]. وجاء في لسان العرب (الصلح بمعنى السلم، وقد اصطلحوا وصالحوا وأصلحوا وتصالحوا واصالّحوا)[3]. وهو: "العرف الخاص، وهو اتفاق طائفة مخصوصة على وضع شيء"[4]. أو: "عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول"[5] أو: "اتفاق القوم على وضع الشيء"[6]، أو "اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص"[7]، أو: "إشارة لغوية دالة مفردة أو جملة متوارثة أو مستحدثة، يفترض لا تختلف دلالته مهما اختلف الحقل الدلالي الواقع فيه"[8].

وهو: "وحدة لغوية أو عبارة لها دلالة لغوية أصلية"[9]. وهو: "كل وحدة لغوية دالة مؤلفة من كلمة مصطلح بسيط أو كلمات متعددة (مصطلح مركب) وتسمى مفهوماً محدداً بشكل وحيد الوجهة داخل ميدان ما"[10] والاصطلاح يعني الاتفاق على شيء محدد له دلالة محددة من قبل فئة محددة من العلماء، لذا يشترط في المصطلح الجيد أن يكون واضحاً محدداً معبراً، ومستلاً من باطن النصوص، وملائماً للمناسبة التي استخدم فيها، ومختلفاً مفهومه الواحد باختلاف مجالات استخدامه بأكثر من مصطلح واحد"[11]. من هنا فإن قيمة المصطلح لا تتحقق إلا بالتوحد والوضوح والملاءمة والانتشار والتوسع.

ورغم ازدحام التعريفات حول المصطلح النقدي قديماً وحديثاً، إلا أنه لا يزال مضطرباً غير مستقرٍ لذا لا بدَ من أن يستقر وضع المصطلح، وشروط صياغته، وآليات توحده، للتخلص من المشكلات التي يغوص فيها، لما يشكله من خطورة واضحة في النقد العربي الحديث، لأنه "نتاج جماعي يحمل كلَ مقومات مرحلة من مراحل التراث، والإبداع السائد في تلك المرحلة وأصول ذلك الإبداع ومعاييره والموازين التي يزن بها الدارسون، والمحللون، والنقّاد مختلف الأبعاد التي يتشكل منها الإبداع"[12].

وقد حظي المصطلح النقدي في الدراسات النقدية العربية والمعاصرة بعناية الدارسين والباحثين، وقد أسهمت جهودهم في المؤتمرات والندوات والبحوث والدراسات المنتشرة والمستمرة والكشف عن مشكلات المصطلح النقدي، ولكن أنظارهم صرفت في الجملة إلى تناول

جزئيات محددة تتعلق بواحد من المصطلحات النقدية المطروحة مثل: الشعرية، والأسلوبية، والبنيوية، والحداثة والتفكيكية والتفسيرية والتناص، والسردية، والظاهراتية، ونحو ذلك من المصطلحات التي استعمل معظمها في غير ما أراده أصحابها الأجانب لها.

وقد حاولت هذه الدراسات تأصيل بعض المصطلحات وبيان ملابساتها أو تؤرخ لمسيرة المصطلح/ النشأة والجذور وغيرها، ولعل من أبرز هذه الدراسات التي تناولت المصطلح النقدي:

1. عزت جاد: "المصطلح النقدي"[13] إذ تناول العديد من المصطلحات النقدية وبين أهم الاختلافات في تناول المصطلح النقدي والأسباب التي أدت إلى ذلك.

2. نايف العجلوني: "الحداثة والحداثية: المصطلح والمفهوم"[14]، وتناولت دراسته قضايا الحداثة والحداثية وارتباطها بتحولات بنيوية عميقة في سياق هذه الأزمنة كما تعالج مشكلات الحداثة والتحديث والحداثية وما يتصل بها اصطلاحاً ومفهوماً.

3. عبد السلام المسدي: "اختلاف المصطلح بين المشرق والمغرب"[15]، ويطرح فيه أسباب الاختلاف من خلال نماذج دالة تبين من خلالها نشأة المصطلح وانتشاره وتداوله بمفاهيم ومسميات عديدة ومن ثم يفند الأسباب التي أدت إلى ذلك الاختلاف. و"المصطلح النقدي وآليات صياغته"[16] بين فيها الثوابت المعرفية المطلقة والمسالك النوعية الخاصة والنواميس اللغوية العامة في صياغة المصطلح.

4. سعيد علوش: "انزياحات المصطلح النقدي في الخطاب الأدبي المعاصر"[17]، وبين فيها إشكالية (الاختلاف) و(الخصوصية) وأثرهما في علاقة الأسماء بمسمياتها وما تؤديه من انزياحات وتضارب استعمالات المصطلح بين ولادتها الأصلية في مصادرها الأولى – وتناقلها عبر وسطاء ثقافيين يخضعون لتقاليد أدبية ومواصفات ثقافية، تسمح للمصطلح بانزياحات تطبع الاستعمال والكتابة والقراءة مما يخلق مشكلة المصطلح في التطبيقات النقدية.

5. مفيد نجم: "الكتابة النسبية: إشكالية المصطلح التأسيس المفهومي من نظرية الأدب النسوي"[18]، وتناول فيها الحديث عن المصطلح في الكتابة النسوية، وبين أن غياب التحديد الدقيق لهذا المصطلح وغياب الإطار النظري المصاحب ساهم في شيوع مفاهيم مختلفة لهذا المصطلح أوقعت الدارس في فوضى اصطلاحية عميقة.

6. إبراهيم الفيومي: "إشكالية المصطلح النقدي في مواجهة النص الروائي"[19]، واقتصرت الدراسة على تناولها مصطلحات الرواية وما تعانيه هذه المصطلحات من فوضى عائدة إلى المصطلحات الجديدة (المستوردة) من الغرب عن طريق الترجمة العشوائية التي يقوم بها

جهات متعدد كالجامعات والمجامع اللغوية والأفراد دونما تنسيق أو بحد أدنى من التواضع والتخطيط.

ورغم ما بذلته هذه الدراسة من جهود حول المصطلح النقدي وما وصلت إليه من نتائج وما طرحته من حلول إلا أن المصطلح النقدي لا يزال بحاجة إلى دراسات نقدية للبحث في مشكلاته، لأنها مصطلحات حديثة ظهرت في هذا العصر الذي تشابكت في التخصصات وتداخلت خصوصاً في الدراسات النقدية، إضافة إلى وجود مبالغة في بعض الدراسات النقدية في استخدام تعابير ومصطلحات جديدة سواء كانت مشتقة أو معربة، وبعضها منحوت يفتقر إلى دقة الترجمة، أو مبتور الصلة على المعنى الذي وظفت لتوضيحه، أو مكتسبة للتخصصات المغاير مثل: علم الاجتماع، والفلسفة، وعلم اللسانيات الحديث (اللغويات)، فأخذ الدارسون يستخدمونها عن معرفة أو غير معرفة، وبلغ بعضهم في استخدامها دون دراية بشروط صياغة المصطلح.

وقد جاءت هذه الدراسة لتسهم مع الدراسات السابقة في استكشاف مشكلات المصطلح النقدي وتفنيد أسبابها ومن ثم تقديم حلولاً مقترحة قد تسهم في محاولة التخلص من هذه المشكلات.

ولعل عدم التزام النقاد والدارسين بشروط صياغة المصطلح النقدي أفسده وحوّله إلى مصطلح ذاتي لا دلالة له، وأثقل كاهل النقد العربي الحديث بمشكلات عديدة تعدَ آفة من آفات اللغة. وقد تناول البحث العديد منها، وأقول منها لأنَ الباحث لم يقم بمسح كامل لكل المشكلات التي يواجهها المصطلح النقدي أولاً، ولأن مثل هذه مشكلات قد تعد مشكلات جدلية فلسفية لا تعبر عن ثوابت مطلقة، بل عن رؤية قابلة للتغير.

المشكلة الأولى: تعدد تسميات المصطلح الواحد*

يستعمل النقد العربي تسميات مختلفة للمصطلح الواحد، وتكشف عنوانات عدد من هذه الدراسات النقدية بوضوح استخدام هذه الظاهرة. ولعل من بعض هذه الأسباب التي أسهمت في تعدد تسميات المصطلح: غياب التحديد الدقيق والواضح للمصطلح النقدي، وغياب الإطار النظري المصاحب والثوابت المعرفية المطلقة، والأسس اللغوية العامة لصياغة المصطلح النقدي، وفقدان الآلية الصحيحة في نقل المصطلحات من اللغات الأخرى.

ويمكن رصد العديد من المصطلحات النقدية التي استُعملت بتسميات عديدة للمفهوم الواحد في الدراسات النقدية العربية الحديثة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- **المصطلحات الخاصة بالأدب والنقد والشعر:**

- القصة، القصة القصيرة، القصة القصيرة جداً، الأقصوصة، القصة الصغيرة، القصة القصيرة الطويلة، الرواية الصغيرة[20]، وكلها ترجمة للمصطلح الإنجليزي (Short Story).

- الشعر، الشعر الحر، الشعر المنثور، الشعر النثري، شعر الحداثة، الشعر المتحرر، الشعر المعاصر، الشعر الحديث، الشعر المنطلق، نظم مرسل حر، الشعر الحر الطليق، الشعر المسرح، شعر التفعيلة، الشعر الحسن، النثر المركز، البيت المنثور، النثر الموضوع، الشعر المطلق أو المرسل[21] وكلها ترجمة لما يسمونه الشعر الحر (Free verse) أو يستخدم في ما يسمى في الأدب الإنجليزي (Poetry in prose) أو المصطلح الفرنسي (vers libre).

- الأدب النسوي، الكتابة النسوية، الأدب الأنثوي، الأدب النسائي، الكتابة الأنثوية، الكتابة والتعبير النسائي، الكتابة النسائية المؤنثة، النص الأنثوي، النص النسوي، الطرح النسوي[22].

- التكنيك، التقنية، الحيل الفنية، التقنية الفنية، الصفة الفنية، معالجات فنية، أسلوب المعالجات، التقنيات، التقنية التكنيكية، الأسلوب الفني في التنفيذ، فنيّة التطبيق، معالجات فنية، الطريقة الفنية[23].

- الرومانسية، الرومانتيكية، الرومانتية، الرومانطية، الرومانطقية. وهي ترجمات للمصطلح الغربي (**Romanticism**) الذي ابتدعه الكاتب الفرنسي ستندال (1783-1842) في مبحثيه المسميين: راسين وشكسبير[24].

- السيميولوجية، السيميائية، السيميوطيقية، السيميوتيقي، السيماطيقي، علم الدلالات، أنظمة العلامات، السيميوتيكية، السيموتيك السيميائية، السيميائيات، السيمية، علم الإشارة، العلامة، الدراسة العلامية، التحليل العلاماتي والأغراضية وعلم الرموز، علم العلامات والرموزية والدلائلية والسيمياء[25]، الشيء، الإشارية، دلالة العلامات، علم الدلالة، العامل المفسر، المؤشر. وكلها ترجمات للمصطلح الغربي (semiology) أو "semasiology"[26].

- التفكيكية، التقويضية، التشريحية، التفكيك، التشريح، التقويض[27] وكلها ترجمات للمصطلح الغربي (Deconstruction).

- البنيوية، البنائية، البنية، الهيكلية، الألسنية، البناء[28] وكلها ترجمات للمصطلح الغربي (structuralism) أو (structure).

- الأسلوبية، علم الأسلوب، الأسلوبيات[29]، وهي ترجمة للمصطلح الغربي (stylisme) أو (stylistiquey).

- درجة الصفر، الاستعمال المألوف، التعبير البسيط، والخطاب الحيادي، الكتابة الغائبة، الكتابة المحايدة، الكتابة الصامتة، الاستعمال الدارج، التعبير البريء، التعبير الدارج، الخطاب الفردي، التعبير الشائع، الكلام الفردي، الوضع الحيادي، الدرجة الصفر، الاستعمال السائر، الاستعمال الشائع، الاستعمال المتوسط، السنن البريئة، النمط، الاستعمال النمط، الخطاب الساذج، العبارة البريئة[30].

- الحداثة، الحداثية، التحديث، الحداثوية[31] وهي ترجمات للمصطلح الإنجليزي (modernity) والمصطلح الفرنسي (modernite) والأصل اللاتيني هو (modernus, do modo) بمعنى حدث مؤخراً[32].

- الشعرية، الشاعرية، الشعري، الاسم النعتي، النعت الاسمي، أدبية الكتابة، علم الشعر، فن الشعر، صناعة الأدب، علم الأدب، الأدبية، البوطيقيا[33] وكلها ترجمة للمصطلح الغربي (poetique) الذي "يسعى إلى تحليل الشعر اعتماداً على نظريات علم اللغة ومناهجه"[34].

- "الشكلانية، الشكلية، الشكل، الشكلنة، شكلن"[35]، وهي ترجمات للمصطلح الغربي (**Formalism**) والذي نادت به نظرية الفن للفن، ويعود في الأصل إلى المدرسة الأدبية التي ظهرت في الأدب الروسي أساسها فيكتور شكلوفسكي (**Victor Shklovsky**)، سنة 1917م، في جمعية دارسي اللغة الأدبية (**Opoyaz**) بموسكو، ومن أهم مبادئ هذه المدرسة أن الفن هو الأسلوب الأدبي، وأن هذا الأسلوب يعتمد أساساً على جودة الصياغة والصُنع[36].

- العملية الإبداعية، الابتداعية، التلفنية[37].

- السرد، القص، الحكي، التتابع، الترابط، الاختبار، العزل، الخبر والباين [38].

- المنولوج الداخلي، الحوار الداخلي، المناجاة، حديث النفس، الحوار الذاتي، الحوار الباطني[39] وهي تسميات للمصطلح (monologue).

- الخيال، الخرافة، الوهم، الإغراق في الخيال، الصفر الخرافي، الفانتازيا، الصفر السحري، الرؤية[40].
- حكاية، أحدوثة، خرافة، قصة[41].

- **المصطلحات الخاصة بالنص الأدبي[42]:**

النص، البناء، النظم، المنظوم، المُنْتَج، المُبْدَع، الخطاب، العمل، الأثر، الصياغة، الرسالة، التكنيك، الظاهرة، المولد، التشكيل اللغوي، الإبداع اللغوي، الظاهرة اللغوية، الظاهرة الأدبية، المعنى الأدبي، الشفرة، المرسل، الكائن اللغوي، المقول، صورة للعواطف، صورة للخيال، حدس، معادل موضوعي.

- **مصطلحات تتعلق بالأديب(43):**

الأديب، المبدع، المنتج، المصور، الخالق، المحاك، الباث، الصانع، المخيل، الكاتب، المرسل، المشكل، الباني، المنشئ، الرامز، الناظم، المتخيل، المعبر، الناص، المولِّد، الراوي، القاص، السارد، الرابط، الموضح.

- **مصطلحات تتعلق بالمتلقي(44):**

القارئ، المتلقي، المستهلك، الجمهور القارئ، المؤول، الشارح، المولد، الموضح، المفكك، المفسر، الناقد، المتأثر، المتذوق، المرسل إليه، المخاطب، المشاهد، المشرح المحكي له، المقصوص عليه.

- **مصطلحات خاصة بالقضايا النقدية(45):**

اللفظ والمعنى، الشكل والمضمون، الأداء والتشكيل، الرؤية والتشكيل، الإطار والمحتوى، الصورة والمادة، الصورة والدلالة، المحتوى والتشكيل، الشكل والموقف، الشكل والمحتوى، الصورة والمعنى، الرؤية والتشكيل، الشكل والأداة، الرؤية والأداة، القالب والموضوع، البناء والمحتوى، الشكل والمعنى، البنية والرؤية.

- **الغموض، الاضطراب، الخلط، عدم الوضوح، التورية، تعدد المعنى.**

إن هذا الخلط الواضح في تعدد تسميات المصطلح الواحد، يدل على عدم استقراره وغياب المعايير النقدية التي يمكن أن توحده، ويبدو أنه لا يعود إلى الناقد نفسه، ولا إلى فلسفة محددة ينطلق منها، بل يعود إلى اختلاف الأنساق الثقافية، وأنساق المصطلح دون مراعاة أو اهتمام،

وطبيعة التحولات الاجتماعية، لأن الباحث "يفاجأ بأن معظم هذه المدلولات غربية الأصل وأنها ترتبط بحركة الفكر الأوروبي، وتسير حسب تطوره العام"[46].

- **مصطلحات خاصة بالدراسات النقدية:**

ونجدها في الكثير من الدراسات النقدية العربية المترجمة من مثل:

الترجمة العراقية "التحليل البنيوي للقصة القصيرة"، 1986، لنزار صبري، والترجمة اللبنانية "مدخل إلى تحليل السرد بنيوياً"، 1988م، للناقل اللبناني أنطوان أبو زيد و"مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص"، 1989م، لنخلة قديفر اللبناني، والترجمة المغربية "مدخل إلى التحليل البنيوي للسرد"، لقمري، بحراوي، عقاد، وكلها ترجمات للنص الغربي (**Introduction A l'Analyse Structurale du texte**)[47].

وعلى الرغم من دعوة العديد من النقاد إلى توحيد المصطلح ضمن إطار مؤسسات اصطلاحية موحدة، إلا أن مشكلة المصطلح ليست مشكلة دلالة فقط، بل هي مشكلة ثقافة وفكر، بل "مشكلة بيئة حضارية لها خصوصيتها الفكرية والمعرفية التي تختلف عن البيئة المحتضنة لهذا المصطلح"[48].

المشكلة الثانية: استخدام المصطلح الواحد للدلالة على عدة مفاهيم:

وهي ظاهرة منتشرة في الدراسات النقدية الحديثة، أدت إلى فوضى في الآراء النقدية وتنافر فيها وتضارب، لأن الناقد "يغرف من هنا ومن هناك، وتتزاحم المصطلحات الروسية والإنكليزية والفرنسية والألمانية من غير هدف لإظهار الاطلاع"[49]. وهذا لا يخدم العملية الإبداعية النقدية ولا يؤدي إلى تطورها، بل يحدث تغييراً سلبياً في مدلولات المصطلح النقدي ومفاهيمه.

ويمكن الوقوف على عدد من المصطلحات لبيان هذه التعددية في اشتراك المصطلح الواحد، من مثل المصطلحات الرئيسة الآتية:

(الشعر الحر، والقصة، والرواية، والأسلوبية، والشعرية).

1- مصطلح الشعر الحر:

لعل حركة التخبط التي يعيشها المصطلح النقدي في ظل الفوضى التي يعانيها نتيجة التعريفات التجريبية واختلاف المرادفات المطلقة عليها "وفقاً لعملية النقل عن الأصل الغربي"[50] تدل على اضطراب واسع في مجال مصطلح الشعر الحر الذي أثار جدلاً ونقاشاً واسعين نتيجة لالتباس دلالة المصطلح عند الدارسين واستخدامه للدلالة على عدة أشياء، فقد عرف "بالشعر

الخالي من الوزن والقافية والمحافظة على نسق البيت"[51]، وهو "نمط من الشعر خرج عن النظام التقليدي للقصيدة العربية التي تعتمد فنّية البيت الشعري شطرين متوازيين عروضياً وتنتهي بقافية مطردة إلى سطر واحد وليس له طول ثابت، وإنما يصح أن يتغير عدد التفعيلات من سطر إلى آخر دون التزام ثابت في القافية"[52].

كما عرف عند بعض النقاد بـ"الشعر الموزون المقفى دونما ترتيب الذي يتفاوت عدد التفعيلات في أبياته بالشعر الحر"[53]، وهو أيضاً: "الشعر العامودي المطوّر"[54]، و : "التحرر من الأنساق الثابتة في الشعر العربي التقليدي"[55]، كما أنه: "الشعر الذي لا يتقيد بالوزن أو القافية"، و : "مجموعة من الأبيات الشعرية متحدة في الوزن والقافية والروي"، أو "نمط من الكلام بين الشعر والنثر"[56]، و : "مجموعة شعرية لم تعتمد الوزن والقافية التقليديتين"[57]. كما عرف بقصيدة الشعر الحر "تلك القصيدة التي تعتمد على اللغة الشعورية الإيحائية وعلى تفعيلات الشعر التحليلية أو التفعيلات الإيقاعية التجديدية، وعلى التحرر من وحدة البيت الشعري والشطرين المتقابلين، لتستخدم قافية متعددة تعدداً غير منتظم، وسطراً شعرياً واحداً يطول ويقصر وفقاً للدفقة الشعرية"[58]. ولعل تحرر الشعر الحر وتمرده على الشعر الملتزم على اعتبار أنه ولادة جديدة للشعر التقليدي الملتزم بتمرده على الوزن والقافية - منح النقاد فسحة واسعة لوضع تعريفات عديدة له، كانت بمثابة منقذ لهم للتبرير والتحرير، والتعديل في صياغته ودلالته، لذا تمحور المصطلح النقدي وتعددت مفاهيمه ودلالته، لعدم شيوعه واستقراره مما أدى إلى اضطراب واضح في دلالته، ومعطياته واستخدامه وتداوله.

2- مصطلح القصة القصيرة:

ولما كانت القصة لوناً من ألوان الأدب الحديث، ظهر متأخراً، له خصائص ومميزات شكلية معينة، فقد تعددت دلالاتها وانتشرت دون أن تترسخ وتستقر، وقد استخدمها النقاد والباحثون للدلالة على عدة مفاهيم منها: أنها: "سرد مكتوب أو شفوي، يدور حول أحداث محددة ممارسة فنّية محدودة في الزمان في الفضاء والكتابة"[59]، وهي: "قول لغوي يبني عالمه بتقنيات خاصة وتعرضها ثانية"[60]، و : "القصة التي تبدو جامعة للنقضين في وقت واحد، موغلة في الذاتية، موغلة في الموضوعية"[61]، و: "نموذج فني يتصل بكثير مما يهم الناس مما قد يضمّنه الفنان عمله"[62]، كما أنها: "فن قولي إدرامي"[63]، و : "بعبارة عامة سردُ لأحداث لا يشترط فيه إتقان الحبكة، ولكنه ينسب إلى راوٍ، وأهميتها تنحصر في حكاية الأحداث وإثارة اهتمام القارئ أو المستمع لا الكشف عن خبايا النفس والبراعة في رسم الشخصيات"[64]، و : "جنس أدبي، يتميز

بالاقتصاد في التعبير وتصوير الحدث أو اللحظة الزمنية العابرة بلغة وصفية درامية تكشف للقارئ من وجود شخصية ذات دلالة معينة تعبِّر عن موقف خاص"[65]، و : "مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب، تتناول حادثة واحدة أو حوادث عدة، تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة، تتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة، على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض، ويكون نصيبها في القصة متفاوتاً من حيث التأثّر والتأثير"[66].

3- مصطلح الرواية:

على الرغم من الخلط الواضح بين مصطلحي الرواية والقصة القصيرة على اعتبار أن كليهما يجسدان قصة، فقد تعددت مفاهيم كل من الرواية والقصة، فالرواية: "سرد نثري خيالي طويل عادة تجتمع فيه عدة عناصر في وقت واحد مع اختلافها في الأهمية النسبية باختلاف نوع الرواية"[67].

وهي: "لا تعبِّر عن حقيقة بل تعبّر عن نفسها، وهذا كافٍ، فالفن لا يحاكي ولا يعلم إنه ببساطة يوحد"[68]، ويرى بعض النقاد أنها "تهذيب الأخلاق وتقديم الحقائق التي تثقف العقل في ثوب أو قالب من القصص"[69]، وهي: "فنٌ نثريٌ تخيلي طويل – نسبياً بالقياس إلى فن القصة القصيرة"[70]، و: "تحكي قصة من القصص، سواء أكانت هذه الرواية سيرة شعبية أم ملحمة، تقليدية أم حديثة تقوم على المغامرات، أم تتوغل إلى أعماق النفس الإنسانية"[71]، و : "مجموعة من السلوك، وأي سلوك فهي حركة أخلاقية فلا يخلو أدب من أخلاق معينة"[72]، و : "الصورة الأدبية النثرية التي تطورت عن الملحمة القديمة"[73]، و : "صورة لغوية سردية مكتوبة للفعل البشري وتجسد رؤية جديدة"[74]، و : "بيان موقف إنساني يكون فيه جهد الإنسان ذا معنى"[75].

4- مصطلح الأسلوبية:

عرف مصطلح الأسلوبية عند النقاد القدماء بالأسلوب، وهو عند عبد القاهر الجرجاني "الضرب من النظم والطريقة فيه"[76]، وهو: "طريقة الكاتب أو الشاعر الخاصة في اختيار الألفاظ وتأليف الكلام"[77]، لكن تسمية المصطلح تغيرت في الدراسات الحديثة، إلى "الأسلوبية" أو علم "الأسلوب الحديث "بالاستناد إلى نشأة علم اللغة الحديث وتطوره"[78]، ولا يزال ينظر بعض الدارسين إلى الأسلوبية باعتبارها منهجاً مستمداً من المناهج اللغوية، لهذا السبب يرى بعضهم أنها "مزيج من فروع اللغة العام"[79]، واستخدم مصطلح الأسلوبية في الدراسات النقدية الحديثة للدلالة على عدة أشياء

منها، أن الأسلوبية هي: "البحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب"[80]، وهي: "منهج من المناهج اللغوية المستخدمة في دراسة النصوص الأدبية"[81]، وأنها: "وصف النص الأدبي حسب مناهج مأخوذة من علم اللغة"[82]، وهي: "طريقة نوعية لدراسة لغة الكلام عند الفرد المتوسط عندما تظهر الوقائع التعبيرية محددة وشخصية بقيمها العاطفية جنباً إلى جنب مع أفكار هذا الفرد الذي يضع اللغة ويطورها"[83]، و : "وصف للنص الأدبي حسب طرائق مستقاة من علم اللسان"[84]، و : "نوع من الحوار الدائم بين القارئ والكاتب من خلال نص معين"[85]، و : "علم غير ذي موضوع"[86]، وهي: "الإبلاغية: فرع من الألسنية ينتمي إلى علم أساليب اللغة"[87].

وقيل بأنها: "تحليل لغوي موضوعه الأسلوب، وشرطه الموضوعية، وركيزته الألسنية، بيد أن ما ينتج عنه من معرفة لا يكفي لتحديد أي علم من العلوم، والموضوعية شرط لازم ولا تصبح الأسلوبية علماً لاقتباسها من علوم أخرى كالألسنة والإحصاء"[88]. والأسلوبية: "طريقة فردية في الأسلوب أو دراسة النقد الأسلوبي وهي تتمثل في بحث الصلات بين التغيرات الفردية أو الجماعية"[89].

كما أنها: "الدراسة الموضوعية المنظمة للغة الأثر الأدبي وأصواتها، ومفرداتها وتراكيبها، ودلالتها، وينطوي، هذا العلم على الربط المنطقي بين ملاحظات الناقد، ونمط من الملاءمة الموضوعية"[90].

5- مصطلح الشعرية:

لقد أدى الصراع بين النقاد والمضاربات النقدية المتلونة إلى إيجاد استخدامات متعددة لمصطلح الشعرية، الذي انتهى إلى طريق مسدود، لا يجسد البحث العلمي ولا المنهج الصحيح.

وعرفت قديماً باسم الشعر أو أبوطيقا عند أرسطو "حيث كانت البوطيقيا: دراسة لقوانين صناعة الشعر"[91]، والمفهوم الغربي مأخوذ من "الكلمة اليونانية (**Poetica**)" وهي مشتقة عن الفعل اليوناني (**Poiein**) ومعناها يعمل أو يصنع"[92]، واستخدم مصطلح (بويطيقا) في النقد العربي القديم للدلالة على صناعة الشعر بوجه عام، لأن هذا المصطلح ارتبط بالشعر أصلاً، لذا عرف عند أرسطو بمعنى محاكاة[93]، وعند العرب بمعنى تخييل[94]، وعند ابن رشد "ماهية الفن الشعري"[95]، ثم ظهرت عند الشكلانين الروس، وهي تطلق على الكلام المخصوص بالوزن

والقافية، والمصطلح استخدام بنصه وبدلالته عند حازم القرطاجني وابن رشيد، وكذا عند ابن سينا من قبل"[96].

إلا أن مصطلح الشعرية استخدم في الدراسات النقدية الحديثة للدلالة على عدة أشياء منها: أنها تسعى إلى: "معرفة القوانين العامة التي تنظم ولادة كل عمل" وهي: "تبحث في هذه القوانين داخل الأدب ذاته"[97]. وأنها: "علم موضوعه الشعر"[98]. وهي: "علم الأسلوب الشعري"، وهدفها البحث عن "الأساس الموضوعي الذي يستند إليه تصنيف نص في هذه الخانة أو تلك"[99]. كما أنها: "إقامة حد فاصل بين الشعر واللاشعر" و"الانحراف عن التعبير"[100]. وأنها "الانزياح" الذي "هو الشرط الضروري لكل الشعر"، وأنها طريقة الوعي الذي يكون الشعر الأداة المفضَّلة فيها"[101]. و: "الاستجابة النفسية المصاحبة للشعر، وهي استجابة لا تنفك تتصل بما يتقوَّم به الشعر من خصائص نوعية تميزه عن غيره من سائر الأنشطة التي تشترك معه في المهمة وتختلط عنه في الأداة"[102]. وهي مصطلح يستخدم للإشارة إلى مفهومين: الأول وضعه أرسطو بمعنى نظرية الإبداع، ويقصد به اكتشاف التأثير الخاص لكل أساليب الشعرية، ودراسة العناصر التي تبرز المعنى وتحدد "أساس أي عمل شعري باعتباره المحاكاة أو البلاغة التعبيرية، والثاني على ما يجعل الرسالة اللغوية عملاً فنَياً أو كلَ ما يميز الفن اللغوي ويجعله يختلف عن غيره من الفنون الأخرى"[103].

المشكلة الثالثة: فقدان الإبداع واعتماد الصنعة:

تكشف الدراسات النقدية، بتشعبها الواسع وتعددها، جاهزية المصطلح النقدي والتسابق في نقله عن النظريات النقدية الغربية ولعل ذلك يعود إلى فقدان الناقد العربي الحديث القدرة على إبداع المصطلح من باطن النصوص بما يتلاءم وطبيعة النص المدروس، عن طريق النحت والتعريب والاشتقاق والاستحداث والابتكار والتوليد بأنواعه اللفظي والمعنوي والدلالي، مما دفعه لاعتماد صنعته من جديد في معظم الدراسات النقدية، لاعتبار أنه لا يمكن تصور النقد العربي الحديث تصوراً سهلاً بدون صناعة المصطلح، وبذلك يتناسى الدارس أو الناقد أن المصطلح النقدي يولد من قاع المجتمع ويظهر على السطح في شكله الأدبي المراد إبداعه ليجسد مجموعة من الدلالات الواضحة التي يمكن أن تقرأ قراءات متنوعة ومتعددة يكتشفها الدارس وفق أسس منهجية دالة، مثل: الكلاسيكية والرومانسية والبنيوية والابتداعية والتجريدية والسيميوطيقية، والهرمنوتيك، والمثيولوجيا، والأنطولوجيا وغيرها. وتفرض صنعة المصطلح تبعية فريدة واتصال آلي مع الغرب في جو يقتل روح التحرر الاصطلاحي العربي لالتزامه الصنعة والافتراضات الفلسفية المتحررة والموصولة بآراء أرسطو، مما يفقد المصطلح النقدي هيبته وسط النزعة الشكلية

والصنعة التقليدية، لأن الثقافة النقدية العربية برمتها تصبح تابعة لثقافات أخرى في سبيل البحث عن صنعة اصطلاحية غير مألوفة لفهم حيوية النقد العربي، وكلّ ذلك أدى إلى تضارب استعمالات المصطلح، لأن الناقد يسعى إلى تكيف النص الذي يشكله مع المصطلح الذي يصنعه مما يؤدي إلى استخدام المصطلحات بصيغة نهائية دون تمييز أو إدراك لما تحدثه هذه الصنعة من تنافر بين النص والمصطلح، مما أوقع الناقد الناقل في كثير من المشكلات من مثل:

1- الخطأ الشائع في المصطلح:

ويبدو أنها أثارت قلقاً واسعاً في الأوساط النقدية لما أحدثته من فوضى واسعة في مفهوم المصطلح ودلالته، خاصة وأنها اكتسبت مصداقية واسعة بفعل الزمن، ولعله من الصعب على الناقلين أن يبرزوا خطأ السابقين في عدم قدرتهم على إيجاد مصطلح عربي يوضح المعنى الدقيق للمصطلح الأجنبي ودلالاته، كما في النماذج الآتية[104]:

أ- إن "مصطلح الشعر الحر" يقابل "الشعر العمودي" وهذا خطأ شائع، لأن الشعر العمودي يعني قصيدة طويلة ذات شطرين تقوم على الصدر والعجز، وفيها "عمودان قائمان لأن البيت لا يبنى إلا له عمد"[105]، وتلتزم عدد التفعيلات، أما الشعر الحر فيعتمد وحدة التفعيلة والقافية دون الالتزام بعدد التفعيلات، وهذا الشكل الجديد من الشعر الحر يختلف عن الشعر العمودي بمعناه الدقيق وعلى الرغم من ذلك وضع الشعر العمودي ليقابل الشعر الحر. ولعل مثل هذه المقابلة لا تستمد إلى مرجعية واضحة وليس لها مسوغ لأن الدارس عندما يتحدث عن (الشعر الحر) وعن (القصيدة العمودية) لا يبين ما هو (العمود الشعري) لدى القدامى، وهل فعلاً دار لدى القدامى مصطلح (القصيدة العمودية) أم هو توليد مصطلحي حديث؟ بل هل ضبط الناقد مصطلح (الشعر الحر) وهل هو نتاج تعريب أم توليد؟.

ب- إن مصطلح (الابتداعية) يقابل (الرومانتكية)، والرومانطيقية و(الرومانتية)، و"الابتداع" هو البدعة، والرومانسية صفة شعرية تهتم بالمشاعر الخاصة والذاتية للفرد، والتركيز على النزعة الذاتية، والاهتمام بالطبيعة والإغراق بها، والهروب من المدينة إلى الريف، وهي صفة تنسب إلى (**Romance**)، وشاع استخدامها في الغرب في نهاية القرن الثامن عشر، ويتعذر على مصطلح مثل الابتداعية أن يستوعب كل هذه المعاني التي يحملها مصطلح الرومانسية.

ج- مصطلح (الملهاة) ليقابل مصطلح (الكوميديا):

فالملهاة رمز الضحك والهزل والسخرية، والكوميديا رمز الضحك الباكي، لأنها تكشف عن السلبيات في سلوك البشر المعيبة، وتنتقدها نقداً لاذعاً، وبذلك لا تكون وظيفة "الكوميدي"

توفير الضحك واللهو الرخيص للمتلقي فذلك شأن نوع آخر من الأعمال الدرامية هي المهزلة التي تثير الضحك واللعب عند المتلقي.

ولعل هذه المقابلات ليس لها مسوغات مما جعلها تثقل كاهل العملية الإبداعية (الدارس ← النص ← المتلقي)، لأنها أصبحت جزءاً من اللغة لا يمكن التخلص منها بعد أن شاعت وتداولت فترة طويلة، واكتسبت سمة الخصوصية خاصة في لغة النقد التي هي أداة نشر وإشهار فن الأدب.

2- الدمج العشوائي للمصطلحات:

لقد جاء دمج المصطلحات بطريقة عشوائية غير مستساغة كمحاولة من النقاد لإخضاع الكلام العربي على النسق الغربي بطريقة تنفر منه الذات العربية وترفضه، لأن صياغة هذه المصطلحات لا تنسجم مع شعرية اللغة وجمالياتها التي عرفها العرب منذ القدم مثل: "زمانية – مكانية، والزمكانية"[106]، أو "السيرة الذاتية"، أو "(السيرذاتي) و(السيرة) و(الذاتي) و(التراجيد – ذاتي) و(الترجذاتي)"[107] و"(النفس - بنيوية) و(النفسبنيوية)"[108] و"(التحليل النفسي) و(التحلينفسية)"[109]، و"السوسيو-بنائي"[110].

3- اختيار المصطلحات العشوائية والغامضة:

إنّ اختيار مصطلحات عشوائية وغامضة تفتقد إلى خصائص المصطلح النقدي وشروط صياغته التي اتفق عليها العلماء، لا توصل المتلقي مباشرة إلى المعنى الواضح، ولا تلم بفكرة محددة من مثل:

- "أنطولوجي، أوتبيوجرافي، فانتاستيك، سوسيولوجي، وكرونك، سيكرونك، بارودي، طوطولوجي، فونولوجي، أمبريقا"[111] و"مقدمة في سوسيولوجيا الرواية العربية المعاصرة" عند غالي شكري، و"البنيوية السيكولوجية"[112] و"الإيطوبيا والإيطوبيات"، و"البويطيقا البنيوية"[113]، و"ميثولوجيات الثبات الأنطولوجي"[114]، و"المحددات السسيولوجية لخصوصيتها الاستتيقية والمعرفة الإبستمولوجيا"[115] و"الرواية السيكولوجية"[116] و"الإبستمولوجية التشييدية"[117] و"أنطولوجيا الإبداع الفني"[118].

4- بروز الفتنة الاصطلاحية:

برزت الفتنة الاصطلاحية في الكثير من المصطلحات الحديثة مما أحدث تواطؤاً واضحاً في سياق الحقل المعرفي للنقد العربي للدرجة التي تهيمن على الخطاب من قبيل التهجين، دون "أقل

حرص أو محاولة توخي أدنى درجات المعيارية"[119]، مثل: استخدام: "أوتوبيوغرافيا"[120]، "استستيقى"[121]، "واستطيقا"[122] و"اسطاطيقا"[123]، و"سيسيولوجيا الأدب[124] وطوطولوجي"[125].

ويبدو أن صراع التسابق الاصطلاحي المغترب الذي فرض هيمنته بتخييلٍ واضح قد ساهم في جعل الدارس يفقد القدرة على إيجاد دلالة مقابل هذه الدلالة المفترضة، فتاهت "مقادير التصور بين التركيب الجدلي للبنية الأبستمولوجية لقصائد الديوان، وأبستمولوجيا الثقافات المتصارعة وإبستمولوجيا الجسد النابعة عن أنطولوجيته"[126]، وكذلك مصطلح "كرونوتوب" الذي ظهر في كتابات كل من "شعيب حليفي"[127] و"سعيد يقطين"[128]، وقد تجاوزت الفتنة الاصطلاحية إلى عنوانات الكتب الرئيسة والفرعية، والأبحاث والدراسات من مثل: "السرد السريالي في إهاب الأخيولة" و"الفنطزة في قصص محمد الحاج صالح" و"الترميز الأشمل لما وراء المعنى في قصص غسان وكامل ونوس"[129]، و"بلاغة التكرار في هرمنوتيك النثر العربي"[130] و"هرمنوتيك النثر الأدبي"[131] و"الهرمنيوطيقا ومعضلة تفسير النص"[132] و"وقراءة سوسيولوجية لرواية دعاء الكروان"[133] و"قراءة القراءة: مدخل سوسيولوجي"[134] و"ملاحظات حول سوسيولوجية الأدب الشفوي"[135]، و"أنطولوجيا الإبداع الفني"[136] و"معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق"[137]. وكل ذلك أدى إلى تهشم آلية التواصل، واعتلال المصطلح النقدي، والتواطؤ في استخدامه في مرحلة معينة ومن ثم تركه وتجاوزه دون حاجة له، ليبقى فقط بين سطور مادة كاتبه.

المشكلة الرابعة: ضبابية منبع المصطلح النقدي:

وهي من المشكلات التي يعانيها المصطلح النقدي قبل عملية الترجمة، وهي ناتجة عن التضخم النقدي الذي حدث في أوروبا في المنتصف الثاني من القرن العشرين.

وتعد إشكالية اصطلاحية عالمية تعاني منها معظم الدراسات النقدية العالمية على اعتبار أن المصطلح لا يزال شيفرة علمية في الدرجة الأولى تخضع للترجمة الحرفية الذاتية، وأن المترجم يقوم على ترجمته وتتكشف هذه القضية العالمية من خلال ضبابية الكثير من المصطلحات النقدية من مثل:

- مصطلح العلامة (**Sign**)، والمؤشر (**Index**)، والأيقونة (**Icon**)، والرمز (**Symbol**) والإشارة (**Signal**) والشيفرة (**Code**) وكذلك تجلّت ضبابية المصطلح في الاتجاه الدلالي

حيث يبرز الاضطراب واضحاً في الأصوات الدالة في الحقل الدلالي الواحد مثل: القصة **(Story)**، والقصة القصيرة **(Short Story)**، والرواية القصيرة والرواية **(Novel)**.

كما اعتبر مصطلح القصة في العربية مقابلاً لثلاثة مصطلحات إنجليزية هي: **(Story)**، **(Tale)**، **(Fable)**. وهي ظاهرة منتشرة بين المصطلحات النقدية، وتعدّ سمة دالة على غموض المصطلح وقلقه وعدم استقراره. وتعود هذه الضبابية إلى آلية استنباط المصطلح واستخراجه من جذوره الغربية. وهي معضلة أصيب بها المصطلح النقدي لتعارض دلالاته واشتباكها في ميدان مغلق لا يفضي إلى نتيجة مما جعله يعاني أزمة حقيقية في ممارساته وطرائق استخدامه، ولعل ذلك كله يعود إلى انبهار النقاد والدارسين العرب بالمصطلح النقدي الغربي، ونقلهم له بتجرد واضح من خصائصه التي اكتسبها من البيئة الثقافية التي ولد ونشأ وتشكل فيها، وعدم معرفة الأسباب التي دفعت إلى وضعه، وعدم قراءة الأدب الغربي مباشرة، والاكتفاء بالنقل عن الكتب والمقالات المترجمة. مما أدى إلى عملية نقل غير واعية لخصوصيته وخصوصية الواقع النقدي العربي الذي نقل إليه ودرجة تطوره.

ولعل عدم الوضوح الدارج لدلالة المصطلح النقدي، لأنه كان يعود إلى غموضه في منبعه الأصلي، ووضعه في سياق غامض اعتمد فيه الباحث على مهاراته وإبداعاته الذاتية والعشوائية، مما أفقده سمة الوضوح، وقد ساهمت المجلات الأدبية النقدية المختصة بنقل المصطلح النقدي في مثل هذه الفوضى، وكذلك الكتب النقدية الحديثة التي تعتمد الترجمات الغامضة والتي يتناولها المتلقي دون أن يفهم منها شيئاً فيقع بوهم مفاده أن هذا الغموض أساسه غموض منبع المصطلح الأصلي، ويعدّ ذلك تضليلاً للمتلقي ولصاحب النص الأصلي من قبل المترجم الذي نقل المصطلح من أصل غامض ومضطرب لأجل التسابق في الحصول على مصطلحات أكثر غرابة وبهرجة كما في معظم الدراسات النقدية المعاصرة، مما أحدث خللاً واضحاً في صياغة المصطلح، ونفوراً بارزاً في النص الذي تميز بالغموض والاضطراب، وخلطاً واسعاً خاصة في المصطلحات النقدية الشائعة في الدراسات النقدية العربية من مثل: النسق والبنية والشكلية والموضوعية لعدم اتفاق الكثير من الباحثين على تحديد ماهيتها لأن لفظة البنية أو الشكلية أو الموضوعية ألفاظ تسيطر على المناخ النقدي في العالم رغم عدم وضوحها وتداخل معانيها كما يقول الناقد الفرنسي المعاصر "جان ريشار"[138] بل يرى بيير مورو أستاذ النقد بالسربون أن "هذه الكلمات الثلاث لها رنين وبريق خاص إلا أن القارئ لن يجد مدلولاتها الدقيقة إذا كان لها مدلولاً"[139].

ولعل نقل مثل هذه المصطلحات المتضاربة في مصادرها وجذورها الأولى، وإخضاعها إلى مقاييس ومعايير وتقاليد أدبية ومواصفات ثقافية متباينة "من قبل وسطاء ثقافيين ومترجمين تسمح للمصطلح بتغيرات واضحة في الاستعمال والكتابة والقراءة، أدى إلى ترويج دلالات

للمصطلح بعينها وبشكل واضح يخرجها عن السياق الذي وضعت له"[140]، وهو شيء تطبيعي يروّجه النقل العشوائي للمصطلح النقدي، فولد خلطاً وارتباكاً وغموضاً في الممارسات التي تتصل به، فتفاعلت وأصبحت مشكلة ذات سمة حادة في الدراسات النقدية الحديثة.

المشكلة الخامسة: تابعية النقد العربي للنقد الغربي:

وهي من أخطر مشكلات المصطلح، بل هي الأساس فيها، لاعتماد النقد العربي في الكثير من موضوعاته على المصادر والمراجع الغربية في تلقي المصطلح النقدي، وتشكيل مفهومه وأدواته النقدية والإجرائية، ومما زاد الأمر تعقيداً اختلاف النقاد العربي أنفسهم في مفهومهم للمصطلح لاختلاف ثقافتهم ومذهبهم النقدي.

ويبدو أن ذلك فرض على النقد العربي المعاصر أن يعيش حالة من الاغتراب والانقطاع عن جذوره، لأن معظمه مستمد من جذور غربية النشأة، نتيجة لتبعيّة النقديّة التي تكشف عن تأثر الكثير من النقاد العرب بالغرب وانفصالهم عن التراث النقدي العربي القديم، ففقد ميزة الإبداع الذاتي من باطن النصوص.

وتتبلور خطورة هذه التابعية النقدية في النهل من المصطلحات الغربية بطريقة عشوائية غير منظمة مما أدى إلى خلط واضح في مفاهيم المصطلحات وتضاربها، وغموض دلالاتها. خاصة مصطلحات الحداثة وما بعد الحداثة، والنقد التوليدي، والنقد التكويني، والنقد اللابنائي، والنقد التفكيكي، والنقد الموضوعاتي، والنقد العلمي، والنقد الثقافي، والبنيوية السيكولوجية، والبنيوية اللغوية، والبنيوية النحوية، والبنيوية الدلالية وغيرها. ولعل ذلك أسهم في جعل النقد العربي يعيش أزمة اصطلاحية خانقة يرجعها بعض النقاد إلى أزمة عربية عامة على جميع المستويات، "ولعلي لا أخطئ إذا زعمت أن إحساسنا العميق بالأزمة التي تلف وجوه حياتنا جميعاً وتتأصل فيها حياة عربية مأزومة، وثقافة عربية مأزومة، وإنسان عربي مأزوم، هو الذي دفعنا إلى "الانحياز المنهجي" أو إلى شطط الاستعارة من الآخر"[141].

وقد أدت هذه التبعية النقدية إلى اضطراب المصطلح وتكدسه داخل النصوص التي تحولت إلى عالمٍ مغلقٍ في وجه كل متلقٍ، مما دفع ببعض النقاد القول إن هذه الدراسات "تعج صفحاتها بما يسميه المؤلف "مصطلحات" مثل: "الجهاز المرجعي" و"التشابك المفهومي" و"التضافر الأسلوبي"، ولكننا إذا نخلنا المجهود المتراكم حصلنا على فوائد محدودة"[142]، لأنها لم تستنبط من داخل النصوص، ضمن سياقها الخاص بها، بل أنها كانت مجرد مفاهيم نقدية "أدخلت إلى الساحة العربية جاهزة قبل أن تنشأ الأعمال الأدبية التي تنطبق عليها، وهذا ما جعل قضية المصطلح في الوطن العربي تبدو قضية ترجمة وتعريب في المحل الأول"[143].

وعلى الرغم من تنبه الكثير من النقّاد إلى خطورة هذه التابعية النقدية، وما آل إليه النقد بعد انفتاحه على النقد الغربي والنهل عنه والإشارة لذلك في الكثير من الدراسات، إلا أن الناقد العربي نهل منه حتى وقع في المحظور "فتشتّتت رؤيته النقدية وبقى تائهاً، لا يجد إلى المسار السليم سبيلاً"[144]، فتدفقت الدراسات النقدية العالمية إلى النقد العربي، فأخذوا ينهلون منها رغبة في مسايرة التطور النقدي العالمي دون قيود أو ضوابط موحدة مما أوقعهم في الاضطراب، "لأن المعايير النقدية تسوى على عجل، والنقاد ينقدون دون تريث أو أناه، فتضطرب بين أيديهم جل المصطلحات، وتتداخل وتتحول الثقافة إلى أشتات منهجية تكاد تستعصي على محاولة ردها إلى منهج بعينه أو مناهج متقاربة"[145]، وقد أدى هذا النقل العشوائي الجائز إلى نقل مصطلحات غريبة مضطربة الدلالة لا تمت بصلة إلى النص الذي وضعت فيه، فازداد النقد اضطراباً وغموضاً وضبابية، وكل ذلك ساعد في ظهور أصوات كثيرة "تتحدث عن نقد معاصر لا عن نقد عربي معاصر"[146].

ولعل جري الكثير من النقاد العرب وراء نقل الكلمات مجردة من سياقاتها على اعتبار أنها مجرد مصطلحات وإسقاطها في الدراسات النقدية أفقدها دلالاتها وحولها إلى مجرد مصطلحات غامضة مبتورة من سياقها، عقيمة لا رؤية واضحة لها مما حرم المتلقي من تحديد المعنى الدقيق لها. وقد شاعت هذه الظاهرة في معاجم المصطلحات الأدبية والنقدية التي تزدحم بالكلمات غير الاصطلاحية على اعتبار أنها تقابل المصطلح النقدي الغربي، وهي لا حصر لها من مثل:

1- معجم المصطلحات الحديثة لمحمد العناني[147]:

الخطاب (**Discourse**) وإطار (**Frame**) والنقد المصمت (**Criticism**).

2- كتاب النقد وأوهام رواد الحداثة لسمير سعيد حجازي[148].

النقد الجديد (**Neuvelle Critique**)، والشعرية (نظرية الإبداع) (**Poe'tique**) والتشيؤ (**Re'ificatio**)، والنقد الأسطوري (**Mythe Critique**).

3- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب لمجدي وهبه وكامل المهندس[149]:

الانطولوجيا (**Ontology**)، وتحليل النص (**Explication**) والشعر الحر (**Free Verse**)، والشعر المنثور (**Prose Poems**)، والقصة (**Tale**)، والقص (**Narration**).

4- معجطم المصطلحات الأدبية لسعيد علوش[150]:

الأدب العام (**Litterature Generale**)، والشكل (**Forme**)، والأدب (**Litterature**).

5- كتاب الأسلوبية والأسلوب لعبدالسلام المسدي[151]:

التجديد (**Abstraction**)، والفعل (**Acte**).

6- كتاب بنية النص السردي لحميد الحميداني[152]:

استباق الأحداث (**Anticipation**)، واسترجاع أحداث الماضي (**Retrospection**).

إن تعدد المشكلات المصطلح النقدي، تكشف عن اضطرابه في الدراسات النقدية العربية الحديثة، وقد أسهمت جهود الدارسين في المؤتمرات والندوات، والبحوث، والدراسات المنتشرة، والمستمرة في الكشف عن هذا الاضطراب، وتناولوه بحثاً وتحليلاً، وأن ما يمر فيه المصطلح النقدي من مشكلات ما هي إلا ولادة طبيعية لأسباب عديدة أدت إلى غموضه وهامشية دلالاته ومن ثم اضطراب في استخدامه وتداوله مثل:

1- الترجمة الحرفية:

من الأسباب الرئيسة التي خلقت هذه المشكلات الترجمة الحرفية للمصطلح النقدي من اللغات الغربية إلى اللغة العربية، فالمترجم اقتصر دوره في عملية نقل المصطلح على النقل الحرفي بتحويل الكلمات والجمل الأجنبية إلى ما يعادلها في اللغة العربية مبتورة من سياقها، دون معرفة لفكرتها أو رؤية الموضوع أو اهتمامات الكتّاب، وخصائص الفكرة المجسّدة في النص الأدبي أو المناسبة التي أنتجت النص، فالترجمة الحرفية الشكلية لا الدلالية تفقد المصطلح النقدي خصائصه الجوهرية، مما يجعل المصطلحات غير مألوفة للمتلقي العربي، الذي يواجه أصلاً أزمة حادة مع النص، كما أنها "توحي بعدم تفاعلها مع مفردات لغتنا وثقافتنا العربية"[153].

وتعدّ ظاهرة الترجمة الحرفية للمصطلح النقدي وشكله وإغفال دلالته من أخطر الظواهر التي يعانيها المصطلح النقدي، لعدم وجود أسس ومعايير واضحة يعتمدها المترجم في عملية ترجمة المصطلح الأصلي، ولعل فقدان المعيارية المثلى في عملية ترجمة المصطلح أخفقت في تحقيق "اعتماد أسس الاصطلاح تواصلاً مع الأصل المعرفي وتأكيد –في الآن نفسه- على مشروعية المترجم كمشرّع أول شأنه شأن الواضع الأول"[154]. إذ إن فقدان الحس الجمالي والفني والوعي الذهني عند المترجم يمكن أن يؤدي بالترجمة الحرفية للمصطلح إلى تصور آخر لا علاقة له بالمعنى الأصلي للمصطلح، فتتضارب الصور وتتماهى في الحقل الدلالي الواحد، لتركيز المترجم على المعنى اللغوي دون الاهتمام بالدلالة، مما يؤدي إلى قتل المعنى الأصلي المراد من المصطلح.

ومما يزيد الأمر تعقيداً صدمة الدارس بالمتلقي الذي يجد صعوبة كبيرة في فهم دلالة المصطلح المقتبس، وبالتالي عدم فهمه للرؤية التي تجسدها النصوص للمصطلح الذي احتوته، من مثل: البنيوية والكلاسيكية والنفسبنيوية، والنقد المعياري، والنقد التكويني، والنزعة التوعوية، والتشريحية والشعرية والأسلوبية والتفكيكية والاستعارة الاستحوازية، والتحليل الكمي والتحليل الكيفي، والوعي الزائف واغتراب عقلي ونقد مداري والنص الظواهري والحوارية والوحدة القصصية وإنتاجية النص وبؤرة السرد وراوٍ مغاير، ورؤية من أمام ورؤية من خلف ونزعة تبريرية وتكوينية نصية وغيرها[155].

إن طبيعة المصطلح الذي وجد في ثقافة معينة لها خصوصية موروثة وهوية لغة يمنحه حرمته التي تحفظ للنص سياقه المعرفي، وهذا يتطلب من الناقل دربة وممارسة، وموهبة ذاتية ومعرفة منهجية واسعة، وقدراً من الاصطفاء الجمالي والإيقاعي، وحساً بالمسؤولية تجاه المصطلح، وذوقا مدربا إزاء اختيار المصطلح ضمن "منظومة مرجعية التراث ثم الاشتقاق العام، فالقياس، ثم الترجمة، ويدنو منها التعريب، ثم الافتراض، وفي النهاية يقع أمر النحت بما له وما عليه"[156].

2- سكونية المجامع اللغوية في الوطن العربي:

وهنا تكمن الخطورة، فقد ساهمت هذه المجامع على الرغم من كثرة الندوات والمؤتمرات التي تعقدها، والنشرات والكتب التي تصدرها في تطور هذه المشكلات، لأنها تبدو مجامع سكونية جامدة غير قادرة على توليد مصطلحات عربية من باطن النصوص، أو ابتكارها، أو صناعتها أو توحيدها على الرغم من الهدف الرئيس من تأسيس هذه المجامع في الدول العربية هو وضع المصطلحات اللغوية الدالة لما يظهر من مبتكرات في كافة المجالات "غيّر أن تأثير هذه المجامع في التداول اللغوي محدود جداً وأن اجتهادها قد زاد التشتت تفاقماً"[157].

ومما يؤكد الأمر أن تقصير اهتمام هذه المجامع اللغوية في ابتكار المصطلح النقدي وإبداعه، يعزى إلى اهتمامها الواضح في المصطلحات العلمية، خاصة في موجة ثورة العولمة والحداثة وما بعد الحداثة، مثل: مصطلحات الحاسوب، والمصطلحات الطبية، والفيزيائية، والعلمية برمتها.

وقد اقتصر الاهتمام بالمصطلح النقدي على جهود فردية، وإبداعات محدودة لم تنل الفرصة الكافية للتواصل التام مع المصطلحات كافة، لعدم اهتمامها بالمصطلح النقدي بشكل مستقل، بل نقله جاهزاً ضمن سلسلة مصطلحات العلوم الإنسانية التي تعدّ المصدر الأصلي لهذه المصطلحات، فالناقد الأدبي جيَّر هذه المصطلحات إلى مناجمه واستخدمها في دراساته النقدية،

مثل: علم اجتماع اللغة، وعلم اجتماع الأدب، وعلم اجتماع الأجناس الأدبية، وعلم اجتماع القراءة، وعلم اجتماع النص، وعلم اجتماع الرواية، واللاوعي، والوعي الفعلي، واللاشعور، والشعور النفسي، والتحليل النفسي للنص، والسيرة النفسية، والبنيوية السيكولوجية[158]، واللاشعور الجمعي وما وراء الشعور أو شبه الشعور أو العقل الباطن والإدراك الحسي والتصور والتخيل وتداعي المعاني والانفعال والوجدان[159]، وتأويل الأحلام، التي استلت جميعها من الدراسات الاجتماعية والنفسية والتحليل النفسي، وعلم نفس الأدب.

وقد تبلورت هذه الجهود الفردية في بعض المعاجم اللغوي والاصطلاحية والأبحاث، وفي بعض أذيال الكتب منها: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة لسعيد علوش، ومعجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب لمجدي وهبه وكامل المهندس، ومعجم المصطلحات الأدبية الحديثة لمحمد عناني، وموسوعة المصطلح النقدي لعبد الواحد لؤلؤة، ومعجم مصطلحات النقد الحديث لحمادي الصمود، والمعجم الأدبي لجبور عبدالنور، ودليل الناقد الأدبي لنبيل راغب، ودليل الناقد الأدبي لميجان الرويلي وسعد البازعي.

ورغم كثرة هذه المعاجم، إلا أن الدراسات النقدية الحديثة التي انتشرت فيها مئات المصطلحات النقدية، تفتقد إلى معاجم بارزة ومنظمة وفق معايير واضحة تسعف الدارس للتخلص من غموض المصطلح وازدواجيته، كما أن عمل هذه المصطلحات لا يتعدى النزوع الوطني الذي أخذ يسيطر على صياغة المصطلح، كما عند مجدي وهبة في مصر إذ يقول: "لا يتعلق الأمر بتفسير المصطلحات الأوروبية، واقتراح مقابلاتها العربية، بل بملاحظة المصطلحات في استعمالاتها الفعلية بمصر"[160]. "والترويج للمصطلح في بلد ما ورد الاعتناء ببعض منازع النقد في أوروبا خاصة في فرنسا في فترة ما بعد الخمسينات، وهي منازع بدأت تتسرب إلى النقد العربي"[161]، كما عند عبد السلام المسدي، أو الالتزام بمنهجية محددة واتجاه معين كما عند حمادي الصمود، أو الترجمة الحرفية لأجل ترويجها في الوطن العربي كما عند عبد الواحد لؤلؤة ومحمد عناني، أو قراءة المعاجم الغربية ومحاولة ترجمة انتقائية لما يعتبره حصيلة ممكنة التسويق في العالم العربي[162]. بالإضافة إلى التزامها نزعة تصنيعية توحي بطمأنينة وهمية، وتقتصر في عملها على إبراز عيوب للمصطلحات لا تحليلها، واعتمادها معطيات تلقينية تعزل مدونة عن أخرى "بدل إيجاد شبكة علائق ممكنة: (معرفية/ ابستمولوجية) تعيد الوحدة الضمنية إلى المصطلح النقدي الدينامي الذي يعمل على نمط من التطور لا يحول بين المصطلح والسياق، ولا يؤدي إلى قطعية معرفية تحد من قدرة توالده أو إحالاته على مرجعيات نصية"[163].

3- تنوع المناهج النقدية:

يلاحظ المتتبع لمسيرة الحركة النقدية العربية الحديثة عبر تاريخها الطويل، تنوع المناهج النقدية، وتعدد مصادرها الغربية واختلاف مناهجها، وكل منهج يفرز مجموعة من المصطلحات الخاصة به تحيل إلى مدارس مختلفة، يتناولها النقّاد في دراساتهم، فتولد وتسود وتهيمن وتنتشر ثم تضمحل وتتقوقع، فينتقل الناقد إلى منهج جديد يفرز مصطلحات جديدة خاصة به، علاقتها مبتورة في المنهج السابق لا جذور لها في التراث النقدي العربي، وهم يقومون بذلك "في غياب منهج شامل ينطلق من خصوصية حضارية مستقلة"[164]، وغياب الضبط المنهجي المتكامل والواضح لأسباب تتصل بتعدد الاتجاهات والمساهمات النقدية الأخرى كالبنيوية والنفسية وغيرها مما أدى إلى عدم وضوح الحدود الفاصلة والتحديدات التي قدمت للمفاهيم والمقولات والأنماط التي تشكل الأساس الاصطلاحي. وهذا يفرض ظهور كمٍّ هائل من المصطلحات النقدية الخاصة بكل منهج التي وظّفها الكتّاب في دراساتهم، مثل[165]: الكلاسيكية، والرومانسية، والواقعية، والواقعية التشاؤمية، والواقعية التفاؤلية، والرمزية والبنيوية، والحداثية، والشعرية، والسردية الفينومينولوجية، والظاهراتية، والكوميدية، والأنطولوجية، والميثولوجيا، والشيفرة، والكود، والسرد، القص، والحكي، والأسطورة، والكائن اللغوي، والنص، والمبدَع والراوي والمتلقي والمحلل ونظريات الخطاب والحكاية. وكلها مصطلحات لا جذور لها في تراثنا النقدي العربي، مصدرها النظريات النقدية الغربية المتضاربة الجذور والنشأة، مما لا يجعل نقلها إلى اللغة العربية يأخذ صيغة نهائية موحدة يقف عندها الدارس، فيولد مرادفات متعددة واستخدامات مختلفة للمصطلح الواحد. من هنا فإن مهمة الناقد العربي تقتصر على عملية النقل المجرد لهذه المصطلحات، لأن معرفته بها مرتبطة "بمسائل نظرية أو منهجية على صلة بالمناخ الذي نشأ فيه"[166] هذا المصطلح، فتبقى الجهود محدودة في وضع ترادفات عديدة للمصطلح الواحد واستخدام المصطلح الواحد للدلالة على عدة فقط، لا صناعته وابتكاره وكل ذلك أحدث ثورة في علم المصطلح النقدي، وفي نظامه، وبالتالي وضع هذه الدراسات النقدية في مأزق كثيرة أدت إلى موتها، وظهور دراسات نقدية جديدة مغايرة لها، خاصة في علم اللسانيات وعلم السرديات، وعلم الرواية، والبنيويات والحداثة، ويعود ذلك لأسباب عديدة منها:

أ- اختلاف ثقافة الناقل:

فبعضهم ثقافته أجنبية، يقرأ الأدب ونقده باللغة الأجنبية، سواء كانت هذه اللغة فرنسية أو إنجليزية أو إسبانية أو إيطالية، عاشها ومارسها ودرس الأدب ونقده من خلالها مما يجعلها تظهر بوضوح في صياغته، وبعضهم ذو "ثقافة مضطربة يقرأ الأدب الأجنبي ونقده بالعربية"[167]، وبعضهم ثقافته عربية ينقل بعشوائية مضطربة من كافة الدراسات. وكل ذلك أوقعهم في الخلط

والاضطراب في الاستخدام والتداول، نتيجة إلى تفاوت المعرفة الاصطلاحية التي كشفتها الدراسات النقدية العربية الحديثة، والنقل من مصادر غير دقيقة مما يوقعهم في جهل فهم المصطلح فهماً دقيقاً لعدم معرفة الظروف التي خلقت المصطلح النقدي الغربي، والبيئة التي نشأ فيها، وبالتالي يقتصر دورهم فقط، خاصة النقاد ذوي الثقافة العربية على نقل "ما يكتب عن الأدب من مقالات وما ينقل عن النظريات الغربية من مصطلحات"[(168)] ودراسته.

ب- تعدد لغات المصطلح النقدي.

ومما يزيد الأمر تعقيداً أن هذه المصطلحات النقدية، نقلت عن لغات متعددة، مثل الإنجليزية والفرنسية والألمانية، ولكل لغة سماتها وخصائصها ومفرداتها، واختيارها للفظة المناسبة للمصطلح، وكثيراً ما يختلف معنى المصطلح في لغة ما عن معناه في اللغة الواحدة "لتعدد الجماعات المستعملة للغة واختلافها أو لتطور الاصطلاح"[(169)]، أو أخذ المصطلح من مفاهيم أوروبية ترجع إلى جذور إغريقية أو جرمانية، أو رومانية أو يونانية، أو ما تفرع عن اللاتينية من إيطالية وفرنسية وإسبانية أو اختلاط الجذور الجرمانية بالجذور اللاتينية، مما يجعل نقلها إلى اللغة العربية مضطرباً يفتقد إلى صيغة نهائية موحدة يقف عندها الدارس، أما الاشتقاق فأغلب صيغة مشتقة عن اللاتينية بالإضافة إلى الترجمة، وهذا كله يتطلب ثقافة واسعة ودراية تامة، وحسن لغوي، وذوق فردي، ومعرفة واسعة باللغات، وهذا ما يفتقده الكثير من الدارسين.

كما أن خصائص اللغات الأجنبية التي يتم النقل عنها خاصة اللغتين الإنجليزية والفرنسية، تختلف عن خصائص اللغة العربية، لأنهما لغتان لا إعرابيتان، تعتمدان صفة التركيب المزجي، وهذا ما لا نجده في اللغة العربية التي تكره المزج والتطويل، والأمثلة عديدة منها[(170)]:

بنائي ← **(Structural)**

إتباعي ← **(Classique Classic)**

خيالي ← **(Imaginary Imaginaire)**

وهذه النسبة تدخل عليها اللواحق مثل: **(Ic, al, aire, isque)**

ولعل تعدد لغات المصطلح الواحد جعلت الكثير من النقاد يستخدم بعض المصطلحات النقدية وكأنها أوجه لعملة واحدة مثل:

البنيوية ← **(Structuralism)**

السيميولوجيا ← **(Semiology)**

السيميوطيقا ← **(Semiotics)**

وبالعودة إلى جذورها يلاحظ أن مصطلح البنيوية من جذور لاتينية ويعني البناء، وجذور مصطلح السيميوطيقا، السيميولوجيا هو: (سيميو) اليوناني الأصل ويعني: (علامة) **(Sign)**. إضافة إلى أن البنيوية هي: مذهب أو حركة فكرية، أو مدرسية فكرية، أما السيميولوجيا فهي تعني: (العلم)، أما السيميوطيقا فهي صيغة تقنية تشير إلى حقل معرفي. ومما يزيد الأمر اضطراباً وخلطاً أن هذه المصطلحات النقدية مختلفة من حيث الولادة والنشأة، فمؤسس البنيوية كلود ليفي – شتراوسس (1908) واختصاصه علم الأنثروبولوجيا، وصاحب السيميوطيقا تشارلز سوند رز بيرسي الأمريكي (1839-1914) واختصاصه العلوم الطبيعية والرياضيات، ومؤسس السيميولوجيا فردينان سوسير السويسري (1875-1913) واختصاصه علم الألسنيات وعلم الأصوات[171]. وكل ذلك دفع النقاد إلى اعتماد اجتهادات ذاتية، حسب رؤيتهم وثقافتهم في توضيح مفهوم المصطلح ودلالته، فوقعوا في التخبط النقدي كما حدث في الغرب من سلبيات في صنع المصطلح النقدي.

ولعل تعدد اللغات التي يستقي منها الناقد مصطلحاته النقدية فرضت ما يعرف بازدواجية المصطلح الحتمية، وتضاربه في الدول العربية، لأن النقد في المغرب العربي وبعض دول المشرق العربي ينقل عن اللغة الفرنسية، والنقد في بعض دول المشرق ينقل عن اللغة الإنجليزية، إضافة إلى "تعدد واضعي المصطلحات في الوطن العربي، وعدم اختبار مدى قبول الجمهور للمصطلحات الجديدة، وصعوبات متعددة تواجه عملية النشر والتوزيع"[172].

ومن أمثلة ذلك مصطلح (الألسنية) الذي عرف بتسميات عديدة، إذ عرف في المشرق العربي بمصطلح (علم اللغة) في مصر في كتاب علي عبدالواحد وافي 1941م، وعرف في فلسطين ولبنان تحت عنوان (الألسنية) وعرف في الأردن بعنوان (اللسانيات)، أما في المغرب العربي، فقد عرف في تونس بمصطلح (الألسنية)، وفي الجزائر وضع تحت عنوان (اللسانيات)، وفي المغرب العربي استخدم مصطلح (اللسنُيّات) ومصطلح (اللسانيات)[173].

وانطلاقاً من اختلاف ثقافة الناقل نادى بعض نقاد تونس بمصطلح (الهيكلية) وبعض نقاد مصر (البنائية) وثم (البنيوية)، ثم (علم الأسلوب) وفي السعودية مصطلح (التشريحية)، ومصر بمصطلح (التقويضية) ومصطلح (التفكيك)، و(السنن)، و(التفكيكية) في المغرب، و(الشفيرات) في مصر، و(الراموز) في سوريا، وكلها ترجمة لمصطلح (الكود)[174].

وعرفت نظرية (التلقي) عند المغاربة، ونظرية (الاستقبال) عند المشارقة وهي ترجمة لمصطلح واحد هو: **(Reception)**[175].

ج- تعدد نظريات الخطاب غير المتجانسة وغياب الأنساق الثقافية:

فالمصطلح المنقول من لغة الأم الأصلية والناقلة عن جذور لغة أخرى مغمورة، إلى اللغة المنقول إليها لا يتسق في نمط واحد، بل بأنماط متعددة ومتغايرة مما جعل المصطلحات النقدية متعددة ومشتتة لا تخضع لخطاب موحد، وأن معانيها غير محددة، لأن المصطلح النقدي يتغير معناه وفقاً للأوضاع السائدة التي يستخدمها، فاللغة تختلف من أمة لأمة، ومن ترجمة إلى ترجمة، تبعاً لتحول المفاهيم الثقافية بفعل التحولات الاجتماعية، ووفقاً لاتساقها الثقافية، فهي: "ليست نظاماً من المعاني يشترك فيها كلّ إنسان، إذ أن اللغة في صورتها الشمولية المطلقة لا وجود لها، لأن هناك لهجات وعاميات واستخدامات متعددة في نطاق اللغة الواحدة[(176)]، ويعود ذلك كله إلى ظهور نظريات الخطاب غير المتجانسة في الغرب، والتي كان لظهورها في شتى فنون المعرفة ظهور الكثير من المصطلحات التي ترتبط مع بعضها من حيث النزعة العلمية. وقد أظهرت الدراسات النقدية الحديثة العلاقة الواضحة بين دراسات العلوم الإنسانية مثل: (علم الاجتماع وعلم النفس وعلم السياسة وعلم اللغة) من خلال الموضوعات المشتركة التي أخذت تجتاح مسرح الدراسات منذ نهاية القرن العشرين، مما أدى إلى ظهور مصطلحات نقدية جديدة مثل: **(علم اجتماع الأدب، وعلم نفس الأدب، والأدب والأيدلوجيا، والالتزام الأدبي، والإدراك الحسي، والتصور، والتخيل، والتفسير الأسطوري للأدب، والرواية، والتاريخ، والخيال الروائي الابتكاري، والأدب كمؤسسة اجتماعية والقارئ من الزاوية الاجتماعية وعلم اجتماع القارئ والأدب كإنتاج والوعي التاريخي والأعراف الفنية والجمالية)**[(177)] وغيرها، وكلها من نظريات الخطاب الغربية التي لها أنساقها الثقافية الخاصة بها، وبالتالي فإن نقلها جاهزة ومجردة من نسقها الثقافي إلى الساحة النقدية العربية قبل أن تنشأ الأعمال الأدبية التي تنطبق عليها أدى إلى اضطرابها، لفقدان الإبداع، والابتكار، والصناعة الاصطلاحية، فتغير النسق الثقافي للمصطلح "قد يؤدي إلى تغير المصطلح النقدي وجهاز المفاهيم الكامن في ثناياه"[(178)]. كما يؤدي إلى اضطراب واضح في المصطلح النقدي، وهذا ما تشير إليه الكثير من المؤتمرات والندوات والبحوث التي وقفت عند هذه الظاهرة محاولة تجاوزها والاتفاق على أسس ثابتة لأجل توحيدها، مثل مؤتمر النقد الخامس في اليرموك 1994م، ومؤتمر الثقافة العربية من تحديات الحاضر إلى آفاق المستقبل: نحو خطاب ثقافي جديد في القاهرة عام 2003م، وندوة حوار المشارقة والمغاربة قضايا ثقافية ولغوية، 2006م، وقضايا المصطلح النقدي التي نشرت في فصول سبتمبر 1987م، وندوة الألسنية واللغة العربية في تونس 1978م، وندوة علامات حول قضية المصطلح العلمي في يونيو 1993م وغيرها. وكلها تهدف لتخلص من مشكلات المصطلح النقدي واضطرابه.

4- غياب النظرية النقدية العربية:

وهي من الأسباب التي أفضت إلى خلق العديد من مشكلات المصطلح النقدي، وأكثرها أهمية المشكلات قيد الدراسة الحالية. وساهم غياب النظرية النقدية العربية في إعاقة حركة تطور النقد العربي وازدهاره. وهنا تكمن الخطورة، لأنه أصبح عاجزاً عن تخطي أزمات المصطلح النقدي ودراسته عبر تاريخه الطويل، واستنباطه من داخل النصوص، مما دفع النقاد لنقل المصطلحات النقدية جاهزة من نظريات النقد الغربي بطريقة حرفية عشوائية لتجنبهم بذل المزيد من الجهد في صناعة المصطلح، فخلقت هذه الحالة من الركون إلى المصطلح النقدي الكثير من الفوضى والخلط في المصطلح ومن ثم الاضطراب في الاستخدام والتداول. وكل ذلك بسبب بتر الإجراءات النقدية وحصرها في عملية التلقين لا الابتكار، والاعتماد على ما ترجم منها في دراسة النصوص الإبداعية العربية كسلعة جاهزة للهضم، وبذلك يتم استبعاد إجراءات هامة مثل: "التميز والتقدير والمفاضلة والتحليل والتفسير، وهي إجراءات من صلب العملية النقدية عبر تاريخها الطويل"(179). وكل ذلك ساهم في إلغاء محاولة وضع نظرية نقدية عربية خالصة، قادرة على استخراج المصطلحات من باطن النصوص النقدية الأدبية. وعلى الرغم من الجهود التي بذلت من تونس لاقتراح نظرية نقدية عربية، إلا أنها لقيت معارضة واضحة من السعودية، لأن المصطلح ليس كل شيء ولكنه ليس إلا مشكلة جزئية بدعوة عدم اختلاف المصطلح بطبيعته عن كلمات اللغة الأخرى، وعدم صياغته بمعزل عن البحث، فالمشكلات لا تعود إلى غياب البحث بقدر ما تعود إلى البحث ذاته"(180).

ولعل عدم وجود منهج علمي وشروط واضحة لصياغة المصطلح مثل: وضوح المعنى وتحديد الفكرة مباشرة أو الصلة بين لغة المصطلح والنص يعود لفقدان النظرية النقدية العربية المنظمة، أدى إلى تراكم المصطلحات الجاهزة المنقولة وانتشارها.

وبنظرة متفحصة إلى التراث النقدي العربي القديم، يلاحظ أنه لا يخلو من جهود منهجية منظمة لتأهيل المفاهيم النظرية الأدبية، من خلال الملاحظات والأقوال والآراء والكتب المستقلة، و"المحاولات الجادة لوضع أصول نظرية عربية لم تكتمل أو لم تجد من يطورها"(181)، وكلها جديرة بتأهيل المصطلح النقدي وابتكاره.

والمتتبع لحركة هذه النظريات النقدية يلاحظ أنها لم تكتمل، وقد ظهرت بوادرها عند الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني، إلا أنها حصرت في المجال النظري ولم تتجاوز إلى التطبيق الفعلي، وبالتالي تبقى هذه النظريات ضمن أفق الإطار النظري الشكلي، وهذا يتطلب عودة جادة إلى التراث النقدي القديم لاستقصاء الآراء النظرية في التراث لدراسة المصطلح النقدي وفق

منهج علمي واضح، وأنساق خاصة به لتغير الكثير من الرؤى والمواقف حول النقد القديم، وهي مهمة ملحة وجادة إذا أردنا ابتكار المصطلح الخاص بنا.

5- غياب المؤسسات العلمية المسؤولة.

ويبدو أن ما يعانيه المصطلح النقدي من مشكلات على مستويي الدال والمدلول أو على اختلاف مسمياتها وأشكالها وتنوعها يعود إلى غياب مؤسسات علمية مسؤولة وقادرة على تنسيق مختلف الجهود المبذولة في هذا المجال سواء في المغرب العربي أو المشرق العربي، وفرض احترامها لتجاوز الضعف البارز والحاصل في أداء المؤسسات الحالية والمتمثلة في الجامعات ومكتب تنسيق التعريب والمجامع اللغوية والجهود الفردية التي تعتمد على الرؤية الأحادية للمصطلح لمواكبة التطورات السريعة والمتلاحقة لمسيرة المصطلح النقدي والبحث العلمي في هذا الميدان "مما يترك المجال واسعاً للمبادرات الفردية لتدارك الموقف وتعويض الخصائص، بكل ما لذلك من مضاعفات سلبية عديدة ومختلفة، بتعدد أصحابها، واختلاف مؤهلاتهم ومرجعياتهم"[(182)].

ولعل إنشاء مثل هذه المؤسسات العلمية التي تعنى في المصطلح النقدي قد تعمل على التخلص من الاضطراب الذي يعانيه، والفوضى التي تجتاح الممارسات النقدية وتطبعها بطابع والتشتت لدرجة يشعر معها المتلقي وكأنه أما تخصصات مختلفة متباعدة تنهل منها الدراسات النقدية بطريقة عشوائية مما ينعكس سلباً على تشكيل المصطلح وصياغته ودوره الفاعل في توحيد النص. ولعل ظهور مثل هذه المؤسسات العلمية المتخصصة في صياغة المصطلحات يسهل عملية جمع المصطلحات المستحدثة وتنسيقها والانتقاء منها بما ينسجم وخصوصية النص الأدبي العربي خاصة وأن الناقد يعيش في عصر استحدثت فيه الكثير من الفنون وأخذ ينهل منها، ووضعت مصطلحات كثيرة تعبر عنها وتدل عليها.

إضافة إلى ذلك فإن مثل هذه المؤسسات قد تسهم في رصد المصطلحات النقدية من خلال كتب البلاغة والنقد القديمة كذلك في كتب الأدب واللغة وكتب المصطلحات والفلاسفة وجرد أهم الكتب النقدية الحديثة وكتب الأدب المترجمة والاطلاع على بعض موسوعات الأدب الأجنبي وتعريف المصطلح النقدي تعريفاً وافياً، والوقوف على اختلاف المذاهب الأدبية في تحديده، وذكره بلغة أجنبية واحدة أو أكثر لمعرفة المقابل الأجنبي والاستفادة منه عند الترجمة أو التأليف.

ولعل مثل هذه الكتب تزدحم في المصطلحات النقدية التي قد تيسر الوقوف على المصطلحات وتطورها على يد عدد من الباحثين من ذوي النظرة الموسوعية والرؤية السليمة. ومن جهة أخرى تسليط الضوء على المصطلح النقدي من حيث الانفتاح والتوسع ليتم التخلص

من تغيير مسميات المصطلح وبعض سماته الدلالية عند تغيير مستخدميه ولإبراز الخصوصية النقدية له. وهذه الإجراءات اتجاه المصطلح لن تتم إلا بوجود وعي بأهميته ومكانته داخل الخطاب النقدي والحرص على تجذيره وتأصيله وضبطه من حيث المفهوم قبل الخوض في الممارسة والتطبيق بل الوعي التام بأنه نواة المنهج ولبه، لأن "الفشل في ترجمة المصطلح أو تعريبه – كما يرى بعض النقاد – عبر تأصيله وتأثيله، ضمن طرائق فيللوجية ومعرفة وفشل في مواجهة الخطاب النقدي، وبالتالي المسار النقدي عموماً"[(183)].

إضافة إلى ذلك الاجتهاد في صياغة تحليلات موضوعية بشأن المصطلح، "تكفل مقاربة صحيحة، وممارسة تطبيقية موفقة قد تحد من الخلط والفوضى المصطلحية التي تعج بها الساحة النقدية العربية الحديثة نتيجة غياب تنسيق جماعي موحد في هذا المجال"[(184)]، وتنمح المصطلح النقدي خصوصيته كما هو الحال في المصطلحات العلمية "التي عني بها الدارسون وضبط المصطلح داخل المعاجم المختصة والبنوك الاصطلاحية"[(185)] أو توثيقها عن طريق استخدام الحاسوب بطريق منظمة وواضحة.

الخاتمـة

وأخيراً فإن هذه المشكلات في المصطلح النقدي ما هي إلا نتيجة لحرفية الترجمة وتنوع المناهج النقدية واختلاف ثقافة الناقل وتعدد لغات المصطلح وتعدد نظريات الخطاب غير المتجانسة وغياب الأنساق الثقافية، وتقصير المجامع اللغوية، والمؤسسات العلمية المسئولة، والجامعات بلم شتات هذه المصطلحات وتوحيدها، وعدم وجود معجم نقدي عربي حديث وموحد للمصطلحات. ولعل تخطي هذه المشكلات في المصطلح النقدي العربي الحديث يتطلب جهوداً جادة ومتضافرة لابتكاره وإبداعه، وهذا لا يتم إلا بالعودة إلى التراث النقدي العربي القديم لدراسة المصطلح النقدي العربي، وتطوره عبر مسيرته النقدية الطويلة "في سياقيه الداخلي والخارجي" ضمن منهج علمي واضح، والحرص في انتقاء المصطلحات الغربية بما يتلاءم وطبيعة الدراسات النقدية العربية، لأن ذلك سيغير الكثير من الآراء الجادة والمواقف المتعددة حول النقد العربي، ويسهم في تخليص المصطلح النقدي من آفة الترجمة الحرفية المجردة، وتقليد المصطلح الغربي، ونقله جاهزاً مبتور الجذور، وكذلك تحرير المصطلح من قيده المؤسسي وشيوعه العشوائي في الدراسات النقدية العربية الحديثة، لأجل تحديد الأداة النقدية التي تشكل البؤرة الأولى في وضع أسس النظرية النقدية العربية، خاصة وأن جذورها قد وجدت، ووجد فيها إرث نقدي واضح يسهم في ظهورها، ويمكن تفصيلها وتطويرها لتوليد المصطلحات واستنباطها من باطن النصوص، بدلاً من إبقائها صرخة في واد، لتكون تعبيراً عن الفاعلية التي يتمتع بها النقد العربي وتعبيراً عن تفاعلنا في حاضرنا مع هذه الفاعلية.

كما يتطلب التخلص من هذه المشكلات وتجاوزها، السعي نحو تأسيس معجم موحد جاد للمصطلحات النقدية تسهم فيه الفئات المعنية كافة بأمر المصطلح النقدي لأجل رصد المصطلحات النقدية العربية وتحديد دلالاتها وتطوير معانيها في مدد زمنية مختلفة والانتقاء منها بما يفيد النقد العربي الحديث لفتح الطريق أمام دراساتهم وليجعلهم يصدرون عن منهج موحد يقوم على الدقة والموضوعية ووضوح الرؤية، وتفعيل دور كل من المجامع اللغوية والمؤسسات العلمية المسئولة في إبداع المصطلح النقدي وابتكاره وتوحيده لأنه مفتاح العلوم والفنون، ولن يكون ذلك إلا في التخلص من سلبياتها ودورها السكوني والتلقيني؛ لأنها من أكثر المراكز تواصلاً وسلطة معرفية.

إن مثل هذه المهمات الجادة والدؤوبة والمحاولات المخلصة قد تغيّر في وضع المصطلح النقدي والكثير من مفاهيمه، وقد تؤدي إلى صياغة مصطلحات ضمن سياق واضح من باطن النصوص، وخلق خصوصية اصطلاحية عربية، وهي مهمات ومحاولات صعبة تتطلب تكاثف الجهود وإقامة الموازنات والمقارنات بين الإنتاجين النقديين القديم والحديث، وكل ذلك يعكس وعياً مشتركاً بأهمية المصطلح النقدي العربي، وطموحاً شديداً في امتلاكه، لكن الطموح لا يعني دائماً بلوغ الغاية أو تحقيق الهدف.

Aspects of the Critical Terminology problems in the Modern and the Contemporary Arabic Criticism Studies

Muntaha Alharahsheh, *Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts and Humanitirs, Al al-Bayt University, Mafraq, Jordan.*

Abstract

This research deals with major problems related to the critical terminology in the modern and the contemporary Arabic criticism studies, namely: the multiple names of one notion, term usage to signify several notions, the lack of terms innovation process, and the following and the imitating of West. Motives of this research are, firstly, to identify reasons behind these problems. Secondly, to clarify impact of such problems on modern and contemporary Arabic criticism, and thirdly to introduce a methodical ways, may, help in solving such problems. This research has demonstrated that the paradox is, after all, a reason that would lead to results, because in the absence of innovation, originality, vision, philosophy and method in Arabic criticism, all these reasons can only result in ambiguity and marginalization and thus, lead to confusion in usage and handling.

Keywords: (Arabic Criticism, Modern Criticism, Terminology, Critical Terminology).

قدم البحث للنشر في 2008/1/14 وقبل في 2008/4/10

الهوامش:

(1) التهانوي، علي محمد فاروق: **كشاف اصطلاحات الفنون**، تحقيق: لطفي عبدالبديع، ج1، القاهرة، 1963م، ص1.

(2) أنيس، إبراهيم وآخرون: **المعجم الوسيط**، ج1، القاهرة، مايو 1972م، ص52، مادة صلح.

(3) ابن منظور ت(711هـ/1311م): **معجم لسان العرب**، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1995م، مادة صلح.

(4) البستاني، عبدالله: **البستان**، ج1، بيروت، 1927م، ص1349.

(5) الجرجاني، علي بن محمد شريف ت(816هـ/1215م): **التعريفات**، ط1، مكتبة للبنان، بيروت، 1985م، ص28.

(6) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيبي ت(1094هـ): **الكليات**، ج1، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، دمشق، 1981م، ص201.

(7) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني ت(1145-1205ق): **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج2، القاهرة، مادة صلح، ص183.

(8) جاد، عزت: **نظرية المصطلح النقدي**، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2002، ص32.
وانظر: جاد، عزت: المصطلح النقدي المعاصر بين المصريين المغاربة، **مجلة فصول**، مجلد2، عدد3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2003، ص112.

(9) عبدالرحيم، عبد الرحيم محمد: أزمة المصطلح في النقد القصصي، **مجلة فصول**، المجلد السابع، العددان الثالث والرابع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سبتمبر 1987م، ص98.

(10) القاسمي، علي: **مقدمة في علم المصطلح**، ط1، دار الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، 1985م، ص6.

(11) نفسه، ص68.

(12) ياغي، عبد الرحمن: المصطلح النقدي بين التراث والوعي الجمعي، **مجلة دراسات**، ع175، الجامعة الأردنية، عمان، 2003م، ص31.

(13) جاد: نظرية **المصطلح النقدي**، مرجع سابق.

(14) العجلوني، نايف: الحداثة والحداثية: المصطلح والمفهوم، **مجلة أبحاث اليرموك**، المجلد 14، العدد2، إربد، الأردن، 1995، ص106.

(15) المسدي، عبد السلام: اختلاف المصطلح بين المشرق والمغرب، حوار المشارقة والمغاربة، ج2، **مجلة العربي**، وزارة الإعلام، الكويت، 5 أكتوبر 2006.

(16) المسدي: المصطلح النقدي وآليات صياغته، **مجلة علامات**، ج8، عدد 12، يونيو 1993.

(17) علوش، سعيد: انزياحات المصطلح النقدي في الخطاب الأدبي العربي المعاصر، **مجلة العلوم الإنسانية**، تونس، صيف 1999.

(18) نجم، مفيد: الكتابة النسوية إشكالية المصطلح التأسيس المفهومي لنظرية الأدب النسوي، من الموقع الإلكتروني **http://www.nizwa.com/volume42/p86-93.html**.

(19) الفيومي، إبراهيم: إشكالية المصطلح النقدي في مواجهة النص الروائي، **مجلة جامعة دمشق**، المجلد السادس، العدد الثاني والعشرين، دمشق 1990.

* يمكن النظر في الكتب والمعاجم النقدية الحديثة، والمقالات والدراسات والأبحاث والمجلات لتتبع هذه الظاهرة الاصطلاحية في الوطن العربي.

(20) الربيع، آمنة: **البنية السردية للقصة القصيرة في سلطنة عمان**، 1980-2000م، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2005م، ص38، 44، 65. وانظر: عبدالرحيم، أزمة المصطلح في النقد القصصي، **فصول**، مرجع سابق، ص100. وانظر أبوهيف، عبدالله: **القصة القصيرة في سورية من التقليد إلى الحداثة**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004م، ص18، 19، 24، 50. وانظر: فتحي، يحيى: **عطر الأحباب**، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1986، ص99.

(21) الخمليشي، حورية: الشعر والنثر.. السياق التاريخي والمفاضلة، انظر الموقع الإلكتروني **http://www.nizwa.com/volume45/p.57-78.html**. وانظر في المجلات التالية: **أبوللو، الكاتب، الرسالة**، أو في تقديم الشعراء والنقاد لبعض الدواوين الشعرية الحديثة والمعاصرة. وانظر الموقع الإلكتروني: **http://www.doroob.com/?p-8335**.

(22) نجم: الكتابة النسوية، إشكالية المصطلح التأسيس المفهومي لنظرية الأدب النسوي، مرجع سابق. وانظر: الأعرجي، نازك، **صوت الأنثى**، ط1، دار الأهالي، دمشق، 1997، ص26، 27، 28، 31، 35، 198. وانظر: الجلاصي، زهرة: **النص المؤنث**، ط1، دار سارس، تونس، 2002، ص11، 12. وانظر: أبو النجا، شيرين: **نسائي أو نسوي**، ط1، منشورات مكتبة الأسرة، القاهرة، 2002، ص7، 8، 9، 10.

(23) انظر الموقع الإلكتروني، مواسي، فاروق: إشكالية المصطلح، **http://www.doroob.com/?p-8335**. وانظر: عبدالرحيم، **أزمة المصطلح في النقد القصصي**، مرجع سابق، ص99.

(24) وهبة، والمهندس: **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص190، وانظر: الشمعة، خلدون: **الشمس والعنقاء**، ط1، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1974م، ص40 وما بعدها.

(25) جاد، عزت: **نظرية المصطلح النقدي**، ص365، وانظر: بو حسن أحمد وآخرون: **نظرية التلقي إشكالات وتطبيقات**، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1981م، ص18. وانظر: برادة، محمد: **التلقي والتأويل مقاربة نسقية**، ط1، المركز الثقافي المغربي، المغرب، ص143.

(26) **Dictionary of Linguistics and Phonetics**, Blackwell, Oxford and Cambridge, 1989, P. 275.

(27) الشيخ، ممدوح: التفكيكية من الفلسفة إلى النقد الأدبي، **مجلة الآطام**، العدد الثامن، نادي المدينة المنورة الأدبي، السعودية، شعبان، 1421-نوفمبر2000م، ص47-58.

(28) الماضي، شكري: **في نظرية الأدب**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2005، ص157.

(29) عياد، محمد: الأسلوبية الحديثة، محاولة تعريف، **فصول**، المجلد الأول، العدد الثاني، يناير 1981م، ص124.

(30) الصمود، حمادي: نموذج من انحسار المجال الدلالي، **علامات**، ج8، م2، محرم 1414هـ يونيه 1993م، ص149. نقلاً عن عبد السلام المسدي، **الأسلوبية والأسلوب الأدبي، نحو بديل ألسني في النقد الأدبي**، ط1، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1977م، ص95-102، وانظر بوخاتم، مولاي علي: **مصطلحات النقد العربي السيماءوي الإشكالية والأصول والامتداد**، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص، من الموقع الإلكتروني: www.awu-dam.org/bok/05/study05/28-m-b/book05-sd008.htm.

(31) Schwartz Sanford. **The Matrix of Modernism Pound, Eliot**, And Early Twentieth- century thought. Princeton; Princeton University Press, p. 56 وانظر: Webster's Third New International العجلوني، نايف: الحداثة والحداثية، ص106. وانظر: **Dictionary of The English Language**, Unabridged, Springfield, Ma, USA, Mariam–Webster, Inc., 1981, P. 165.

(32) McFarlane, James: "The Mind of Modernism" in Modernism, 1890-1930. Edited by Malacotm Brad Bury and James McFarlane. 1976: Reprint, Middlesex, England: Penguin Book, 1978, P. 135.

(33) برادة، محمد: **أسئلة الرواية، أسئلة النقد**، ط1، مطبعة النجاح، الجديدة، الدار البيضاء، 1996م، ص7، وانظر: الرباعي، عبدالقادر: معنى المعنى، **فصول**، المجلد الخامس عشر، العدد الثالث، القاهرة، خريف 1996م، ص94. وانظر: عياد، شكري، **الرؤيا المقيدة**، ط1، الهيئة العامة للكتاب، 1978م، مصر، 156.

(34) Ba'albaki, R, **Dictionary of Linguistic Terms**, Dar Al Ilm Lilmalayin 1990. P.384

(35) المسدي، عبدالسلام، **اختلاف المصطلح بين المشرق والمغرب**، مرجع سابق، ص27.

(36) وهبة، والمهندس: مرجع سابق، ص221.

(37) انظر: الموقع الإلكتروني: http://www.doroob.com/?p=8335.

(38) يوسف، آمنة: **تقنيات السرد في النظرية والتطبيق**، ط1، دار الحوار، اللاذقية، سورية، ص33، 34، وانظر: عبد الرحيم: **أزمة المصطلح في النقد القصصي**، مرجع سابق، ص96.

(39) الفيومي، إبراهيم حسين، إشكالية المصطلح النقدي في مواجهة النص الروائي، **مرجع سابق**، ص70.

(40)عبد الرحيم: **أزمة المصطلح في النقد القصصي**، مرجع سابق، ص96.

(41) الفيومي، **إشكالية المصطلح النقدي**، مرجع سابق، ص74، وانظر: عبد الرحيم، أزمة المصطلح في النقد القصصي، مرجع سابق، ص97.

(42) انظر: الماضي، شكري: **في نظرية الأدب**، مرجع سابق، ص207.

(43) **نفسه**، ص206.

(44) **نفسه**، ص207.

(45) الحراحشة، منتهى: "الرؤية والبنية في روايات زياد قاسم"، **رسالة ماجستير**، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن، 2000م، ص 28.

(46) عبد الرحيم: **أزمة المصطلح في النقد القصصي**، مرجع سابق، ص103.

(47) علوش، سعيد: انزياحات المصطلح النقدي في الخطاب الأدبي العربي المعاصر، هوية المصطلح النقدي المعاصر، **مرجع سابق**، ص191.

(48) باره، عبد الغني: **إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي المعاصر**، ط1، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 2005م، ص293.

(49) الجرجاني، عبد القاهر، (ت471-1052م): **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمد عبده وحمد محمود الشنقيطي، دار المعرفة، بيروت، 1981م، ص468-469.

(50) أبو سيف، ساندي سالم: **قضايا النقد والحداثة**، دراسة في التجربة النقدية لمجلة شعر اللبنانية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2005م، ص66.

(51) الخال، يوسف: قضايا الشعر المعاصر لنازل الملائكة، **مجلة شعر**، العدد 44، صيف 1962م، ص146.

(52) موريه، صموئيل: **حركات التجديد موسيقى الشعر العربي**، ط1، ترجمة: سعيد مصلوح، عالم الكتاب، القاهرة، 1969م، ص24. وانظر: Barbara Johnson, **La Tentation de La Syme`trie, Quelques Consequences** do La Poe`sie et-Prose, Diffe`rence Anatomique des Textes. Four Foe`tique 28, Le Disconrse, ure The`orie du Poe`me en prose de Poe`sie, 1976 Editions Seuil, P.454-455.

(53) جبرا، إبراهيم جبرا: **الرحلة الثامنة**، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1967م، ص18.

(54) لؤلؤة، عبدالواحد: قضية الشعر الحر في العربية، **مجلة شعر**، ع43، بيروت، صيف 1964م، ص66.

(55) الملائكة، نازك: **قضايا الشعر المعاصر**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1997م، ص215.

(56) مبروك، مراد عبدالرحمن: **الشعر الحر وإيقاع العصر**، ط1، من كتاب تطور الشعر الحديث والمعاصرة، دار الأوزاعي، بيروت، 1996م، ص193.

(57) الجيوسي، سلمى الخضراء: **الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث**، ط1، ترجمة: عبدالواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001م، ص573.

(58) وهبه مجدي، والمهندس كامل: **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، مرجع سابق، ص289.

(59) علوش، سعيد: **في معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الدار البيضاء، 1985م، ص181.

(60) العيد، يمني: **تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي**، ط1، دار الفارابي، بيروت، 1990م، ص165.

(61) عياد، شكري: **القصة القصيرة في مصر**، دراسة في تأصيل فن أدبي، ط1، دار المعرفة، القاهرة، 1979م، ص10.

(62) سلام، محمد زغلول: **دراسات في القصة العربية الحديثة: أصولها – اتجاهاتها – أعلامها**، ط1، منشأة معارف الإسكندرية، 1983م، ص5.

(63) الشاروني، يوسف: **دراسات في القصة القصيرة**، ط1، دار طلامس، دمشق، 1989م، ص10.

(64) وهبه، والمهندس: **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، مرجع سابق، ص289.

(65) حجازي، سمير سعيد: **النقد العربي وأوهام رواد الحداثة**، ط1، مؤسسة طبية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص271.

(66) نجم، يوسف: **فن القصة**، ط7، دار الثقافة، بيروت، 1979م، ص9.

(67) وهبة والمهندس: **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، ط1، مرجع سابق، ص289.

(68) حسن، كرومي: حول بعض المفاهيم في الرواية الجديدة، **مجلة تجليات الحداثة**، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، الجزائر، ع3، يونيو 1994م، ص125-126.

(69) الخوري، سليم: الروايات والروائيون، **مجلة الضياء**، 15 إبريل، بيروت، 1988م، ص457.

(70) إبراهيم، علي نجيب: **جماليات الرواية**، دراسة في الرواية الواقعية السورية المعاصرة، ط1، دار الينابيع، دمشق، 1994م، ص36.

(71) بدر، عبدالمحسن طه: **الرؤية والأداة نجيب محفوظ**، ط1، دار المعارف، القاهرة، ص17.

(72) محفوظ، نجيب: **الهلال**، عدد خاص عن نجيب محفوظ، القاهرة، المقدمة.

(73) إسماعيل، عز الدين: **الأدب وفنونه**، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1976م، ص203.

(74) الماضي، شكري عزيز: **فنون النثر العربي الحديث**، ط1، منشورات جامعة القدس المفتوحة، الأردن، 1996م، ص16.

(75) هلال، محمد غنيمي: **في النقد الأدبي**، ط1، دار النهضة، مصر، القاهرة، ص111.

(76) الجرجاني: **دلائل الإعجاز**، مرجع سابق، ص468-469.

(77) الزيات، أحمد حسن: **دفاع عن البلاغة**، ط2، القاهرة، 1967م، ص70.

(78) عودة، خليل: المصطلح النقدي في الدراسات العربية المعاصرة بين الأصالة والتجديد "الأسلوبية أنموذجاً"، **مجلة جامعة الخليل للبحوث**، المجلد الأول، العدد الثاني، الخليل، 2003م، ص50.

(79) عياد، محمود: الأسلوبية الحديثة، محاولة تعريف، **فصول**، المجلد الأول، العدد الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، يناير، 1981م، ص124.

(80) المسدَي: **الأسلوبية والأسلوب الأدبي**، مرجع سابق، ص124.

(81) عياد، محمد: **الأسلوبية الحديثة**، مرجع سابق، ص133.

(82) المسدَي: **الأسلوبية والأسلوب الأدبي**، مرجع سابق، ص44.

(83) العطار، سليمان: الأسلوبية علم وتاريخ، **فصول**، المجلد الأول، العدد الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1981م، ص133.

(84) المسدي، عبدالسلام: **النقد والحداثة**، ط1، بيروت، 1983م، ص85.

(85) شريم، جوزيف ميشال: **دليل الدراسات الأسلوبية**، ط1، دار الوحدة، بيروت، 1984م، ص7.

(86) فضل، صلاح: علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة، **فصول**، المجلد الخامس، ع1، 1984م، ص218-219.

(87) السيوفي، عصام: الانفعالية والإبلاغية في البيان العربي، **مجلة الموقف الأدبي**، ع138-139، وزارة الثقافة، سورية، 1982، ص25-40.

(88) شريم: **دليل الدراسات الأسلوبية**، مرجع سابق، ص21.

(89) عبدالمطلب، محمد: **البلاغة الأسلوبية**، ط1، دار الكتاب، القاهرة، 1984م، ص128.

(90) حجازي: **النقد العربي وأوهام رواد الحداثة**، مرجع سابق، ص271.

(91) برادة، محمد: **أسئلة الرواية، أسئلة النقد**، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1996م، ص7.

(92) مندور، محمد: **فن الشعر**، ط1، الهيئة العامة للكتاب، سنة 1985م، ص23، 24.

(93) بارت، رولان: **قراءة جديدة للبلاغة القديمة**، ترجمة عمر أوكان، أفريقيا الشرق، 1994م، رأي المترجم، ص262.

(94) **نفسه**، ص262.

(95) عصفور، جابر: **الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي**، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1973م، ص163.

(96) المومني، قاسم: الشعرية في الشعر دارسة معاصرة في مادة نقدية قديمة، **مرجع سابق**، ص70.

(97) تودوروف، نزفيتان: **الشعرية**، ترجمة: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، الدار البيضاء، المغرب، 1987م، ص23.

(98) كوهين، جان: **بنية اللغة الشعرية**، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، الدار البيضاء، المغرب، 1986م، ص9.

(99) **نفسه**، ص14.

(100) أبو ديب، كمال: **في الشعرية**، ط1، بيروت، 1987م، ص16، 135.

(101) كوهين: **بنية اللغة الشعرية**، مرجع سابق، ص20، 173.

(102) المومني: **الشعرية في الشعر دراسة معاصرة في مادة نقدية قديمة**، ط1، مرجع سابق، ص70.

(103) حجازي: **النقد العربي وأوهام رواد الحداثة**، دار الحداثة، مرجع سابق، ص266.

(104) لؤلؤة، عبد الواحد: أزمة المصطلح النقدي، **علامات**، مرجع سابق، ص171-174.

(105) **نفسه**، ص170.

(106) رشيد، أمينة: علاقة الزمان بالمكان في العمل الأدبي، زمكانية باختين، **مجلة أدب ونقد**، ع18، القاهرة، 1985، ص47، وانظر: لؤلؤة: **المصطلح النقدي**، مرجع سابق، ص176.

(107) المسدي، **المصطلح النقدي وآليات صياغته**، مرجع سابق، ص96. وانظر: المسدي، عبد السلام: المصطلح النقدي، مؤسسة عبد الكريم عبد الله، تونس، 1994، ص68-69.

(108) وصفي، هدى: الشحاذ، دراسة نفسبنيوية، **فصول**، المجلد الأول، العدد الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982م، ص181.

(109) لاكان، جاك: **مرحلة المرأة باعتبارها مشكلة لوظيفة الأنا كما تتكشف لنا من خلال التجربة التحلينفسية**، ترجمة: كمال، مصطفى، بيت الحكمة، العدد الثامن، بغداد، نوفمبر 1988م، ص117.

(110) الحمداني، حميد: **من أجل تحليل سيوسيو – بنائي للرواية**، رواية (المعلم علي) نموذجاً، الدار البيضاء، المغرب، 1984م، العنوان.

(111) جاد، المصطلح النقدي المعاصر بين المصريين والمغاربة، مرجع سابق، ص84.

(112) حجازي، **النقد العربي وأوهام رواد الحداثة**، مرجع سابق، ص92.

(113) شفيق، ماهر: البويطيقا البنيوية: **فصول**، المجلد الأول، العدد الثاني، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، يناير، 1981، ربيع أول 1401هـ، ص246.

(114) برادة: **أسئلة الرواية، أسئلة النقد**، مرجع سابق، ص28.

(115) **نفسه**، ص55، 56.

(116) حجازي، **النقد العربي وأوهام رواد الحداثة**، مرجع سابق، ص273.

(117) مفتاح، محمد: **تحليل الخطاب الشعري**، المركز الثقافي، المغربي، المغرب، 1985م، ص44.

(118) قنصوة، صلاح: أنطولوجيا الإبداع الفني، **فصول**، المجلد العاشر، العددان الثالث والرابع، 1992، ص37.

(119) جاد، عزت، **المصطلح النقدي المعاصر بين المصريين والمغاربة**، مرجع سابق، ص84.

(120) المسدي، عبد السلام: المصطلح النقدي وآليات صياغته، **مرجع سابق**، ص94-95.

(121) **نفسه**، ص95.

(122) الجمري، عبد الفتاح: هل لدينا رواية تاريخية، **فصول**، م16، ع3، شتاء 1997م، ص62.

(123) عياد، شكري: **بين الفلسفة والنقد**، أصدقاء الكتاب، القاهرة، 1990م، ص45.

(124) برادة، **أسئلة الرواية، أسئلة النقد**، مرجع سابق، 27.

(125) جاد، **المصطلح النقدي المعاصر**، مرجع سابق، ص84.

(126) بسطاويسي، رمضان: أنطولوجيا الجسد والإبداع الثقافي، **مجلة ألف**، ع11، 1991م، ص102.

(127) حليفي، سعيد: بنيات العجائبي في الرواية العربية، **فصول**، م16، ع3، شتاء 1997م، ص115.

(128) يقطين، سعيد: **تحليل الخطاب الروائي**، المركز الثقافي المغربي 1989م، المغرب، ص8، 13، 14.

(129) أبو هيف، **القصة القصيرة في سورية من التقليد إلى الحداثة**، مرجع سابق، ص153، 166، 258.

(130) علوش، سعيد: بلاغة التكرار في هرمنوتيك النثر العربي، **مجلة الفكر العربي المعاصر**، ع334، جانفي، ديسمبر 1984م، ص145-152.

(131) علوش، سعيد: **هرمونتيك النثر الأدبي**، ط1، دار الكتاب، بيروت، 1985، العنوان. وانظر: علوش: **انزياحات المصطلح النقدي**، مرجع سابق، ص187.

(132) أبو زيد، نصر: **مفهوم النص**، دراسة في علوم القرآن، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990م، ص130-195.

(133) المراكشي، محمد صالح: قراءة سوسيولوجية لرواية دعاء الكروان، **مجلة الفكر**، تونس، حويلية 1978م، ص49-58.

(134) بلحسن، عمار: قراءة القراءة: مدخل سوسيولوجي، **مجلة الفكر العربي المعاصر**، ع84-85، فيفري 1991م، ص64-75.

(135) الزكاف، عبدالمجيد: ملاحظات حول سوسيولوجية الأدب الشفوي، **مجلة الزمان المغربي**، المغرب، 17، 1983م، ص136-142.

(136) قنصوة، صلاح: أنطولوجيا الإبداع الفني، **فصول**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد العاشر، العددان الثالث والرابع، ص1992م، ص37-49.

(137) مرتاض، عبدالملك: **تحليل الخطاب السردي (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق)**، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، العنوان.

(138) Richard, J. **Quetque de la Critique Litteraire,** en France, le Monde, Paris, Mars, 1963, P.117.

(139) Machery, P. Pourune Theoriede Production Litteraire, Paris, 1969, P. 98

(140) علوش، سعيد: **انزياحات المصطلح النقدي في الخطاب الأدبي العربي المعاصر**، مرجع سابق، ص181.

(141) رومية، أحمد وهبة: **شعرنا القديم والنقد الجديد**، سلسلة عام المعرفة، الكويت، شوال، 1416هـ، مارس، آذار، 1996م، ص21.

(142) الربيعي، محمود: النقد والحداثة مع دليل ببليوجرافي، عرض ومناقشة، **فصول**، م5، ع1، 1984م، ص120.

(143) عبدالرحيم: **أزمة المصطلح في النقد القصصي**، مرجع سابق، ص120.

(144) رومية، **شعرنا القديم والنقد الجديد**، مرجع سابق، ص17.

(145) **نفسه**، ص18.

(146) رومية، **شعرنا القديم والنقد الجديد**، مرجع سابق، ص18.

(147) العناني، محمد: **المصطلحات الأدبية الحديثة**، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1996م، ص19.

(148) حجازي، **مرجع سابق**، ص: 266، 282، 296، 316، 317.

(149) وهبه والمهندس: **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، مرجع سابق، ص289،215،213،90،66.

(150) علوش: **معجم المصطلحات الأدبية**، مرجع سابق، ص90، 110، 115.

(151) المسدي: **الأسلوبية والأسلوب الأدبي**، مرجع سابق، ص64، 65.

(152) لحميداني، حميد: **بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي**، ط1، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1993م، ص62، 68.

(153) حجازي، **النقد العربي وأوهام رواد الحداثة**، مرجع سابق، ص102.

(154) جاد، **نظرية المصطلح النقدي**، مرجع سابق، ص404.

(155) انظر: حجازي، **النقد العربي وأوهام الحداثة**، ص85-86، 90، 92، 93، 94، 95، 101، 102، 105، 106، 107، 108، 109، 200، 215، 217. وانظر: جاد، **نظرية المصطلح النقدي**، ص130، 131، 132، 152، 154، 156، 170.

(156) جاد، **نظرية المصطلح النقدي**، مرجع سابق، ص405.

(157) المسدي: **اختلاف المصطلح بين المشرق والمغرب**، مرجع سابق، ص32.

(158) حجازي: **النقد العربي ورواد أوهام الحداثة**، مرجع سابق، ص276-279، ص111-119، ص123.

(159) الماضي، **في نظرية الأدب**، مرجع سابق، ص112، 113، 114، 115، 116، 117، 119،118.

(160) وهبة مجدي وفيال شارل: مساهمة في دراسة الألفاظ العربية للنقد الأدبي، **مجلة (أرابيكا)**، ع3، ج17، 1970م، الجامعة العربية بونفرستي، فرنسا، المقدمة.

(161) الصمود، حمادي: **معجم مصطلحات النقد الحديث**، حوليات الجامعة التونسية، 154، تونس، ص1977م، ص125.

(162) عبد النور، جبور: **المعجم الأدبي**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م، المدخل.

(163) علوش، سعيد: **انزياحات المصطلح النقدي في الخطاب الأدبي العربي المعاصر**، مرجع سابق، ص183.

(164) باره: **إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي المعاصر**، مرجع سابق، ص308.

(165) استخدمت هذه المصطلحات في الكثير من الكتب والأبحاث والدراسات النقدية العربية الحديثة.

(166) حجازي: **النقد العربي وأوهام رواد الحداثة**، مرجع سابق، ص125.

(167) مطلوب: **في المصطلح النقدي**، مرجع سابق، ص36.

(168) حجازي: **النقد العربي وأوهام رواد الحداثة**، مرجع سابق، ص53.

(169) الجوزو، مصطفى: **"مشكلة النسبة اليائية في المصطلحات النقدية والأدبية ولا سيما المترجم والمعرَّب منها"**، مؤتمر النقد الأدبي الخامس، جامعة اليرموك، إربد – الأردن، 14، 6-1994/6/16م، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ص1.

(170) **نفسه**، ص3.

(171) انظر غزول، فريال جبوري: عرض الدوريات الأجنبية، **فصول**، المجلد الأول، العدد الثاني، يناير 1981م، ص273، 274.

(172) القاسمي، **مقدمة في علم المصطلح**، مرجع سابق، ص78.

(173) انظر: المسدي: **اختلاف المصطلح بين المشرق والمغرب**، مرجع سابق، ص27.

(174) انظر: علوش، **انزياحات المصطلح النقدي**، مرجع سابق، ص183.

(175) **نفسه**، ص183.

(176) مكدونيل، ديان: **مقدمة في نظريات الخطاب**، ترجمة: عز الدين إسماعيل، ط1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 2001، ص79.

(177) انظر: الماضي، شكري: **في نظرية الأدب**، مرجع سابق، ص111، 112، 113، 114، 131، 133، 135، 145.

(178) **نفسه**، ص205.

(179) الماضي، شكري: **من مشكلات النقد العربي**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1997م، ص50.

(180) علوش، **انزياحات المصطلح النقدي**، مرجع سابق، ص183.

(181) الماضي: **في نظرية الأدب**، مرجع سابق، ص193.

(182)غليسي ويوسف: إشكاليات المنهج والمصطلح تجربة (عبد الملك مرتاض) النقدية، **رسالة ماجستير**، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1996، ص314.

(183) هليل، محمد حلمي: **دراسة تقديمية لحصيلة المصطلح اللساني في الوطن العربي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991، ص126.

(184) مالك، رشيد: **قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (عربي، إنجليزي، فرنسي)**، دار الحكمة، الجزائر، 2000م، ص97-98.

(185) Louis Guilbert: **La Specilirite Duterme Scientifique et Technique in Langue Fransaise Francacaise**, Nov 17 – Fevrier 1973. P.5.17.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 6 العدد 2، 2009، ص ص 243- 307

سلطة الخليفة العباسي في حقبة الهيمنة البويهيّة (334-447هـ/946-1055م)

مضر عدنان طلفاح*

ملخص

انتهت المسيرة التاريخية للخلافة العباسية الى انقسام السلطة رسمياً في حقبة الهيمنة البويهية الى: **سلطة دينية** محضة اختص بها الخلفاء العباسيون ومقرها دار الخلافة، **وسلطة دنيوية** عُبِّرَ عنها إسلامياً بالـمُلك، زاولها الملوك البويهيون بالتفويض المطلق الذي مُنِحُوه من الخلفاء العباسيين.

إنتظمت إدارة السلطة الدينية التي إختص بها الخلفاء، في الحقبة مدار البحث، بواسطة "ديوان دار الخلافة"، والذي ضم عدداً من الموظفين القائمين على مجالات اختصاصات الخليفة في الجوانب الدينية الإسلامية، وأهمها: الصلاة والحج والقضاء ونقابات الأشراف، مضافاً إليها مؤسسات أهل الذمة.

حرص الخلفاء العباسيون الأوائل على الانفراد بالسلطة والنفوذ في الدولة ومؤسساتها، وعدم السماح بظهور شخصية نافذة تهدد سلطتهم أو تحجمها، وهو الحرص الذي كان يدعمه قطاع واسع من رجالات الدولة. فلما استشار الخليفة المنصور(136-158هـ/754-775م) سلم بن قتيبة الباهلي في قتل أبي مسلم الخراساني (قتل 137هـ/755م)، قال سلم حاضاً المنصور على ذلك، ومؤكداً على ضرورة انفراد الخليفة بالسلطة: "**﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾**[1]، فقال [المنصور]: حسبك"[2].

ولهذا عمل الخلفاء العباسيون على تصفية الشخصيات التي تتمتع بنفوذ قد يهدد سلطاتهم. فقام الخليفة أبو العباس (132-136هـ/750-754م) بقتل وزيره أبي سلمة الخلال سنة 132هـ/750م بعد أن أصبح "يُظهر الإدلال والقدرة على أمير المؤمنين" أبي العباس[3]. وقتل الخليفة أبو جعفر المنصور أبا مسلم الخراساني سنة 137هـ/755م بعد أن ساورته الشكوك والريبة في نفوذه المتعاظم وخطره على سلطة الخليفة. ولما أبدى عيسى بن علي العباسي بعض الندم لقتله، عنَفه المنصور قائلاً: "اسكت، ...، والله ما كان في الأرض عدو أعدى لك منه، ...، والله ما تم سلطانك إلا اليوم"![4] ولما تعاظم نفوذ يعقوب بن داود وزير الخليفة المهدي (158-169هـ/775-785م)، حتى قال فيه بشار بن برد:

* كلية الآداب، جامعة الإسراء الخاصة، عمّان، الأردن.

بني أمية هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود

بادره المهدي بالسجن طيلة عهده[5]. وقام الخليفة الرشيد (170-193هـ/786-809م) بنكبة البرامكة قتلاً وسجناً سنة 187هـ/ 802م لما استشعر منهم الخطر على سلطته نظراً لتعاظم نفوذهم في الدولة[6]. وكذلك فعل الخليفة المأمون (198-218هـ/813-833م) بوزيره الفضل بن سهل سنة 202هـ/ 817م لما خاف من ازدياد نفوذه في دولته[7]. ولما خشي الخليفة المعتصم (218-227هـ/ 833–842م) تعاظم نفوذ الأفشين، بعد قضائه على ثورة بابك الخرمي (قتل 222هـ/836م)، عمد إلى قتله والتخلص منه سنة 226هـ/ 840م[8].

دعّم الخلفاء العباسيون سلطتهم وانفرادهم بها بالجمع بين السلطتين: الدينية والدنيوية/الزمنية[9]، مما كان له أكبر الأثر في حمل الناس على طاعتهم، قال ابن الطقطقا (ت 709هـ/1309م) يصف الدولة العباسيّة: "إعلم أن هذه دولة من كبار الدول، ساست العالم سياسة ممزوجة بالدين والملك، فكان أخيار الناس وصلحاؤهم يطيعونها تديناً، والباقون يطيعونها رهبة أو رغبة، ...، وكانت لهم [العباسيين] في نفوس الناس منزلة لا تدانيها منزلة أحد من العالم"[10]. وقال أشجع السلمي يمدح الخليفة الرشيد[11]:

ما روعي الدين والدنيا على قدم بمثل هارون راعيه وراعيها

ورثى محمد بن عبدالملك الزيات الخليفة المعتصم فقال[12]:

اذهب فنعم الحفيظ كنت على الدنيا ونعم الظهير للدين

وقال محمد بن مروان بن أبي الجنوب يمدح الخليفة المعتز(252-255هـ/866-869م)[13]:

أنت الذي يمسك الدنيا إذا اضطربت يا ممسك الدين والدنيا إذا اضطربا

وقال الصولي يمدح الخليفة المقتدر(295-320هـ/908-932م)[14]:

أضاء لنا وجه من القصر مشرق فأصبح للدنيا وللدين رونق

وكان الخلفاء يؤكدون جمعهم بين السلطتين الدينية والدنيوية، ولهذا لما مدح أحد الشعراء الخليفة المأمون بالقول:

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلاً بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

أبدى المأمون امتعاضاً، أثار استغراب الشاعر، مما دفعه لاستشارة أحد أصدقائه، الذي بيّن له خطأه بقصره سلطة المأمون على الجانب الديني فقط، فقال: "ما زدت على أن جعلته عجوزاً في محرابها في يدها سُبْحة! فمن يقوم بأمر الدنيا إذا كان مشغولاً عنها وهو المطوّق بها؟ ألا قلت كما قال جرير لعمر بن عبدالعزيز[(99-101هـ/ 717-720م)]:

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ولا عَرَض الدنيا عن الدين شاغله[15]

ويمكن تقسيم المراحل التاريخية لسلطة الخليفة العباسي حتى بداية حقبة الهيمنة البويهيّة على الخلافة العباسية عام 334هـ/946م على النحو التالي:

أ- **مرحلة الانفراد بالسلطة،** والتي مارس الخليفة خلالها سلطة مطلقة في المجالات الدنيوية والدينية، لم يقيدها الا الشريعة الإسلامية نظرياً، خلال مرحلة الخلفاء الأقوياء 132-247هـ/ 750- 861م.[16]

ب – **مرحلة الحجر على الخلفاء،** ومنعهم من مزاولة سلطاتهم، والتي مثلتها مرحلة تسلط الجند الأتراك 247 – 324هـ/ 861 – 936م، باستثناء مرحلة إفاقة الخلافة (256 - 295هـ/870 - 908م).[17]

ج – **مرحلة تفويض الخليفة لسلطته الدنيوية،** واقتصار سلطته الفعلية على المجالات الدينية، مع احتفاظه بحق الإشراف العام النظري على الدولة، والتي مثلتها مرحلة إمرة الأمراء 324-334هـ/936-946م.[18]

وشهدت هذه المرحلة أول بوادر الفصل بين السلطة الدينية والسلطة الدنيوية في الإسلام، اذ احتفظ الخليفة خلالها بالسلطة الدينية في مجالات تعيين: القضاة والخطباء والنقباء والشهود وعزلهم في العاصمة بغداد والأقاليم التابعة للخلافة العباسية.[19] فيما آلت السلطة الفعلية الى أمير الأمراء، ليصبح صاحب السلطة في المجالات: العسكرية والإدارية والمالية والأمنية في دولة الخلافة العباسيّة، وأصبح أمير الأمراء الشخصية الثانية في الدولة بعد الخليفة إذ "رُتِّب فوق الوزير"، "وبطل منذ يومئذ أمر الوزارة، فلم يكن الوزير ينظر في شيء من أمر النواحي ولا الدواوين ولا الأعمال، ولا كان له غير اسم الوزارة فقط، وأن يحضر أيام المواكب دار الخلافة، ...، وصار [أمير الأمراء محمد] بن رائق وكاتبه ينظران في الأمور كلها، وكذلك كل من تقلد الإمارة بعد ابن رائق. وصارت أموال النواحي تحمل إلى خزائن الأمراء، فيأمرون وينهون ويطلقون لنفقات الخليفة ما يريدون[20]، بالضد مما كانت الحال عليه، وبطلت بيوت الأموال حينئذ"[21].

وجُرّد الخليفة من أي سلطة أو نفوذ فعلي في الدولة، حتى قال الخليفة الراضي (322-329هـ/934-940م) بهذا الصدد: "كأني بالناس يقولون: أرضي هذا الخليفة بأن يدير أمره عبد تركي حتى يتحكم في المال وينفرد بالتدبير؟ ...، رضيت به ضرورة، ...، وكان الأجدر أن يكون الأمر كله لي كما كان لمن مضى قبلي، ولكن لم يجرِ القضاء بهذا لي"![22] وتهكمت العامة على الخليفة المستكفي (333-334هـ/ 944-946م) عندما تشدد في ممارسة سلطته الدينية، فقالت: **"الى هنا انتهت سلطته، وانتهى من الخلافة أمره ونهيه"!**[23] خاصة أن مكانة الخليفة تراجعت بإجباره على الخروج مع أمير الأمراء لقمع خصومه،[24] وازدادت سلطته تراجعاً بفقده القدرة على تعيين ولي عهده، بعد أن أصبح أمير الأمراء يختار الخليفة[25].

وقد لاحظ الخطيب البغدادي (ت 463هـ/1070م) أن عهد الخليفة الراضي يمثل حداً فاصلاً بين مرحلتين، فقال واصفاً اياه: **"ختم [الراضي] الخلفاء في امور عدة، فمنها:** انه آخر خليفة له شعر مدون، **وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والاموال، وآخر خليفة خطب على منبر يوم جمعة، وآخر خليفة جالس الجلساء ووصل اليه الندماء، وآخر خليفة كانت: نفقته، وجوائزه وعطاياه، وجراياته وخزائنه، ومطابخه، ومجالسه، وخدمه وحجابه، وأموره كلها تجرى على ترتيب المتقدمين من الخلفاء".**[26]

شكل دخول الجيش البويهي العاصمة العباسيّة بغداد سنة 334هـ/946م بداية مرحلة جديدة في تاريخ الخلافة العباسيّة، والممارسة السياسيّة الإسلامية آنذاك، فَقَد الخليفة فيها السيادة الفعلية في السياسة والإدارة والاقتصاد والشؤون العسكرية والأمنية في الدولة. فبالرغم من أن الخليفة المستكفي فوّض السلطة إلى الأمير البويهي كأمير للأمراء في دولة الخلافة العباسيّة[27]، جرياً على التقليد الذي بدأ يترسخ خلال 324-334هـ/936-946م، الذي أقر بمنح السلطة في دولة الخلافة العباسية للأمير الذي يتغلب على خصومه، إلاّ أن هذا التفويض للأمير البويهي كان تجاهلاً أو تغافلاً عن الواقع السياسي في دار الإسلام آنذاك، والتطورات التي أفرزتها المسيرة التاريخية للخلافة العباسيّة حتى تلك الحقبة. فسلطة الخليفة العباسي قد انحسرت عن أرض دار الإسلام، وتوزعت بين أمراء الدول المستقلة، وانحصرت دولة الخلافة العباسية، فعلياً، في الجزء الأوسط من العراق، بغداد وما يجاورها من مدن وأرياف، لم يكن الخليفة فيها صاحب السيادة الفعلية، إذ آلت إلى أمير الأمراء، لتتوزع السلطة بينهما على النحو التالي: سياسياً وإدارياً ومالياً وعسكرياً وأمنياً لأمير الأمراء، بينما احتفظ الخليفة بالسلطة الدينية من قضاء وخطابة وإفتاء ونقابة، مع حقه في الإشراف العام على أمور الدولة، مما مثّل أول بوادر الفصل بين السلطة الدينية والسلطة السياسيّة في الإسلام.

ولم يكن الأمير البويهي أحد قادة الجيش، الذي يُنظر إليه إقليمياً على أنه جيش الخلافة العباسيّة، قد تقلد السلطة في دولة الخلافة بناءً على تفويض من الخليفة العباسي فحسب، بل كان أميراً لدولة مستقلة عن الخلافة، يمارس كافة الصلاحيات السيادية في إقليمه، واستطاع مد سيطرته وسلطته إلى العاصمة بغداد معتمداً على قوة الجيش البويهي، الذي أصبح القوة العسكرية الوحيدة في دولة الخلافة العباسيّة[28]، وهو الجيش الذي انحصر ولاؤه سياسياً للبيت البويهي. لذا لم يكن تفويض الخليفة للأمير البويهي كأمير لأمراء الدولة العباسيّة ليرضى طموحه، بل كان يطمح للاستزادة، خاصة أنه يرى في الإمارات البويهية في إقليمي فارس والجبال عمقاً عسكرياً وسنداً معنوياً له أمام الخليفة ومناوئيه الآخرين، ليفقد الخليفة تبعاً لذلك حق الإشراف العام النظري المحض خلال حقبة إمرة الأمراء، على أمور الدولة. وهو الوضع الذي شَخصَهُ المؤرخ ابن الأثير (ت 630هـ/1232م) بقوله: "ازداد أمر الخلافة إدباراً، ولم يبق لهم [الخلفاء العباسيين] من الأمر شيء البتة، وقد كانوا يُراجعون ويُؤخذ أمرهم فيما يُفعل والحرمة قائمة بعض الشيء [خلال حقبة إمرة الأمراء]، فلما كان أيام معز الدولة [البويهي 334-356هـ/946-967م] زال ذلك جميعه"، بعد أن "تسلم معز الدولة العراق بأسره، ولم يبقِ بيد الخليفة منه شيء البتة"[29].

ورغم أن إقصاء الخلفاء عن ممارسة أي سلطة أو نفوذ في أمور الدولة، وحصر سلطاتهم في النواحي الدينية فحسب، قد يبدو في ظاهره نتيجة طبيعية لحالة الخلافة العباسيّة خلال حقبة إمرة الأمراء، إلاّ أن البويهيين دفعوا بقوة في هذا الاتجاه، من خلال تطبيقهم للأنموذج الذي صممه مرداويج بن زيار الجيلي (316-323هـ/928-935م) وتعامل به مع محمد بن أحمد بن الناصر إمام الزيدية في طبرستان والري، إذ اعترف به إماماً من غير أن "يمكنه من تدبير الأعمال والأموال والعسكر [=المُلك]، ولم يجاوز به الصلاة والحكم [القضاء. أي النواحي الدينية]. فكان على ذلك بقية أيام مرداويج ومدة مقام أخيه وشمكير [323-357هـ/ 935-967م] بالري إلى أن انهزم عنها وملكها ركن الدولة" البويهي (ت366هـ/976م)[30]. إذ يبدو أن البويهيين لمسوا مزايا هذا النظام الثنائي وفاعليته في احتفاظهم بالسلطة في دولة الخلافة العباسية، فعمدوا إلى اعتماده وتطبيقه منذ لحظة دخول قواتهم العسكرية إلى العاصمة العباسية بغداد.

وفي ظل إقصاء الخلفاء العباسيين عن ممارسة أي سلطة دنيوية/ المُلك، ساد اعتقاد في أوساط البويهيين وأعوانهم أن الخلافة العباسية كدولة قد انتهت - وإن بقيت رمزاً دينياً له مكانته المحورية في فكر الأمة وحياتها، يدل على وحدة الأمة الإسلامية وتوحدها النظري - لتحل محلها الدولة البويهيّة، قال الحسن بن محمد المهلبي (ت352هـ/ 963م) وزير معز الدولة البويهي: "والله لأكونن في دولة الديلم أول من يُذكر، إن فاتني أن كنت في دولة بني العباس آخر من يُذكر"[31]. ولأجل هذه النظرة عنَّف المهلبيُ أحدَ أفراد الأسرة العباسيّة، وقد لمس منه تطاولاً

على شخصه، قائلاً: "لعلك تُقَدِّر أن المقتدر بالله على السرير، وإنني أحد وزرائه، ليس ذاك كذلك، السلطان اليوم الأمير معز الدولة" البويهي[32]. وانتهاء الخلافة العباسية كدولة وحلول الدولة البويهيّة مكانها تم بإلغاء تبعيّة المؤسسات والدواوين والولايات للخلافة، واتباعها للأمير البويهي مباشرة[33]، ولعل أهم خطوة وأكثرها فاعلية في هذا الاتجاه كانت إلغاء منصب وزارة الخلافة واستحداث منصب وزارة الأمير البويهي[34]، ومنع الخليفة من حق تعيين وزير له[35]، وبات تعيين الوزراء وعزلهم من اختصاصات الأمير البويهي[36]، وتشكلت الوزارة البويهيّة وعملت بمقتضى الرسوم التي شكلتها وأقرتها الوزارة العباسيّة الملغاة[37]. وغني عن القول ان الوزير هو رأس الجهاز الإداري في الدولة، وتبعيته للأمير البويهي دون الخليفة تعني مسؤوليته أمام الأمير فقط، الذي آلت إليه سلطة إدارة الدولة والإشراف عليها[38].

شملت سلطة الأمير البويهي، إضافة للوزارة: الدواوين والولايات[39]، والنواحي والشؤون المالية[40]، والحسبة[41]، والواجبات الأمنية[42]، والعسكرية.[43] وأصبح المقر الرسمي لإدارة الدولة وعمل الوزراء وأصحاب الدواوين هو مقر الأمير البويهي[44]. واستغل البويهيون منح الخليفة لهم الحق بسك أسمائهم وألقابهم على السكة، لينقشوا عليها ألقاباً لم يمنحهم الخليفة إياها، في حين أنهم اكتفوا بذكر اسم الخليفة فقط[45]، في خطوة رمزية تظهر سلطتهم وسيادتهم أمام انحسار سلطة الخليفة. وتداول البويهيون السلطة وراثة، منشئين بذلك "إمارة وراثية" في عاصمة الخلافة العباسية[46] للمرّة الأولى في تاريخها، ولم يعد تفويض الخليفة لهم بالسلطة إلاّ مظهراً تشريعياً لمزاولتهم إياها، واعترافاً من الخليفة بالأمر الواقع. وأصبح يعبر رسمياً عن التعيينات الصادرة عن الأمير البويهي بوصفها "تقليداً سلطانياً"[47] تمييزاً لها عن التّعيينات الصادرة عن الخليفة، والتي انحصرت في الجوانب الدينية.

وهكذا انقسمت السلطة رسمياً في دولة الخلافة العباسية إلى قسمين: سلطة دنيوية / المُلْك احتكرها البويهيون، وسلطة دينية احتفظ بها الخلفاء، لتؤول الخلافة تبعاً لذلك إلى منصب ديني بحت دون أي صلاحيات في أمور الدولة، ليتكرس بذلك الفصل بين الدين والسياسة للمرّة الأولى في تاريخ الإسلام وتنظيمه السياسي. وفي هذا الصدد يقول البيروني (ت440هـ/1048م): "**إن الدولة والمُلك قد انتقل في آخر أيام المتقي وأول أيام المستكفي من آل العباس إلى آل بويه، والذي بقي في أيدي العباسيّة إنما هو أمر ديني اعتقادي لا ملكي دنياوي، كمثل ما لرأس الجالوت عند اليهود من أمر الرئاسة الدينية من غير مُلك ولا دولة، فالقائم من ولد العباس الآن إنما هو رئيس الإسلام، ...، لا مَلِك**"[48].

وعبّر الخليفة المطيع (334-363هـ/946-974م) عن انحسار سلطته وسلبه لمباشرتها في مجال المُلك في جوابه إلى عز الدولة بن معز الدولة (356-367هـ/ 967-978م)، الذي كتب إليه سنة 361هـ/971م يطلب منه الأموال لغايات تجهيز جيش لمحاربة الروم المغيرين على دار الإسلام، مستنداً في طلبه هذا على "أن ذلك واجب على الإمام، **فأجابه المطيع بأن: الغزو يلزمني إذا كانت الدنيا في يدي، وإليّ تدبير الأموال والرجال [=المُلك]، وأما الآن وليس لي منها إلاّ القوت القاصر عن كفايتي، وهي في أيديكم وأيدي أصحاب الأطراف، فما يلزمني غزو ولا حج! ولا شيء مما تنظر الأئمة فيه. وإنما لكم مني هذا، الاسم الذي يخطب به على منابركم تسكنون به رعاياكم، فإن أحبَبْتُم أن أعتزل اعتزلت عن هذا المقدار أيضاً، وتركتكم والأمر كله**"(49). وأعاد المطيع تأكيد انحصار سلطة الخليفة في المجال الديني فحسب في كتاب تنازله عن الخلافة لابنه الطائع (363-381هـ/974-991م)، إذ كتب: "**هذا ما أشهد على متضمنه أمير المؤمنين الفضل المطيع لله، حين نظر لدينه ورعيته، وشُغل بالعلة الدائمة عن ما كان يراعيه من الأمور الدينية اللازمة، وانقطع إفصاحه عن بعض ما يجب لله عز وجل في ذلك؛ فرأى الاعتزال مما كان إليه من هذا الأمر، وتسليمه إلى ناهض به قائم بحقه**"(50).

ورغم أن السلطة الفعلية "المُلك" في دولة الخلافة العباسيّة انتقلت إلى البويهيين، إلاّ أنهم مارسوا السلطة بوصف كبيرهم "أمير أمراء" دولة الخلافة العباسية. ولذا كانوا من الناحية النظرية إحدى مؤسسات دولة الخلافة، وغير متمتعين باستقلال فعلي عنها، مع أن للأمير البويهي دولة مستقلة فعلياً عن الخلافة. إلاّ أن عضد الدولة بن ركن الدولة (338-372هـ/ 949-982م) قام بإلغاء النظام القديم المتمثل بإمرة الأمراء، ودشن نظاماً جديداً يحكم العلاقة بين الخلافة العباسيّة والدولة البويهية بإعلانه نفسه ملكاً لا أمير أمراء، ليكون "أول من خُوطب بالمَلِك في الإسلام"(51).

كان عضد الدولة قد تلقب بالملك قبل ضمه العراق، وقد تم ذلك بين أعوام 357-364هـ/ 967-974م، إذ كان لقبه الرسمي كما تظهره الوثائق التاريخية لسنة 357هـ/967م "الأمير الجليل"(52)، في حين تظهر الوثائق التاريخية لسنة 364هـ/974م لقبه الجديد "الملك الجليل"(53). ورغم أن عضد الدولة تلقب بالملك قبل ضمه للعراق، إلاّ أن خطوته هذه لم تكتسب أهمية كبرى إلاّ بعد ضمه العراق 367هـ/977م، واعتماده للقب في عاصمة الخلافة نفسها، وفرضه على مؤسسة الخلافة. إذ لم يكن الأمر مجرد إحلال لقب مكان لقب، كما قد يتبادر للذهن للوهلة الأولى، بل كان إحلالاً لنظام جديد مكان نظام قديم، ينظم شكلاً جديداً للعلاقة بين

الخلافة العباسيّة والدولة البويهيّة، ويترتب عليه مكانة جديدة لـ "الملك البويهي" أمام الخلافة العباسيّة، ويمنحه امتيازات سلطوية أكبر وحقوقاً إضافية، لم ينلها أمير الأمراء البويهي(54).

فمن الناحية النظرية لم يعد الحاكم البويهي يتبع الخلافة العباسية بوصفه أميراً لأمرائها، بل غدا حاكماً مستقلاً عن الخلافة يمارس سلطة لا تندرج تحتها، بل بوصفه ملكاً يمارس "المُلك"(55) مما يستلزم معها الإقرار بسلطته وتوسيع مجالها، ومشاركته للخليفة بمظاهر السيادة بوصفه مشاركاً له بها، بعد اقتسامهما للسلطات في الدولة، وهو ما عده بعضهم اعتداء على خصائص الخليفة وولي عهده وامتيازاتهما. وتبدت هذه المفاهيم عندما تَحَصَّل عضد الدولة على امتيازات سلطوية رمزية جديدة من الخليفة، وبدا ذلك واضحاً في حفل أُعد خصيصاً في دار الخلافة سنة 367هـ/977م لغايات الإعلان الرسمي عن المكتسبات الجديدة لـ "الملك البويهي"، ومشاركته الخليفة في مظاهر السيادة، التي كانت حكراً عليه في ظل النظام القديم؛ إمرة الأمراء، الذي حكم العلاقة بين الخلافة العباسيّة والدولة البويهية قبل عضد الدولة.

وتمثلت هذه المكتسبات الجديدة بالتفويض الموسع بالسلطة، إذ حصل عضد الدولة بوصفه ملكاً على تفويض رسمي وشرعي من الخليفة بالسلطة على كافة الأقاليم الدائرة في فلك الخلافة العباسيّة(56)، عندما خاطبه الخليفة الطائع قائلاً: "أُفوضُ إليك ما وكّلهُ الله تبارك وتعالى إليّ من أمور الرعية في شرق الأرض وغربها، وتدبيرها في جميع جهاتها، سوى خاصتي وأسبابي وما تحويه داري، فتولَّ ذلك مستخيراً لله فيه"(57). ثم قرأ كتاب التفويض، التقليد/العهد سابقاً، في حضرة الخليفة فـ "لم يبق أحدٌ إلا تعجب، [إذ] لم تجر العادة بذلك، إنما كان يدفع العهد إلى الولاة بحضرة أمير المؤمنين، فإذا أخذه قال أمير المؤمنين: هذا عهدي إليك، فاعمل به"(58).

جعل هذا التفويض، نظرياً، عضد الدولة مسؤولاً عن كافة الدول الإسلامية الدائرة في فلك الخلافة العباسيّة، مما رفع منزلة "الملك البويهي" فوق جميع "أمراء" الدول الإسلامية وجعله تالياً للخليفة في هرمية العلاقة التي تحكم الخلافة العباسية مع الدول التابعة لها، بحيث غدا وسيطاً بينهما(59). ورغم أن هذه الخطوة كانت رمزية نظرية إذ لم تطبق على أرض الواقع في أغلب الأحيان(60)، إلاّ أن التفويض للملك البويهي بالسلطة الموسعة أعلى من شأنه أمام الخلافة، إذ أضحى الملك يشارك الخليفة في شمول سلطته على جميع الأقاليم الدائرة في فلك الخلافة، وهو ما اعترف به الخليفة رسمياً، إذ كان ينظر لأمير الأمراء البويهي بوصفه "حامل الأعباء عنه"(61). لتتطور النظرة للملك البويهي بوصفه "الظهير المشارك [للخليفة فيما] ... نفذ أمره فيه من شرق الأرض وغربها، وأقاصيها وأدانيها، وبرها وبحرها، وسهلها وجبلها"(62)، مما أهل الملك لمشاركة الخليفة المظاهر الخاصة بالسيادة الشاملة، والتي احتكرها الخليفة حتى هذه

الحقبة بوصفه الوحيد المتمتع بسيادة شاملة، ولو نظرياً. فعقد الخليفة للملك لوائين: "اللواء الأبيض الذي جرت به العادة لأمراء الجيوش [أمير الأمراء سابقاً، و] اللواء المذهب المخصوص كان [قبل عضد الدولة] بولاة العهود"، واللَّذَيْن يرمزان إلى السلطة على المشرق وعلى المغرب، "ولم يعقد هذا اللواء الثاني لغيره قبله ممن يجرى مجراه"(63).

وشارك عضدُ الدولة الخليفة بامتياز ضرب الدبادب في بغداد، وإن اقتصرت على ثلاث مرات يومياً، فيما اختص الخليفة بالحق بضربها خمس مرات يومياً(64). كما أعطي امتياز الخطبة له في مساجد بغداد الجامعة تالياً لخطبة الخليفة، "وهذان الأمران لم يكونا من قبل، ولا أُطلقا لولاة العهود، ولا خطب بحضرة السلطان [الخليفة] إلا له، ولا ضربت الدبادب إلا على بابه"(65). وأصبح من حقوق الملك أن يخرج الخليفة لاستقباله عند قدومه إلى بغداد، إذ أجبر عضد الدولة الخليفة الطائع على استقباله "ولم تجر بذلك عادة، ولكن بعث يطلب ذلك، فما وسع الطائع التأخر"(66)، وصارت سُنَّة لكل من خلفهما من الخلفاء والملوك البويهيين(67). وتم تقليد "الملك البويهي" وتفويضه ضمن مراسم غاية في الأبهة والتكريم، "فخلع [الخليفة الطائع] عليه [=عضد الدولة] الخلع السلطانية، وتوجَّه بتاج مرصع بالجوهر وطوَّقه وسوره، وقلده سيفاً، وعقد له لوائين"(68). وسيصبح هذا الحفل الأنموذج الذي سيتم به تفويض جميع الملوك البويهيين الذين سيتولون المنصب ويتوارثونه بصلاحياته وامتيازاته التي حَصَّلها عضد الدولة(69).

رغم أن الخليفة اعترف في كتاب التفويض بتوسيع سلطات عضد الدولة رسمياً، إلا أنه أسماه "الظهير المشارك"، عازفاً عن تسميته بالملك(70)، غير أن عضد الدولة أصمَّ أذنيه عن ذلك، وأصر على "صفته الملكية"، جاعلاً لقبه الرسمي "الملك شاهنشاه"، رغم أن الخليفة لم يمنحه هذا اللقب رسمياً، وذلك عندما "جعل المخاطبة له والمكاتبة عنه بـ: الملك شاهنشاه عضد الدولة وتاج الملة وولي النعم"(71)، وهو ما التزم به الجميع في مكاتبته(72)، ومخاطبته(73)، وسار على هذا النهج جميع خلفاء عضد الدولة(74)، حتى جلال الدولة (416-435هـ/ 1025-144م) الذي أجبر الخليفة على الاعتراف رسمياً بلقبه الملكي ذي الصيغة الساسانية "شاهنشاه الأعظم ملك الملوك". ورغم اعتراضات بعض الفقهاء والعامة، فقد أصبح لقبه الرسمي(75)، ولقب من خلفه من البويهيين(76). ثم اعترفت الخلافة بحمل لقب ملك رسمياً لحكام الدول الإسلامية الأخرى المعاصرة للبويهيين(77)، وما تلاها من دول(78).

كان تبلور منصب الملك وانتزاعه لصلاحيات واسعة من الخليفة تطوراً كبيراً في تاريخ الفكر الإسلامي والممارسة السياسيّة الإسلامية، نظراً لمشاركته الخليفة في السلطة بانقسامها بينهما

بصورة رسمية إلى: سلطة دينية يمارسها الخليفة، ومقرها دار الخلافة[79]، وسلطة دنيوية / المُلك يمارسها الملك، ومقرها دار المملكة[80]، وترتب على صيغة التفويض الذي تلفظ بهها الخليفة الطائع مخاطباً عضد الدولة: "أفوض إليك ما وكله الله تبارك وتعالى إليّ من أمور الرعية في شرق الأرض وغربها، وتدبيرها في جميع جهاتها، سوى خاصتي وأسبابي وما تحويه داري، فتولى ذلك مستخيراً لله فيه"[81]، أن اعتقد عضد الدولة شمول سلطته النواحي الدينية؛ نظراً لعدم استثناء الخليفة الطائع لها مع ما استثناه، فمد سلطته إلى تعيين القضاة وغيرهم من الموظفين الدينيين التابعين للخليفة، "متأولاً في ذلك بأن جميع الأمور منوط بتدبيره وداخلٌ في تقليده"[82]، مما مثل تهديداً كبيراً بإلغاء المجال الأخير الذي يمارس فيه الخليفة سيادته، وشرّع الباب أمام مرحلة خطيرة من مراحل تدخل الملوك في اختصاصات الخلفاء، في الوقت الذي مُنعوا من التدخل تماماً في اختصاصات الملوك، حسب النظام الذي نظّم العلاقة بين الخلافة العباسيّة والدولة البويهيّة.

كان الخليفة يحرص عند تفويضه السلطة لحكام الدول استثناء المجالات الدينية منها، والتي كانت تستمر تبعيتها للخليفة مباشرة، فعندما ولى المطيع أنوجور بن الإخشيد (335-349هـ/946-960م) مصر والشام، خلفاً لأبيه، "ولاه أمورها سوى الخطابة والحكومة " [83]، أي القضاء. ولذا كان الخليفة أو قاضي قضاته يولي قضاة المدن المصرية والشامية في عهد الدولة الإخشيدية[84]. والظاهر أن هذه السياسة اتبعت مع الدول الأخرى؛ إذ كان الخليفة الطائع يولي القضاة في أقاليم: الموصل والجزيرة الفراتية، وأرمينية[85]، والأهواز[86]، ويبدو أن الخطابة في هذه الأقاليم ارتبطت بالخليفة أيضاً، واعتبر صاحب السلطة الشرعية الوحيد في توليتها[87].

غير أن البويهيين استحصلوا تفويضاً من الخليفة بتولية الولايات الدينية في دولهم وولاياتها خارج العراق، الذي حرص الخليفة على ممارسته لسلطته الدينية فيه[88]، وهو الأمر الذي سيدفع السامانيين والغزنويين من بعدهم لمشاركة البويهيين هذا الامتياز، مما سيقلص الحيز الجغرافي الذي يمارس فيه الخلفاء سلطاتهم الدينية المتبقية لهم. الا أن الخليفة استثنى تنفيذ حكم الإعدام بالمذنب إلاّ بعد موافقته[89]، وهو استمرار لامتياز الخليفة في حقبة قوة الخلافة وبسطها سلطتها على الأقاليم[90].

كانت السلطة الدينية التي اختص بها الخلفاء تنتظم إدارتها بديوان دار الخلافة[91]، الذي ضم خلال الحقبة مدار البحث:

- الكاتب

بعد أن فقد الخليفة حقه بتعيين وزير له، اقتصر حقه على تعيين كاتب يعمل على تنظيم عمل ديوان دار الخلافة، واستلام المخصصات المالية التي أفردها البويهيون للخلفاء[92]، وعهد إليه بكتابة عهود التولية الصادرة عن الخلفاء بالولايات الدينية التابعة لهم[93]، وقراءة عهود تولية الملوك البويهيين وتفويضهم بالسلطة[94]، كما كان يوكل إليه أحياناً مهمة إلقاء القبض على بعض المخالفين للخليفة[95].

ومن الصفات التي تؤهل الشخص ليعمل كاتباً للخليفة "أن يكون ذا دربة بالعمل" في ديوان الخلافة[96]، وأن يكون "بليغاً مترسلاً"[97] لمسؤوليته عن تحرير عهود التولية الصادرة عن الخلفاء.

حمل كاتب الخليفة لقب "عميد الرؤساء"[98]، في بداية الأمر، ليصبح بعدها لقبه "رئيس الرؤساء"[99]. وعندما انتعشت الخلافة العباسيّة في أواخر الدولة البويهية تطور منصب كاتب الخليفة إلى وزير، في خطوة تنبئ باستعادة الخلفاء بعضاً من صلاحياتهم الدنيوية المسلوبة[100].

- ديوان الإنشاء

كان يسمى في بداية الهيمنة البويهية ديوان الرسائل[101]، ولم يلبث أن دمج مع ديوان رسائل الدولة البويهية[102]، مما يوحي برقابة بويهية على مراسلات الخلافة. ولعل ذلك ما دفع الخلافة العباسيّة إلى إيجاد ديوان مواز لديوان الرسائل البويهي تابع للخلافة مباشرة تحت اسم "ديوان الإنشاء"، الذي ظهر في دار الخلافة مطلع ق5هـ/11م[103] في عهد الخليفة القادر، ومهمته كتابة المراسلات الرسمية الصادرة عن الخلفاء.

وكان الديوان يضم عدداً من الكُتّاب يسمى رئيسهم "كاتب الإنشاء"، اشترط فيه "العلم الغزير، والذكاء، والأمانة، والإلمام بالقوانين" المرعية في المراسلات مع الدول الإسلامية وحكامها[104].

- صاحب الخبر والبريد

كانت رسائل الحكام للخليفة تصل في بداية المرحلة البويهية إلى الأمير البويهي الذي يتولى عرضها على الخليفة بنفسه[105]، في خطوة تؤكد الرقابة البويهية التامة على مراسلات الخلافة والأخبار التي تصل للخليفة. غير أن المصادر تظهر في أيام الخليفة القادر (381-422هـ/ 991-

1031م) منصباً جديداً تابعاً لديوان دار الخلافة أطلق عليه "صاحب الخبر والبريد"[106]، مما يؤكد سعي القادر إلى استقلالية مراسلاته عن البويهيين، والحفاظ على سرية محتواها، وإيجاد مؤسسة مستقلة عن البويهيين تضمن له الحصول على ما يهمه من الأخبار المتعلقة بالوضع العام في البلاد.

كانت مهمة صاحب البريد نقل الرسائل[107] بين الخليفة وحكام الدول الإسلامية، وألحق به رسل يسفرون بين الخلفاء والحكام في الحقبة مدار البحث[108]. في حين كانت مهمة صاحب الخبر نقل أخبار ما يحدث في البلاد، بغداد على وجه الخصوص خلال الحقبة مدار البحث، إلى الخليفة. وألحق به أشخاص يجمعون الأخبار، ويرفعونها إلى "صاحب الخبر" الذي يتولى، بدوره، عرضها على الخليفة[109]، وصاحب الخبر هو عين الخليفة وأذنه في البلاد. وكان هذان المنصبان يُجمعان في بعض الأحيان لشخص واحد[110]، وينفصلان في أحيان أخرى إلى: صاحب خبر[111]، وصاحب بريد[112].

- **استاذ الدار**

وردت أخبار هذا المنصب في عهد القادر[113]، ومهمته عمارة دار الخلافة، وترميم الدارس منها، والإشراف على خدم الخلفاء[114]، وموظفي دار الخلافة من: حشم، وحاشية، وحراس، وبوابين[115].

- **الحُجّاب**

كان الخليفة يعين حاجبه في بداية الهيمنة البويهية[116]، ثم عمد البويهيون إلى تعيين أحد أفراد أسرتهم بهذه الوظيفة، فعين مُعِزُّ الدولة ابنَه عزَّ الدولة حاجباً للمطيع، ثم عين عز الدولة أخاه عمدة الدولة حاجباً للمطيع أيضاً[117]، مما يشعر برقابة بويهية صارمة على الخليفة. غير أن الخلفاء ابتداءً من الطائع استردوا صلاحياتهم بتعيين حجابهم[118]، مما يشعر بخطواتهم نحو الاستقلال عن الإشراف البويهي على دار الخلافة، التي كانت تضم في الحقبة مدار البحث ثلاثة حجاب كبار، وثمانية وعشرين حاجباً صغيراً[119]، يرأسهم "حاجب الحجاب" الذي يتولى مهام إدخال الشخصيات العامة إلى الخليفة، وترتيب مجالسهم في حضرته[120].

وأوكلت إلى الحاجب في بعض الأحيان مهام نقل تعليمات الخليفة ورسائله الشفهية[121]، وقيامه بأعمال ذات طابع أمني في مدينة بغداد وأحيائها[122]، وأرسل في بعض الأحيان للتوسط

لحل النزاعات بين حكام الدول الإسلامية التابعة للخلافة العباسيّة[123]، ولإيصال خلع الخليفة ولواءه إلى الحكام[124]. وكان يُخلع على حاجب الخليفة عند تعيينه من قبل الخليفة "بالسيف والمنطقة"[125]، ويكون الزي الرسمي لكافة الحجاب "الأقبية السود المولدة، والسيوف والمناطق"[126]. وحمل الحاجب كغيره من رجالات الدولة آنذاك ألقاباً، ذكرت منها المصادر: فخر الحجاب[127].

- **صاحب الشرطة**

أصبحت المسؤوليات الأمنية من صلاحيات الدولة البويهية منذ هيمنتها على الخلافة العباسية[128]، غير أن فشل الدولة البويهية في الحفاظ على الأمن والاستقرار، بعد أن تحولت المدن إلى ساحات فتن طائفية مستمرة بين السنة والشيعة[129]، أدى إلى تكليف الخليفة حاجبه القيام بمهام أمنية داخل العاصمة بغداد[130].

ثم عمد الخليفة، على ما يستشف من بعض المصادر، إلى تعيين صاحب شرطة في العاصمة بغداد عندما ولى حاجب حجاب الخليفة القادر الحسن ابن النسوي (ت 452هـ/1060م) في منصب صاحب المعونة سنة 422هـ/1031م[131]. وهو ما استمر في عهد ابنه القائم[132]، مما يشعر بتنامي سلطة الخليفة، ومد نفوذه إلى الجوانب الأمنية في الدولة. وكانت مهام صاحب الشرطة "قمع أهل الغي والضلالة، وتتبع ذوي الدعارة والعيارة"، مما يستلزم معه أن يكون من "أولي الشهامة والصرامة، وذوي الممارسة"[133]. غير أن تدخل الخلفاء لإقرار الأمن في بغداد لم يلقَ نجاحاً كبيراً[134].

- **ديوان الخاص**

ورد ذكر هذا الديوان في فتنة البساسيري سنة 450هـ/1058م عندما أقدم أتباعه على سلب دار الخلافة، و"نهبوا ديوان الخاص" فيها[135]، ويبدو أن هذا الديوان كان مسؤولاً عن مالية دار الخلافة[136]، التي كانت مصادرها الإقطاعات التي أفردها البويهيون للخليفة[137]، والأموال التي تجبى من أهل الذمة في العراق[138]، إضافة إلى مشاهرات مالية تصل الخليفة وموظفي دار الخلافة من دار الضرب ببغداد[139]، وما يصله من حكام الدول الإسلامية عند تفويضهم بالسلطة في دولهم[140]. وكان الخليفة ينفق الأموال، إضافة إلى نفقات دار الخلافة وإدارتها، في "تشريفاتٍ، وخلعٍ، وصلات للملوك والأمراء والقضاة والأشراف، وسائر طبقات الناس"[141]، مما حمله عبئاً مالياً كبيراً، ورغم هذا فلم يسلم الخلفاء من مصادرة البويهيين[142].

وكان ديوان الخلافة يشرف على مجالات سلطة الخليفة التي اقتصرت في حقبة الهيمنة البويهية على الجوانب التالية:

- **المساجد**

قامت المساجد بدور حيوي وكبير في الحياة العامة والثقافية خلال العهود الإسلامية المتعاقبة، ومن ضمنها الحقبة مدار البحث، إذ كانت وسيلة الدولة في تبليغ أفراد الأمة أوامرها وتعليماتها، وإظهار شرعية الولاة والموظفين وتبعيتهم وطاعتهم للخلافة العباسية(143)، التي كانت تحرص من خلالها على الحفاظ على الطابع السني للدولة، ومراقبة الأفكار المعارضة لها ومكافحتها، وهو ما دفع الخلفاء لتعزيز سلطتهم وإشرافهم على المساجد، واحتكار حق تسمية الجامعة منها(144). وحافظ خلفاء مرحلة الهيمنة البويهية على سلطتهم وإشرافهم على المساجد، واستثنوها من المجالات التي تفوض السلطة بها للحاكم في دولته، لتبقى تحت سلطة الخليفة وإشرافه(145). وفي ظل عدم توافر الأخبار عن مساجد الأقاليم والمدن التابعة للخلافة العباسيّة، آنذاك، تغدو مدينة بغداد النموذج الأبرز الذي تتبدى فيه سلطة الخليفة العباسي على المساجد بشكل واضح وجلي خلال حقبة الهيمنة البويهية، والتي بدأت وفي بغداد أربعة مساجد جامعة هي: جامع المنصور، وجامع الرصافة، وجامع قصر الخلافة، وجامع براثا(146).

احتكر الخليفة العباسي الحق في تسمية المساجد الجامعة ومارس هذا الحق خلال الحقبة مدار البحث، فرفض المطيع زيادة عددها في بغداد(147)، في حين أضاف إليها الخليفة الطائع مسجد قطيعة أم جعفر، الذي سيعرف باسم مسجد القطيعة، "وصار جامعاً يصلى فيه الجمعات"(148)، وأضاف الخليفة القادر إليها مسجد الحربية، و"رسم أن يُعَمَّر ويُكسى ويُنصب فيه منبر، ورتب إماماً يصلي فيه الجمعة"، ليصبح عدد مساجد بغداد الجامعة ستة، وهو العدد الذي ثبتت عليه طيلة حقبة الهيمنة البويهية(149).

واختص الخليفة بتعيين خطباء المساجد الجامعة وأئمتها في الشام ومصر(150)، والحرمين الشريفين(151)، حتى ضم الدولة الفاطمية لها، ومدن العراق(152)، وخاصة مدينة بغداد، التي كان معظم أئمة المساجد الجامعة وخطبائها من أفراد الأسرة العباسيّة(153). ويلاحظ أن بعض الخطباء والأئمة كانوا يشغلون مناصبهم لفترة طويلة(154)، وشغل بعضهم الخطابة والإمامة في أكثر من مسجد جامع، مما استلزم معها تعيين نائب له في أحدها(155)، وكان بعض الأئمة والخطباء يجمعون إلى مناصبهم هذه: القضاء أو الشهادة(156).

ويلفت الانتباه ظهور أسر عباسيّة تولى أفرادها الخطابة والإمامة في مساجد بغداد في الوقت ذاته، حتى سُمّيَ الحسن بن عبدالعزيز العباسي "أبا الأئمة، لأن أولاده كانوا أئمة في الجوامع" سنة 361هـ/972م[157]، وأسرة أحمد بن الفضل العباسي (ت350هـ/961م)، التي توارث أفرادها الخطابة والإمامة في مساجد بغداد[158].

وكان تعيين الخطيب والإمام يصدر عن دار الخلافة[159]، ويخلع عليه "خلعة سوداء"، ويكتب له عهد بتقليده الصلاة والخطابة في الجامع[160]. وتلقى الخطباء تعليماتهم من الخليفة فقط[161]، لذا كانوا يقفون إلى جانب الخلفاء في نزاعاتهم مع البويهيين[162].

كان لكل مسجد ناظر للقيام بأمره والاعتناء به[163]، وناظر لأوقافه التي تؤمن نفقاته[164]، ومؤذنون ينادون للصلاة[165]، ومرتب لصفوف المصلين خلف الإمام[166]، ومكبرون "ينقلون التكبير عند الركوع والسجود والنهوض والقعود"[167]، وبوابون "يطردون السُؤال"[168]، ويوابون للمقصورة يمنعون الدخول إليها "إلا من كان من الخواص المتميزين". وكان زي الخطيب والمؤذنين أسود اللون[169]، وهو شعار الخلافة العباسيّة.

كان الخليفة يفوض النظر في مساجد البلاد التابعة لسلطته إلى من يستكفيه هذه الغاية، ويصدر له عهداً يحدد فيها واجباته، وأهمها: المحافظة على الصلوات وأدائها، والاهتمام بعمارة المساجد وترميمها، وجمع أوقافها وتنميتها، وكتابة اسم الخليفة على ما يستجد من بناء، والإشراف على موظفيها، وتعيين الأئمة والخطباء في مساجد "الأقطار والأطراف والنواحي والبلدان" التابعة للخلافة العباسيّة، ومراقبة خطبة الجمعة للتأكد من اكتمالها بالخطبة للخليفة العباسي[170]، بوصفها دلالة تبعية وطاعة للخلافة العباسيّة، وكلف متولي نظر الصلاة والخطابة العمل على ضمان تبعية الإقليم الذي يشرف عليه للخلافة العباسيّة. جاء في عهد الخليفة القادر لصاحب الصلاة والخطابة ببلاد جيلان: "وأمره بالنداء على المنابر وفي سائر المحافل والمعاقل بالشعار الأعلى، والفرض الأوفى من ذكر دولة أمير المؤمنين، وحث الأمة على طاعته أجمعين، ...، فإن وجد نافراً عن فريضة الدعوة الشريفة القادرية، ...، استنفر عليه الأمم وقمعه بما يوجبه الحكم"[171]. وهو ما يدل على أهمية الجانب السياسي في عمل ناظر الصلاة والخطابة العباسي، إضافة إلى واجباته الأخرى.

كان منصب النظر في المساجد الجامعة/صاحب الصلاة والخطابة يُعهد إلى رجال من فئة القضاة والشهود في بداية الهيمنة البويهية[172]، ثم كلف به بعض أفراد الأسرة العباسية[173]، ثم أُتبع لنقيب العباسيين[174]. غير أن عضد الدولة ألحق بعض مهامه بنقيب الطالبيين[175]، مما

حمل الخليفة الطائع على توليته المنصب كاملاً مضافاً إلى نقابة الطالبيين[176]. ولم يلبث الطائع أن أعاد المنصب إلى نقيب العباسيين بعيد وفاة عضد الدولة، واستمر المنصب بيده حتى نهاية الهيمنة البويهية[177].

كانت الصلاة الجامعة في المساجد مظهراً من مظاهر وحدة الأمة وتكاتفها وتعاونها، وتم تأكيد هذه الفكرة في الحقبة مدار البحث، فـ "الجمعة والأعياد جعلت مجمعاً للأمة يتلاقون ويتزاورون، ويفضلون على الضعفاء والمساكين"[178]، وراجت الأحاديث النبوية التي تؤكد حضور صلاة الجمعة[179]، وأداء صلاة الجماعة[180]، وعُدَّ الذين "يتركون الجمعة والجماعة"، من أهل البدع[181]. وهو ما ساهم بتمسك الناس بها، لا سيّما أهل بغداد. قال الخطيب البغدادي (ت463هـ/1070م): "من شهد يوم الجمعة بمدينة السلام عظّم الله في قلبه محل الإسلام، لأن مشايخنا كانوا يقولون: يوم الجمعة ببغداد كيوم العيد في غيرها من البلاد"، حتى عدَّ بعضهم "يوم الجمعة ببغداد" من محاسن الإسلام[182]. لذا كانت تعليمات الخليفة وآراؤه تذاع على الناس يوم الجمعة[183].

وحرص الخلفاء على اغتنام الحضور الكثيف للناس إلى مساجد بغداد للعناية بالمذهب السني ونشر علومه، فمنعوا التدريس بها إلا بعد موافقة الخليفة، التي منحت لأنصار المذهب السني[184]، في حين منعت عن أتباع المذاهب الأخرى[185]. بعد أن أصبحت المساجد الحصن الأخير للمذهب السني أمام المد والسلطة البويهيّة الشيعية في العراق[186]. وبرز في هذا النشاط العلمي السني: جامع المنصور وجامع الرصافة، وجامع دار الخلافة، التي ضمت حلقات للفتوى والتدريس طيلة الحقبة مدار البحث لـ: المذهب الحنبلي[187]، والمذهب الشافعي[188]، والمذهب المالكي[189]، والمذهب الحنفي[190]، تعاقب عليها كبار فقهاء كل مذهب منها.

كما عقدت في المساجد الجامعة حلقات الحديث النبوي[191]، وتفسير القرآن على المذهب السني[192]، ومجالس الوعظ على المذهب السني[193]، وبرز من هؤلاء الوعاظ ابن سمعون (محمد بن أحمد ت 387هـ/997م) صاحب مجلس الوعظ في جامع المنصور، قال عنه ابن خلكان: "كان لأهل العراق فيه اعتقاد كبير، ولهم به غرام شديد". وهو ما يبين تأثيرهم على العامة[194]، وانتشر القصاص في مساجد بغداد وشوارعها، وكان لهم دور كبير في تأجيج المشاعر الطائفية بين السنة والشيعة فيها[195]، وشهدت بغداد نشاطاً صوفياً كبيراً، تحالف كبارهم مع الخلافة العباسيّة، التي سمح خلفاؤها في الحقبة مدار البحث ببناء أربطة في مدينة

بغداد[196]، وتكوين الحلقات في مساجدها[197]، وشارك الصوفية في تأجيج المشاعر الطائفية في بغداد[198]، ودافعوا عن السنة وطروحاتها أمام التشيع الذي ساندته الدولة البويهية[199].

ولم يكن الشيعة في بغداد يصلون مع أهل السنة الجمعة أو الجماعات[200]، إذ كانوا يروون عن أئمتهم النهي عن الصلاة خلف خصومهم[201]، فاختصوا بمسجد براثا[202]،حيث اعتقدوا أن علي بن أبي طالب صلى في موضعه[203]. وكان مسجد براثا مركزاً للفكر الشيعي وفقهه [204]، وله خطباء من الشيعة يذكرون علي بن أبي طالب بخطبهم بصفات تضفي عليه صفة الألوهية[205]. غير أن الخليفة القادر "عزل خطباء الشيعة وولى خطباء السنة"[206]، في محاولة لكبح الغلو في مسجد براثا، الذي استمر حتى دمّر بُعيْد سنة 451هـ/1059م[207].

- القضاة

اختص الخليفة بتعيين القضاة في أقاليم الدول التابعة للخلافة العباسيّة في الحقبة مدار البحث، وتم استثناء القضاء وتعيين القضاة من السلطة المفوضة للحكام[208]، فكان الخليفة أو قاضي قضاته يعينان القضاة في مصر والشام والجزيرة الفراتية والعراق والأهواز[209]، غير أن استيلاء الدولة الفاطمية على مصر سنة 358هـ/969م ومن بعدها الشام والحجاز قلص الحدود الجغرافية لسلطة الخليفة القضائية[210]، ولم يلبث البويهيون أن حصلوا على حق تعيين القضاة في أقاليمهم خارج العراق[211]، فأصبحوا يعينون القضاة في مدن أقاليم دولتهم[212]، وهو ما دفع حكام الدول الأخرى التابعة للخلافة العباسيّة إلى الحصول على هذا الحق، وأصبحوا يعينون قضاة دولهم[213]، الأمر الذي حصر سلطة الخلفاء القضائية جغرافياً في العراق وحده تقريباً، وهو ما دفعهم للتمسك بها والدفاع عنها.

كان الخليفة يمارس سلطته القضائية بتعيينه قاضي القضاة، الذي يعين بدوره قضاة المدن والأقاليم، وابتدأت حقبة الهيمنة البويهيّة وللخليفة الصلاحية التامة بتعيين قاضي القضاة أو القضاة مباشرة[214]، غير أن معز الدولة عمد في سنة 350هـ/961م إلى الاعتداء على سلطة الخليفة القضائية عندما عين عبدالله بن الحسن بن أبي الشوارب قاضياً للقضاة متجاوزاً الخليفة في ذلك، ومما زاد من توتر الأجواء أن القاضي الجديد ضَمِنَ القضاء مقابل "مائتي ألف درهم في كل سنة" تدفع لمعز الدولة[215].

غير أن الخليفة المطيع، رغم ضعفه البيّن، أبدى معارضة شديدة لتدخل معز الدولة في سلطته، فرفض الاعتراف بشرعية تعيين القاضي ابن أبي الشوارب، ولم يأذن له بدخول دار

الخلافة[216]، الا أن ابن أبي الشوارب استمر بمنصبه حتى 352هـ/963م، عندما تمكن الخليفة من عزله وتعيين عمر بن أكثم الأسدي (ت357هـ/968م) قاضياً للقضاة بدلاً منه، وخوفاً من تكرار الخطوة البويهيّة هذه، أمر المطيع قاضي قضاته الجديد "بألا يمضي شيئاً من أحكام وسجلات ابن أبي الشوارب"[217]، في خطوة تعني عدم اعتراف الخليفة بكل ما ترتب وانبثق عن قاضي القضاة غير الشرعي، مما يعني تعطيل الفعاليات المختلفة للأمة. ولعل هذا الموقف المتصلب من الخليفة تجاه التدخل بسلطته القضائية دفع معز الدولة وابنه عز الدولة إلى عدم التدخل بتعيين القضاة.

أخذت الأمور بعداً آخر في عهد عضد الدولة، إذ حصل على تفويض مطلق بالسلطة من الخليفة الطائع، الذي لم يستثن أي مجال في خطاب التفويض الذي منحه لعضد الدولة، مما دفع الأخير لمد سلطته إلى تعيين القضاة "متأولاً في ذلك بأن جميع الأمور منوط بتدبيره وداخل في تقليده"[218]، فقام في سنة 369هـ/979م بعزل قاضي قضاة الخليفة، وتعيين قاضي قضاة جديد[219]، لـ "فارس والعراق وجميع أعمال عضد الدولة"[220]، غير أن أصوات الإنكار ارتفعت على تعدي الملوك على السلطة القضائية للخليفة، معتبرةً إنه "لا يصح عقد القضاء وتوليته إلا من الخليفة"، مما دفع صمصام الدولة بن عضد الدولة (372-376 هـ/ 983-986 م) إلى تصدير عهوده للقضاة بعبارة "هذا ما عهد صمصام الدولة، ...، إلى فلان، بأمر أمير المؤمنين"[221]، في محاولة لتخفيف مظاهر حدة التدخل البويهي بسلطة الخليفة القضائية، وإلباس تعيين القضاة ثوباً شرعياً.

بدأ الخليفة القادر سعيه لاستعادة سلطة الخلفاء القضائية، إذ عمد منذ توليه الخلافة سنة 381هـ/991م إلى تعيين القضاة في المدن العراقية[222]، واستمر على هذا النهج مبدياً تصميمه على استعادة سلطته القضائية في العراق وما يجاورها من بلاد[223]، وهو ما أثار مخاوف بهاء الدولة بن عضد الدولة (379-403هـ/989-1012م)، فعمد في سنة 394هـ/1004م إلى تولية الحسين بن موسى الموسوي العلوي (ت 400هـ/1009م) قضاء القضاة، ونقابة الطالبيين، والحج والمظالم، وكتب له عهداً بهذه المناصب، إلا أن الخليفة القادر أبدى مقاومة كبيرة لهذه التولية، ورفض الاعتراف بشرعية تولية الموسوي القضاء لعدم صدورها عنه، "وترددت في هذا أقوال" بين الخليفة والملك البويهي، انتهت إلى تنازل الطرفين: فالخليفة يمضي تولية الموسوي بالنقابة والحج والمظالم، والملك يعيد السلطة القضائية للخليفة[224]، الذي بادر بتعيين قاضي قضاة جديد[225].

غير أن بهاء الدولة أراد تقليص استقلالية الخليفة القادر باختيار قاضي القضاة، فاستغل نائبه ببغداد وفاة قاضي قضاة الخليفة سنة 405هـ/1014م، ليرشح أشخاصاً لتولي المنصب، "وأنفذ ثبتاً بأسمائهم إلى حضرة الخليفة، ليكون الاختيار إليه في التعيين على من يُعَيَّن عليه"، فاختار الخليفة أحدهم للمنصب[226]. والواضح أن القادر استعاد سلطته القضائية من الملك البويهي، الذي أراد حصر سلطة الخليفة في الاختيار من مرشحيه، غير أن القادر سرعان ما استطاع تجاوز الترشيح البويهي للقضاة، وأصبح حراً في اختيار قضاته، "وانتقل النظر في أمور القضاة والمقلدين، والملقبين من أصحاب الأطراف إلى دار الخلافة العزيزة، فأعيدت العهود إلى رسومها الأولى، وكتبت عن أمير المؤمنين القادر بالله"[227]، وأخذ الخليفة يمارس صلاحياته، وسلطته القضائية دون تدخل من البويهيين، حتى سقوط دولتهم في العراق سنة 447هـ/1055م[228].

كانت دلالة شرعية تولية القاضي وصدورها عن الخليفة أن يخلع الخليفة عليه[229]، ويكتب له عهداً بولايته القضاء[230]، يقرأ في دار الخلافة[231]، ثم يذهب القاضي الجديد "إلى المسجد الجامع فيقرأ فيه عهده"[232]، أو بمكان آخر "بمشهد من الأشراف والقضاة والفقهاء والوجوه"[233]، إشهاراً لشرعية توليته لصدورها عن الخليفة. وكان على القاضي، في بغداد على وجه الخصوص، أن يحضر إلى دار الخلافة في أيام مخصوصة، وأن يخرج لاستقبال زائري الخليفة[234]، وإعتبر من يُحْرَم من هذه الواجبات قاضٍ غير شرعي لم يوله الخليفة[235].

تضمنت عهود القضاة الواجبات الملقاة على عاتقهم، وأهمها بعد حضه على التقوى وخشية الله، والمداومة على العبادات وقراءة القرآن: أن تكون مرجعيته القضائية القرآن، والسنة، وإجماع فقهاء الأمة، ثم اجتهاده الشخصي ضمن الضوابط الشرعية. والعمل على نشر العدل بين الكافة، وأن تكون جلسات القضاء "في المساجد الجامعة والمجالس الحافلة" إشهاراً لها، ودفعاً لشبهات إصدار الأحكام الظالمة، واختيار الشهود العدول، وضمان صلاح الموظفين التابعين له، والإشراف على أموال الأيتام، وعلى الأوقاف: عمارة وتحصيلاً وتوزيعاً، والحفاظ على سجلات القضاء وأحكامه الصادرة لحفظ حقوق الناس[236].

واشترط في القاضي أن يكون "عالماً بشُعب الحلال والحرام، حسن التصرف في مدارج الكلام، ...، عادلاً في القضية، متواضعاً مع مهابة، لين الكنف من غير مهانة، نقي الجيب، سليم من العيب، عف الإزار، طاهراً من الأوزار"[237]، مع المحافظة على "التوفر والتحفظ" في أفعاله وأقواله[238].

وأوكل الخلفاء إلى القضاة مهام سياسية إلى جانب مهامهم القضائية، تُحتّم عليهم مراقبة المناطق التي يقضون فيها، من حيث التزامها بالطاعة للخليفة، أو انتشار الأفكار والمذاهب المعارضة للخلافة، جاء في عهد الخليفة القادر لقاضي بلاد جيلان: "... وأن يديم التصفح لأحوال البلاد التي ولي فيها، ...، فإن وجد نافراً عن فريضة الدعوة الشريفة القادرية اجتذبه إليها بالموعظة، ...، وإن تشاوس وعَنَدَ؛ استنفر عليه الأمم وقمعه بما يوجبه الحكم"(239)، ولأجل ذلك بادر قاضي فارس والأهواز عبدالوهاب بن منصور ابن المشتري (ت436هـ/1045م) بإعلام الخليفة القائم بنشاط الدعوة الشيعية الإسماعيلية في الإقليمين، وتغافلِ أبو كاليجار البويهي (415-440هـ/1024-1048م) عنها، مما نبه الخليفة القائم (422-467هـ/1031-175م) إلى المسألة، وفرض على أبي كاليجار مقاومة الدعوة الإسماعيلية في أقاليمه(240). وهو ما ينبئ عن دور القضاة في دعم الخلافة، والتصدي لما يعارضها، لا سيما أن الخلفاء استغلوا تبعية القضاء لهم للضغط على البويهيين عند تفاقم الأمور بينهما(241).

وكان القاضي مسؤولاً عن "الشهود العدول"، الذين اشترط فيهم أن يكونوا "من أهل الصلاح والديانة، والعفاف والأمانة، والصدق في المقالة والاستحقاق للعدالة"(242)؛ إذ كانوا يشهدون على صحة عقود الناس ووثائقهم(243)، واعتبرت شهادتهم وسيلة إثبات الحقوق(244) وإظهارها، ونفي الشك في صحة الوثائق(245) أمام الجهات المختصة، وهو ما يماثل وظيفة كاتب العدل حالياً(246). وكان للشهود العدول، في الحقبة مدار البحث، رئيس سمي "مقدم الشهود"(247)، اشترط فيه أن يكون "من أهل الدين والورع"(248)، وأوكل إليه اختيار الشهود وتعديلهم(249)، ومراقبتهم و"تعرف أخبارهم واستعلامها، وتتبع بواطنهم واستكشافها"، لمنع من تسول له نفسه "قبول رشوة على كذب في شهادة، أو استجازة خيانة"(250). وكان الشهود من الموظفين التابعين للخليفة، ويتلقون منه التعليمات(251)، ولذلك استغل الخليفة تبعيتهم له في تقوية سلطته وإنعاشها(252).

وأوكل للقضاة الوصاية على الأيتام، وحفظ أموالهم وتنميتها، والإنفاق عليهم منها باقتصاد، حتى يبلغوا الرشد، فيمنحوا حق التصرف بها(253)، وكان القضاة ينيبون عنهم في هذه المهمة موظفين سموا "أمناء القضاة"(254)، اشترط فيهم أن يكونوا من "الحفظة الأعفاء"(255)، على أن يخضعوا لمراقبة القاضي المستمرة(256)، كما عهد للقضاة الإشراف على الأوقاف، وحفظها وتنميتها، وصرف واردها على المستحقين لها(257)، وكان القضاة يعينون في الحقبة مدار البحث

أمناء أوقاف للقيام بهذه المهمة[258]، اشترط فيهم أن يكونوا من "الثقات والحصفاء الكفاة، المعروفين بالظلف والورع، المتنزهين عن، ...، الجشع"[259].

ومن الجدير بالذكر أن عضد الدولة عمد للاعتداء على سلطة القضاة في الإشراف على الأوقاف في السواد، فـ "رتب لها ناظرين متصرفين، وقرر لأربابها إجارة تطلق لهم عنها، فتحصل منها جملة كثيرة، وصارت في المقبوض، وخرجت في الإقطاع بعد ذلك"[260].

ولعل هذا الاعتداء هو الذي دفع الخليفة الطائع إلى استحداث منصب "ناظر الأوقاف ببغداد وسوادها"، وعهد به إلى الحسين بن موسى العلوي (ت 400هـ/1009م)[261]، الذي شغل منصب نقيب الطالبيين عدة مرات ابتداءً من سنة 354هـ/965م[262]، في بادرة تحاول وقف تجاوزات عضد الدولة على الأوقاف، نظراً لتولي أحد الأشراف العلويين لها، وكلف ناظر الأوقاف أن "يرعى ما يُستَحْفَظُه من الوديعة [الأوقاف]،...، مستنفذاً طوقه في عمارتها، مستفرغاً وسعه في مصلحتها، دائباً في استغلالها وتثميرها، مجتهداً في تدبيرها وتوفيرها"، على أن يصرف وارد الوقف، بعد حسم تكاليف رعايته وتثميره، على "أربابه الذي يعود ذلك عليهم في وجوهها التي سُبّل لها ووقف عليها"، وليس كما فعل عضد الدولة بدفع "إجارة [لأربابها] تطلق لهم". ولتحقيق هذه الغاية كلف ناظر الوقف استحداث "ديوان الوقوف" لتودع فيه "أصول الأعمال وفروعها، وقليل الحجج وكثيرها" بهدف "أن يحتاط لأربابها في حفظ رسومها ومعاملاتها، وحراسة طُسُوقها ومقاسماتها، حتى لا يستمر عليها حيف يبقى أثره، ولا يتغير فيها رسم يُخاف ضرره"، وهي إشارة إلى تعدي عضد الدولة على أوقاف السواد، وتكليف لناظر الوقف العمل على إبطاله. ولتحقيق هذه الغاية يتوجب ان يضم ديوان الوقوف: "كاتب معروف بالسداد مشهور بالرشاد، معلوم منه نصيحة الأصحاب، والضبط للحساب"، يفوض الديوان إليه لحفظ الأوقاف وتنميتها، وإنصاف المزارعين بحيث "لا يجشمهم حيفا، ولا يسومهم خسفا، ولا يغضي لهم عن حق". يساعده في عمله "خازن حصيف، قؤوم أمين"، واجبه "خزن حجج هذه الوقوف وسجلاتها، وسائر دفاترها وحُسباناتها، ...، [و] أن يحتاط عليها جهده"، إذ إن هذه السجلات والحسابات "معادن البرهان، وقواعد البنيان، وإليها المرجع في كل بينة تُبصر وتقام، وشبهة تُدحض وتضام"، قد يثيرها "عارض مُعارض، أو شاغب مشاغب". ولذا ينبغي على ناظر الوقف "أن يُشهد على القابضين بما يقبضونه من وقوفهم، ويكتب البراءات عليهم بما يستوفونه من أموالهم، ويستظهر لنفسه بإعداد الشواهد والأدلة على ما ينفقه من أموال هذا الوقوف على مصالحه، ويصرفه منها إلى أهله"، وتودع جميعها عند خازن الديوان. وأُلحق بالديوان قوّام وحفظة يتولون النظر في الوقف وتثميره، يشرف عليهم الناظر ويعاقب "الخونة [منهم] الذين لم يرعوا عهداً ولم يحفظوا حقاً"[263].

من الجلي أن استحداث هذا المنصب كان ردة فعل الخلافة على تجاوزات عضد الدولة على الأوقاف، ورغم أن الخليفة المطيع يشير إلى استمرارية هذا المنصب[264]، إلاَّ إننا نفقد أي إشارة في المصادر حول هذا، مما يحملنا على القول إن وجوده كان مؤقتاً ولهدف معين، يبدو أنه نجح به، فمع أن أوقاف السواد، التي إعتدى عليها عضد الدولة، انتهت ملكيتها للدولة البويهية[265]، إلاَّ إن هذا الاستحداث المؤقت لمنصب ناظر الأوقاف كفل عدم تعديها على الأوقاف الأخرى، مما أعاد النظر بها للقضاة[266].

وكان للقاضي ديوان سمي ديوان الحكم تحفظ به "المحاضر، والوكالات، والوثائق، والكفالات، والحجج، والسجلات"، و"الوصايا، والإقرارات"، يقوم على حفظها خُزّان وحفظة، اشترط فيهم الأمانة والتيقظ . ومن الموظفين التابعين لديوان الحكم: كاتب القاضي، الذي اشترط فيه أن يكون "عالماً بالمحاضر والسجلات، ومضطلعاً بعلم الدعاوى والبينات، قيّماً على حفظ الشروط، عارفاً بكتب العقود"، والحاجب الذي ينظم الدخول على القاضي واشترط فيه أن يكون "شديد الوقار، عارفاً بالأقدار، ....، سديداً في قوله وفعله، لا يتجهم الخصوم، ولا يتهجم في الأمور، ولا يقبل الرُشى في بيع أمانته"، ولكل من موظفي ديوان الحكم رواتب معلومة[267].

- **قضاء المظالم**

ظهر منصب قاضي المظالم في الدولة الإسلامية لتنفيذ الأحكام على الشخصيات النافذة في الدولة، والتي قد يعجز القاضي عن تنفيذها لقصور يده عنها[268]. واستمر الخلفاء في الحقبة مدار البحث يعينون قاضياً للمظالم، غير أن الملاحظ إيكال قضاء المظالم إلى نقيب الطالبيين ذي المذهبية الشيعية، في خطوة تضمن نجاح قاضي المظالم في تنفيذ أحكامه على رجالات الدولة البويهية، الذين ينصاعون لنقيب الطالبيين عند توليه قضاء المظالم نظراً لمذهبيتهم الشيعية. وكان الخلفاء يصدرون عهداً منفصلاً بقضاء المظالم[269]، أو يضمنون عهودهم لنقيب الطالبيين توكيلهم بقضاء المظالم[270].

حدد الخلفاء مهام قاضي المظالم بـ "الأخذ للمظلوم من الظالم، ...، وإقامة الحق ونصرته، وإبانته وإنارته"، في القضايا التي يثبت فيها "الغشم والظلم، والتغلب والغصب"[271]، لينزع قاضي المظالم الحق ممن غصبه ويعيده إلى مستحقه "غير مراقب كبيراً لكبره، ولا خاصاً لخصوصه، ولا شريفاً لشرفه، ولا متسلطاً لسلطانه"[272]. وأن تكون مرجعيته كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، مع إلزامه "مشاورة القضاة والفقهاء، ومباحثة الربانيين والعلماء، فإن اشتبه عليه أمر استرشدهم، وإن غرب عليه صواب استدل عليه" بهم. مع التأكيد عليه أن لا يرد أحكام القضاة،

إلاّ إذا "وجد الأمر مشتبهاً، والحق ملتبساً، والتغرر مستعملاً، والتغلب مستجازاً"[273]، على أن تكون جلسات الحكم بالمظالم علنية، بأن "يجلس المترافعون إليه جلوساً عاماً"[274] فـ "يفتح بابه، ويسهل حجابه"، ويراعي اختلاف الناس في قدرتهم البلاغية بعرض قضاياهم، "ليؤمن أن يزول الحق عن سننه، ويَزْوَرُ الحكم عن طريقه"، ثم "يكتب لمن تَوَجَّب له حق من الحقوق إلى صاحب المعونة[275] بالشد على يده والتمكن له"، وتنفيذ حكم القاضي[276]، ويتم حفظ أحكام قاضي المظالم في سجلات خاصة في ديوان المظالم[277].

وتجدر الإشارة إلى أن الخلفاء وجدوا في قضاء المظالم وسيلة في الحد من تجاوزات رجالات الدولة البويهية، ليظهروا أمام العامة حرصهم على نشر العدل وضمان الأمن لهم، ولعل هذا ما دفع البويهيين إلى التدخل في تعيين قضاة المظالم بإيكالهم إياه إلى نقباء الطالبيين متجاوزين الخلفاء في تعيينهم، في خطوة تظهر حرصهم على نشر معاني العدل حتى على رجالات دولتهم، وهو ما جعل منصب نقيب الطالبيين، مع ما ألحق به من قضاء المظالم والحج، مجالاً للتجاذب بين دار الخلافة ودار المملكة، حتى استطاع الخلفاء حيازة الحق في تعيين شاغله. وداوم الخليفة القادر على الجلوس يومي "الاثنين والخميس للمظالم"[278]، لتأكيد المرجعية السنية لأحكامها، إذ كانت المظالم توكل عادة لنقيب الطالبيين الشيعي.

- **نقابة الأشراف**

تبلورت نقابة الأشراف في عهد الخليفة المقتدر، الذي عين نقيباً للإشراف على العباسيين والطالبيين، ولم يلبث هذا المنصب أن انقسم إلى قسمين: نقابة العباسيين، ونقابة الطالبيين، لحماية أنساب الأسرتين من الدخلاء ومدعي النسب[279]. واستمرت النقابتان في حقبة الهيمنة البويهية، وبدأت معالمهما بالتحدد، وواجبات النقيب فيهما تتضح، وسلطته تزداد اتساعاً، وظهرت في الحقبة مدار البحث النقابات التالية:

1. **نقابة الطالبيين**

ضمت نقابة الطالبيين جميع أحفاد أبي طالب بن عبدالمطلب، عم الرسول ﷺ، ومنه أُخذ اسمها[280]، ونظراً لانتشار الطالبيين في معظم الأقاليم والمدن التابعة للخلافة العباسيّة، كان يوجد بكل منها نقيب لهم، فإضافة إلى بغداد، ظهرت نقابة للطالبيين خلال الحقبة مدار البحث في: مصر العباسية[281]، والكوفة[282]، والبصرة[283]، وواسط والبطائح[284]، والموصل[285]، والأهواز[286]، وخراسان[287]، والري وطبرستان[288]. لذا كان الخليفة يولي نقيباً علوياً لـ "نقابة نقباء الطالبيين بمدينة السلام [بغداد] وسائر الأعمال والأمصار، شرقاً وغرباً، وبعداً

وقرباً"[289]، ليتلقب تبعاً لذلك "نقيب نقباء الطالبيين"[290]، فيمارس سلطته على كافة نقباء المدن والأقاليم، ويقوم بتوليتهم وعزلهم ومراقبتهم[291]، في تأدية مهامهم الموكلة إليهم. وكانت تولية نقيب الطالبيين تصدر عن الخليفة، ويخلع عليه الخلع السوداء، ويكتب له عهد يحدد مهام منصبه[292]، ثم يقرأ عهد النقيب على "سائر منابر بغداد"[293]، إشهاراً لتوليته النقابة.

اشترط في نقيب الطالبيين أن يكون أحد أفراد الأسرة الطالبية، وأن يتفرد "بالحظ الجزيل من الفضل والأدب الجَزْل"، ويفوق أترابه "علماً وديانة، وورعاً وصيانة، وعفة وأمانة، وشهامة وصرامة"[294]، نظراً لجسامة المهام الموكلة إليه، والتي حددها الخلفاء في عهودهم للنقباء، وأهمها:

"حياطة هذا النسب الأطهر والشرف الأفخر، عن أن يدعيه الأدعياء ويدخل فيه الدخلاء"، ومراعاة الكفاءة في زواج الطالبيات، و"أن يزوج الأيامى، ويربي الأيتام، ويلزمهم المكاتب" لتلقي العلم والأدب. ومراقبة الطالبيين مراقبة حثيثة عن طريق "عيون من خيارهم ينهون إليك ما انطوى من أخبارهم"، فإن لمس من أحدهم تصرفاً مشيناً، نبهه بالموعظة الحسنة، فإن أناب وإلا طبق عليه حدود الله، وإن حدث نزاع بين أحد الطالبيين وغيرهم نصر المحق منهما دون النظر لنسبه. وأوكلت إلى نقيب الطالبيين تعيين نقباء "في الأمصار الدانية والنائية، والبلاد القريبة والبعيدة، ممن يثق به من صلحاء الرجال، وأن يعهد إليهم مثل الذي عهد إليه"، مع إخضاعهم لمراقبة مستمرة، فيجزي الملتزم بشروط عمله، ويعاقب ويعزل المقصر فيه، وأن يراعي أحوال الطالبيين المالية، فيقدم لهم المعونات، ويقسم بينهم حصصهم المالية[295]، من الأوقاف التي أوقفت عليهم[296]، أو الصلات التي يصلهم بها رجالات الدولة[297].

كان المقر الرسمي الدائم لنقيب الطالبيين في مدينة بغداد [298]، سمي دار النقابة[299]، ضمت كُتَّاباً وحجاباً، لهم الأرزاق الثابتة، لتنظيم المهام الموكلة للنقيب[300]، الذي يتخذ نائباً له لمساعدته في أعماله[301]، ثم أصبح الخليفة هو الذي يعيين نائب نقيب الطالبيين منذ عهد الطائع[302]. وضُم إلى نقيب الطالبيين في الحقبة مدار البحث النظر في المظالم، وإمارة الحج[303]، ونظراً لمهامه العديدة كان نقيب الطالبيين يتخذ نائباً له لتسيير أمور الحج[304]، وللنظر في المظالم[305].

ويلاحظ أن منصب نقيب الطالبيين والمظالم والحج كان، في معظم الحقبة مدار البحث، يناط بأسرة الحسين بن موسى العلوي، الذي تولاها منذ سنة 354هـ/965م[306] خمس مرات على فترات متقطعة حتى وفاته سنة 400هـ/1009م[307]، ثم خلفه ابنه الرضى 400-406هـ/1009-

1015م، ثم أخوه المرتضى 406-436هـ/1015-1045م، ثم خلفه عدنان بن الرضى 436-449هـ/1045م-1057م[308].

كما يلاحظ أن الحكام البويهيين كانوا حريصين على تعيين نقيب الطالبيين، وتجاوز الخليفة في هذا المجال، وهو ما قام به معز الدولة[309]، وعز الدولة[310]، وعضد الدولة[311]، وشرف الدولة(372-379هـ/982-989م)[312]، وبهاء الدولة[313]، ورغم ذلك كان عهد التقليد يصدر عن دار الخلافة[314]، حتى عمد بهاء الدولة بن عضد الدولة إلى إصدار التقليد من دار المملكة، في خطوة تتجاوز الخليفة تماماً في تقليد نقيب الطالبيين[315]. غير أن الخليفة القادر استطاع حمل سلطان الدولة ابن بهاء الدولة (403-415هـ/1012-1024م) على أخذ موافقته على المرشح لتولي نقابة الطالبيين[316]، وإصدار كتاب تقليده من دار الخلافة[317]، ويبدو أن الخليفة القائم استعاد السلطة بتعيين نقيب الطالبيين، إذ لا تردنا أخبار عن أي تدخل بويهي في تعيين عدنان بن الرضى نقيباً للطالبيين سنة 436هـ/1045م[318].

ولعل مرد التدخل البويهي في تعيين نقيب الطالبيين، أن نقابته كانت من "أجل الأعمال وأقصاها علواً في المنزلة"[319]، وتحظى باحترام كبير في أوساط الشيعة[320]، وهو ما دفع البويهيين للاعتماد على نقيب الطالبيين في مهمات الأمور، خاصة السفارة لحكام الدولة الإسلامية لنقل وجهة النظر البويهية[321]، وقام بهذه السياسة: معز الدولة[322]، وعز الدولة أثناء صراعه مع الحمدانيين[323]، وعضد الدولة أثناء نزاعه مع السامانيين[324]، وبهاء الدولة أثناء صراعه مع أخيه صمصام الدولة[325]. كما تولى نقيب الطالبيين ولاية إناث البيت البويهي عند عقد قرانهن[326]، وتجهيز أموات الأسرة البويهية ودفنهم[327].

2. نقابة العباسيين

ضمت نقابة العباسيين جميع سلالة العباس بن عبدالمطلب، ونظراً لانتشار العباسيين في مدن العراق وأقاليمه، كان لكل مدينة أو إقليم نقيب للعباسيين بها، ذكرت المصادر في الحقبة مدار البحث منها إضافة لمدينة بغداد: مدينة سامراء[328]، ومدينة الكوفة، وحوض الفرات[329]، ومدينتي البصرة وواسط[330]. لذا كان نقيب العباسيين يلقب بـ "نقيب النقباء" العباسيين[331]، وفي أحيان أخرى "نقيب الهاشميين"[332]. غير أن التسمية الأكثر شيوعاً كانت "نقابة العباسيين"، ونقيب العباسيين[333].

كان الخليفة يختار أحد أفراد الأسرة العباسيّة ويوليه "نقابة أهله من العباسيين"[334]، فيخلع عليه "السواد والطيلسان"[335]، ويصدر له عهداً يتضمن المهام والواجبات الموكلة إليه، ويقرأ بحضرة "الفقهاء والشهود والأشراف والأكابر"[336]، إشهاراً لتوليه النقابة. وكانت المهام والواجبات التي أوكلها الخليفة إلى نقيب العباسيين تحدد في كتاب عهده، وأهمها[337]: حماية أنساب الأسرة العباسية، وضمان عدم ادعاء النسب العباسي من قبل الآخرين[338]، ومراقبة زواج العباسيين وخاصة النساء العباسيات لضمان الكفاءة في الزوج، "خوفاً من أن يمتزج بهذا النسب الطاهر غير أهله، ...، ليتنزه هذا النسب الرفيع العماد من دنس يقدح" فيه. وكلف النقيب بمراقبة أفعال أفراد الأسرة العباسيّة وتصرفاتهم، فإن تجاوز أحدهم حدود اللياقة نبهه ووعظه، وإلا طبق عليه العقوبات الشرعية، مع التأكيد عليه بالتزام اللياقة وحسن الخلق في تعامله معهم[339]. وكان النقيب ينظر في الخلافات التي تحدث بين الأزواج العباسيين[340]، وكلف نقيب العباسيين بتعيين النقباء "على هذه الأسرة بالأعمال جميعها، والبلاد قريبها وبعيدها"، مع إخضاعهم للمراقبة الفعالة لضمان تأدية مهامهم المشابهة لمهام نقيب النقباء[341].

كان المقر الرسمي لنقيب العباسيين دار نقابة الأشراف العباسيين في مدينة بغداد، والتي ضمت كُتّاباً وحجاباً لتنظيم العمل فيها[342]، واتخذ النقيب نائباً له يساعده في تأدية مهامه الموكلة إليه[343]، ثم أصبح الخليفة هو الذي يعين نائب نقيب العباسيين منذ مطلع القرن 5هـ/11م[344]. وضم لنقيب العباسيين، في الحقبة مدار البحث، النظر في المساجد الجامعة في بغداد والأقاليم التابعة للخلافة العباسيّة[345]، حيث يشرف على تعيين الخطباء والأئمة فيها، ويراقب تدريس المذاهب الفقهية السنية، خاصة أن نقيب العباسيين أصبح مدافعاً عن المذهب السني ورموزه[346].

اختص الخليفة بتعيين نقيب العباسيين، في الحقبة مدار البحث، ولم يسجّل أي تجاوز من قبل البويهيين على تعيينه، بعكس نقيب الطالبيين، لذا كان النقيب العباسي ممثلاً للخليفة[347]، ويتولى أخذ البيعة للخليفة الجديد.[348] ومما يلاحظ أن نقابة العباسيين أوكلت إلى أسرة واحدة، فكانت تتأرجح بين أسرة النقيب أحمد بن الفضل العباسي (ت 350هـ/961م) وأبي تمام الحسن بن محمد الزينبي العباسي حتى سنة 364هـ/974م، عندما عهد بها نهائياً إلى أبي تمام الزينبي[349]، حتى وفاته سنة372هـ/982م، ليخلفه ابنه علي[350]، حتى وفاته سنة 384هـ/994م ليخلفه ابنه محمد[351]، حتى وفاته سنة 445هـ/1053م ليخلفه ابنه أبو علي عمر (قتل 450هـ/1058م)[352]. وهو ما يشابه انحصار نقابة الطالبيين في أسرة الحسين بن موسى العلوي

طيلة الحقبة مدار البحث، وهي سياسة عباسيّة عَبَّر عنها الخليفة الطائع بقوله: "وأمير المؤمنين يذهب على آثار الأئمة المهديين، والولاة المجتهدين في إقرار ودائعهم عند المترشحين لحفظها، والمضطلعين بحملها من أولاد أوليائهم وذرية نصائحهم، إذ لابد للأسلاف أن تمضي، وللأخلاف أن تنمو"[(353)].

3. نقابة الأنصار

تُظهر بعض المصادر في الحقبة مدار البحث وجود نقابة للأنصار ببغداد، تولاها محمد بن إبراهيم الأنصاري (ت 366هـ/976م)[(354)]، ويستشف من المصادر استمراريتها في الحقبة ذاتها وما تلاها، إذ تولاها أيضاً عبدالسلام بن أحمد الأنصاري (ت 467هـ/1075م)[(355)]، ورغم أننا لا نملك أي إشارة لمهام "نقيب الأنصار ببغداد"، كما أسمته المصادر، إلاّ أننا نستطيع القول إن مهامه شابهت مهام نقيب العباسيين ونقيب الطالبيين فيما يتعلق بالإشراف على الأنصار ببغداد وأنسابهم، إذ وصف ابن كثير نقيب الأنصار ببغداد محمد بن إسحاق بأنه "ثقة يعرف أيام الأنصار ومناقبهم وأمورهم"[(356)]، وهو ما يوحي بشروط نقيب الأنصار ومهامه، علماً بأن أنساب الأنصار كانت محفوظة ومدونة، وتنتشر مصنفاتها في مدينة بغداد في الحقبة المدروسة[(357)].

وكان الأنصار قد استوطنوا مدينة بغداد منذ عهد المهدي العباسي (158-169هـ/775-785م)، عندما استقدم 500 رجل منهم "ليكونوا معه حرساً بالعراق وأنصاراً، ....، وأقطعهم عند قدومهم معه ببغداد قطيعة تعرف بهم"[(358)]، عرفت في الحقبة مدار البحث باسم "ربض الأنصار"[(359)]، ولهم بها مسجد سمي "مسجد الأنصار الكبير" احتكروا إمامته[(360)].

- إمارة الحج

اختصت إمارة الحج بتسيير الحجيج سنوياً إلى مكة والمشاعر المقدسة، وإمامة الناس فيها وقيادتهم في تأدية المناسك، وأوكلت في الحقبة السابقة للهيمنة البويهية إلى أفراد من الأسرة العباسيّة، تدليلاً على إيلاء الخلافة تأدية الحج أهمية كبرى[(361)].

اختص نقيب العباسيين بهذا المنصب في بداية الهيمنة البويهية حتى سنة 341هـ/952م[(362)]، ليوكل البويهيون إمارة الحج إلى أحد أفراد الأسرة العلوية منذ موسم 343هـ/954م، بينما احتفظ العباسيون بإمامة الصلاة في الحرم والمشاعر المقدسة حتى بداية الحكم الفاطمي للحجاز[(363)]، ثم أوكلت إمارة الحج لنقيب الطالبيين اعتباراً من موسم سنة 354هـ/965م[(364)]. ليتولاها بصورة دائمة خلال الحقبة مدار البحث[(365)]. ولما حاول السلاجقة

بعيد هيمنهتم على العراق تولية أحد العباسيين إمارة الحج اعترض نقيب الطالبيين أمام الخليفة القائم محتجاً أن: "أمر الحج مردود إليَّ، ومتى تولاه غيري كان عزلاً لي، وأمراء مكة علويون، ومتى خرج [العباسي، مرشح السلاجقة لتولي إمارة الحج]، ...، لم يمكنوه من رعاية الحج"، مما دفع الخليفة إلى دعمه للبقاء في منصبه لإمارة الحج[366]. وهو ما قد يفسر لنا تولية الخلفاء والبويهيين لنقيب الطالبيين في هذا المنصب.

تضمنت عهود الخلفاء بإمارة الحج مهام متوليها، والتي تتلخص بتسيير قوافل الحج من العراق إلى مكة، ومراعاة أمن الحجاج وسلامتهم، وقضائهم لمناسكهم على الوجه الصحيح، ومراقبة قوافل الحج ضماناً لعدم تيه حاج منهم[367]، لذا كانت الطبول تضرب في قافلة الحج إيذاناً بالانطلاق لاجتماع الحجاج للبدء بالمسير مع أمير الحج[368].

- **الحسبة**

عمد البويهيون إلى تعيين المحتسبين مطلع هيمنتهم على العراق[369]، غير أن المصادر تذكر بُعيد ذلك تعيين قضاة محتسبين في مدينة بغداد على وجه الخصوص منذ نهاية عهد المطيع[370]، وهو ما يشعر بنجاح الخلفاء في استخلاص الحسبة من أيدي البويهيين، بإيكالها إلى القضاة التابعين للخلافة. وهو ما يظهر بوضوح في عهد القادر الذي عين سنة 412هـ/1021م القاضي محمد بن أحمد السمناني محتسباً في بغداد، وكتب له عهداً وخلع عليه السواد[371]، إشهاراً بتوليته من قبل الخليفة.

ثم أُوكل تعيين المحتسب إلى قاضي القضاة في عهد الخليفة القائم، فقام قاضي قضاته بتعيين محتسب "بجانبي بغداد"[372]، وأصبح ذلك من مهام قاضي القضاة في الحقبة السلجوقية، ويذكر ذلك في عهده. وكانت مهام المحتسب مراقبة الأسواق والأخلاق العامة، وعمليات البيع والشراء، ومنع التلاعب بالموازين والمكاييل، مع إعطائه السلطة لتعزيز المخالفين[373]. وهو ما يظهر حرص الخلافة على ضمان عمل الأسواق على الوجه الأمثل أمام العامة، مقارنة بسياسات الدولة البويهية.

- **مؤسسات أهل الذمة**
- **الجاثليق**

عين الخليفة لرئاسة النصارى النساطرة في دار الإسلام جاثليقاً، مقره الرسمي مدينة بغداد[374]، ويجري اختيار الجاثليق من قبل مطارنة النساطرة "أصحاب الاختيار" الذين يجتمعون وينتخبون الجاثليق الجديد[375]، فيسام في مدينة المدائن[376]، ثم يتوجه إلى الخليفة

"ليسلم عليه على جاري عادة الآباء"[377]، فيعترف الخليفة بجثلقته، "وإجرائه على رسومه وبسط يده على جميع النصارى؛ بأوكد ما يكون"، و"يكتب له المنشور"، أو "العهد من دار الخلافة على الرسم"، كما فعل الخليفة الطائع سنة 376هـ/986م مع الجاثليق ماري[378]، والخليفة القادر مع كل من الجاثليق يوانيس سنة 390هـ/1000م، والجاثليق يوحنا سنة 403هـ/1012م[379]. ويشمل عهد الخليفة للجاثليق واجباته ومهامه[380].

كان الجاثليق حلقة الوصل بين الخلافة وبين النصارى النساطرة، حيث يتلقى تعليمات الخليفة وينقلها لأتباعه[381]، وكلف بجمع الجزية من النصارى وأدائها عن الضعفاء منهم[382]. وكان الجاثليق مسؤولاً عن طائفته الدينية وشؤونها، من اختيار المطارنة والأساقفة في الجناح الشرقي للخلافة العباسيّة، وتعيينهم وترفيعهم وتنظيم تنقلاتهم بين المدن والأقاليم[383]. وكان مسؤولاً عن إقامة الصلوات في الكنائس، والإشراف على أوقاف النصارى وتثميرها، وأوكل إليه مهمة فض الخصومات بين أتباعه[384]، وكانت الخلافة تتكفل بحماية النصارى وأمنهم في المدن والأقاليم[385]، ولأجل ذلك اختص الخلفاء بجمع الجزية من أهل الذمة في الحقبة مدار البحث[386].

- **رأس الجالوت**

كان رأس الجالوت صاحب "الرئاسة الدينية" لليهود في أقاليم الخلافة العباسيّة[387]، ومقره الرسمي مدينة بغداد، يعينه الخليفة ويصدر له كتاب عهد يتضمن "الرئاسة على أبناء ملته كافة"، والمهام الموكلة إليه[388] التي شابهت مهام رأس الجاثليق فيما يتعلق برعاية أفراد طائفته الدينية وإدارة شؤونها، ويعتبر حلقة الوصل بينهم وبين الخليفة، إذ يقوم بنقل تعليماته إليهم ويحرص على مراقبة تطبيقها[389]. غير أن الحقبة شهدت إلغاء رئاسة الجالوت في عهد الخليفة القائم منذ سنة 430هـ/1038م، لتستمر ملغاة حتى عهد الخليفة المقتفي لأمر الله (530-555هـ/1136-1160م)[390].

ومن الجدير بالذكر ان الخليفتان القادر وابنه القائم عملا على استغلال سلطتهما الدينية في استرجاع سلطة الخلفاء الدنيوية المسلوبة/ المُلك، وقطعا شوطاً لا بأس به في هذا المضمار[391]، إلا أن السلاجقة الأتراك اسقطوا الدولة البويهيّة سنة 447هـ/1055م، وانتقلت الهيمنة على الخلافة من بويهية ديلمية إلى سلجوقية تركية، ليبدأ الخلفاء العباسيون، من جديد، مسيرة العمل على استعادة السلطة الدنيوية التي انتقلت من "الملك البويهي" الى "السلطان السلجوقي"[392].

The Abbasid Caliphate Authority During the Buwayhid Dominance period (334 – 447 A.H / 946 – 1055 A.D)

Modar Adnan Telfah, *Faculty of Arts, AL-Isra University, Amman, Jordan.*

Abstract

The historical march of the Abbasid caliphate has ended to an official separation of the authority in the Buwayhid dominance period into purely religious authority singled out by the Abbasid Caliphs based in Dar Al Celiphate and worldly authority expressed by Muslims as (reign or Dominance) exercised by the Buwayhid kings by the absolute authorization that was given to them by the Abbasid caliphs.

The religious authority characterized by the caliphs in this period was controlled by (Dar-Al-Khilapha) the Caliphate court which included a number of staff supervising on the Caliphs jurisdictions in Islamic and religious aspects. The most important aspects are prayer pilgrimage the judiciary and the noblemen syndicate in addition to the non-Muslim institutions or (Ahl-Addimmah).

قدم البحث للنشر في 2007/8/9 وقبل في 2008/4/10

الحواشي:

(1) سورة الأنبياء، آية 22.

(2) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج1، ص68.

(3) مجهول، الإمامة والسياسة، ج2، ص120.

(4) البلاذري، أنساب، ج4، ص273.

(5) الطبري، تاريخ، ج8، ص154 وما بعدها؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص66-67.

(6) الطبري، تاريخ، ج8، ص287 وما بعدها؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص114 وما بعدها.

(7) الطبري، تاريخ، ج8، ص564 وما بعدها؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص119 وما بعدها.

(8) الطبري، تاريخ، ج9، ص104 وما بعدها؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص259 وما بعدها.

(9) وهو ما ورثه العباسيون ممن سبقهم من الخلفاء الراشدين والأمويين إذ قام الإسلام على فكرة اتحاد الدين والسياسة، الأمر الذي مكّن الخلفاء من الجمع بين السلطتين. انظر: ابن خلدون، المقدمة، ص289. حيث يذهب إلى أن الجمع بين السلطتين مما يميز الإسلام ودولته عن غيره من الأديان ودولها.

(10) ابن الطقطقا، الفخري، ص140-141.

(11) الصولي، أخبار الشعراء، ص81.

(12) ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص306.

(13) الطبري، تاريخ، ج9، ص364.

(14) الصولي، أخبار المقتدر، ص 40.

(15) ابن طيفور، بغداد، ص168-169؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج10، ص187؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص56؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص282.

(16) انظر هذه المرحلة عند: عبدالعزيز الدوري، النظم الإسلامية، ص 45 وما بعدها.

(17) انظر هذه المرحلة عند: عبدالعزيز الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد: مطبعة السريان، 1945.

(18) انظر مرحلة إمرة الأمراء عند: تقي الدين الدوري، عصر إمرة الأمراء في العراق، بغداد: مطبعة أسعد، ط1، 1395هـ/1975م.

(19) انظر مثلا: الصولي، أخبار الراضي، ص63-64، 141-143، 200؛ المسعودي، مروج الذهب، ج4،ص 326؛ الكندي، الولاة والقضاة، ص352،350،349؛ القضاعي، عيون المعارف، ص247-248،253؛الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج9، ص447؛الهمذاني، تكملة، ص352؛ الروحي، تاريخ الخلفاء، ص266،259؛ ابن عساكر، تاريخ، ج27، ص22؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج13،ص383،ج14، ص49؛السبكي، طبقات الشافعية، ج3، ص281. **مع ملاحظة محاولة بعض أمراء الأمراء الاعتداء على سلطة الخليفة الدينية،** انظر: مسكويه، تجارب الامم، ج5،ص458،ج6، ص 122.

(20) حدد امير الامراء نفقات الخليفة، وعين له راتباً. انظر: مجهول، العيون والحدائق، ج2/4، ص381؛ الصولي، اخبار الراضي، ص235؛ الكرديزي، زين الاخبار، ص135؛ الصابئ، رسوم دار الخلافة، ص 30.

(21) مجهول، العيون والحدائق، ج1/4، ص290-291. وانظر أيضا: مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص443 وما بعدها؛ الهمذاني، تكملة، ص303-304؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص254؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص82؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص578.

(22) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص41-42.

(23) المسعودي، مروج الذهب، ج 4، ص 326.

(24) مجهول، العيون والحدائق، ج2/4، ص421؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص249، ج6، ص 13، 19؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 257، 269، 283، 312؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص582، 584، 608.

(25) عبدالعزيز الدوري، النظم الاسلامية، ص53.

(26) الخطيب، تاريخ بغداد، ج2، 141. وعنه: ابن الجوزي، المنتظم، ج 13، ص 337.

(27) مسكوية، تجارب الأمم، ج6، ص115؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص314.

(28) حل البويهيون جيش أمير الأمراء وشردوه، متعاونين في ذلك مع حمدانية الموصل. ابن الأثير، الكامل، ج6، ص316-317، 323.

(29) الكامل، ج6، ص315-316.

(30) الصابئ، المنتزع، ص65؛ النويري، نهاية الأرب، ج25، ص97 وما بعدها. وكان المسلمون يلحظون الفصل بين السلطتين الدنيوية والدينية في بعض دول الجوار، فالمسعودي (ت 346هـ/957م) يحدثنا عن نظام الإمبراطورية البيزنطية بالقول: "البطريرك هو ملك الدين القيم به، كما أن الملك [الإمبراطور البيزنطي] صاحب السيف، ...، فما كان من نفقات الحرب وجباية الخراج وإعطاء الجند فهو إلى الملك، وما كان من أموال الأحباس والوقوف لنفقات الكنائس والأديرة والأساقفة والرهبان وما أشبه ذلك من أمور دينهم فهو إلى البطريرك". التنبيه والإشراف، ص147.

(31) التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص417؛ الهمذاني، تكملة، ص399.

(32) الصابئ، تاريخ الوزراء، ص243. وأيضاً: التنوخي، نشوار المحاضرة، ج1، ص87.

(33) ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص567. وانظر أيضاً: ابن العبري، تاريخ الزمان، ص70، 84.

(34) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص315؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص288؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص609.

(35) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص345؛ القضاعي، عيون المعارف، ص252؛ الروحي، تاريخ الخلفاء، 265.

(36) السبط، مرآة الزمان (345-447هـ)، ص190. وانظر قوائم وزراء الأمراء البويهيين أصحاب السلطة في العراق عند: النويري، نهاية الأرب، ج26، ص193، 210، 225، 232، 234، 243، 249، 259، 265؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص219 وما بعدها.

(37) مسكويه، تجارب الأمم، ج6، ص157؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج3، ص981. وشاركت الدول الإسلامية الأخرى الدولة البويهية في استحداث منصب الوزير. انظر، مثلاً، قوائم وزراء الدولة السامانية والدولة الغزنوية عند: خواندمير، دستور الوزراء، ص212 وما بعدها، 234 وما بعدها.

(38) رغم أن السلطة الحقيقية انتقلت منذ حقبة أمير الأمراء من وزير الخليفة إلى كاتب أمير الأمراء، إلاّ أن الخليفة احتفظ بحقه بتعيين وزير له، في خطوة تؤكد، ولو نظرياً، حقه بإدارة الدولة والإشراف عليها. أنظر: الأنطاكي، تاريخ، ص22.

(39) أبو شجاع، ذيل التجارب، ص54، 55، 61، 77، 184؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص145؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص84؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص288.

(40) أبو شجاع، ذيل التجارب، ص145، 297. وخصص البويهيون للخليفة راتباً، ثم استعاضوا عنه بإقطاعات تدر عليه دخلاً سنوياً. الدوري، دراسات (البويهيون)، ص250.

(41) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج2، ص108. وانظر أيضاً: الصاحب، رسائل، ص39-41.

(42) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج3، ص160؛ أبو شجاع، ذيل التجارب، ص364.

(43) أبو شجاع، ذيل التجارب، ص17، 53، 56-57، 61، 83، 85، 364.

(44) المصدر السابق، ص145؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص288.

(45) الدوري، دراسات (البويهيون)، ص253.

(46) المرجع السابق، ص250.

(47) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص145.

(48) البيروني، الآثار الباقية، ص132.

(49) مسكويه، تجارب الأمم، ج6، ص349-350. وانظر أيضا: الهمذاني، تكملة، ص428؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص45.

(50) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص224؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص189؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج4، ص110. وانظر أيضاً: الثعالبي، يتيمة الدهر، ج2، ص296.

(51) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص51؛ ابن العميد، تاريخ المسلمين، ص237.

(52) انظر: الصابئ، رسائل، ص92، 99، 96، 98، 99. وأيضاً ص: 83، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 90.

(53) المصدر السابق، ص24، 30، 36، 37، 38، 39، 40.

(54) عمد عضد الدولة إلى بعث النظام الملكي بصورته الساسانية الفارسية، عندما لقب نفسه، للمرة الأولى في الممارسة السياسية الإسلامية، "شاهنشاه" أي ملك الملوك. ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص291؛ ابن العميد، تاريخ المسلمين، ص237؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص193؛ ابن الفوطي، معجم الألقاب، ج1/4، ص447؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص54؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج4، ص146.

(55) كان اتباع أمير الأمراء محمد بن رائق يدعونه بالملك، مسكويه، تجارب الأمم، ج5، ص469. غير أنه لم يكن لقباً رسمياً.

(56) فوّض الخليفة "أمير الأمراء" البويهي بالسلطة قبل ذلك، ولكنه حصره بالأقاليم التابعة فعلياً للخلافة العباسية بوصفه أمير أمرائها، فيما احتفظ الخليفة لنفسه بالسلطة على بقية الأقاليم التابعة اسمياً للخلافة. وقد كان تفويض الخليفة لأمير الأمراء تشريعاً لسلطته، وهو ما عبر عنه عز الدولة بن معز الدولة في رسالة للخليفة الطائع، يقول فيها: "إن أكثر بلاد الإسلام في أيدينا وأيدي أهل طاعتنا بالتفويض من الخلفاء الراشدين إلينا، والعقود التي أمرُها لنا". الصابئ، رسائل، ص349. وانظر تفويض أمير الأمراء البويهي بالسلطة عند: مجهول، العيون والحدائق، ج1/4، ص431-432؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج6، ص115؛ الأنطاكي، تاريخ، ص53؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص42-43؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص287؛ النويري، نهاية الأرب، ج26، ص184. مع ملاحظة الإسقاطات التاريخية من الفترات اللاحقة.

(57) الصابئ، رسوم دار الخلافة، ص83؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص254؛ النويري، نهاية الأرب، ج26، ص215 (عن أبي اسحق الصابئ). ويبدو أن عضد الدولة واجه بعض الصعوبات بإقرار سلطته الموسعة هذه، وهو ما حمله على الطلب من الطائع سنة 369هـ/979م "أن يجدد عليه الخلع" والتفويض أمام قادة جيشه، فأجابه الخليفة لطلبه هذا. أنظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص269؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص49؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص326-327.

(58) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص326. وانظر أيضاً: الصابئ، رسوم دار الخلافة، ص95؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص253؛ النويري، نهاية الأرب، ج26، ص216. وانظر النص الصادر عن الخليفة بتفويض عضد الدولة بالسلطة الموسعة عند: الصابئ، رسائل، ص279 وما بعدها.

(59) أنظر مثلاً: أبو شجاع، ذيل التجارب، ص24، 345-346، 365. وكانت رسائل حكام الأطراف تصل للملك البويهي الذي يتولى عرضها على الخليفة. الصابئ، رسائل، ص259.

(60) رد السامانيون بإعلان أنفسهم ملوكاً لخراسان. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص240. وسار على نهجهم أمراء الدول الإسلامية الأخرى. انظر مثلاً: الثعالبي، آداب الملوك، ص29، 49، 245. وهم بذلك يضعون أنفسهم بمنزلة مساوية مع "الملك البويهي"، ويرفضون الاعتراف بتبعيتهم له. واستمرهذا النهج مع الغزنويين بصورة اكثر حدة، عندما أعلن محمود الغزنوي نفسه "سلطاناً" ليكون: "أول من لقب بالسلطان، ولم يلقب به أحد قبله". ابن الأثير، الكامل، ج7، ص184؛ نظام الملك، سياست نامة، ص85.

(61) انظر الكتاب الصادر عن الخليفة الطائع سنة 364هـ/974م والذي يصف به عز الدولة البويهي بهذه الصفة عند: القلقشندي، مآثر الإنافة، ج3، ص174.

(62) أنظر كتاب تفويض الخليفة الطائع لعضد الدولة عند: الصابئ، رسائل، ص285. وقال ابن العبري: "إن الأمراء المشاركين للخليفة في الحكم كانوا يلقبون بالملوك". تاريخ الزمان، ص69.

(63) الصابئ، رسوم دار الخلافة، ص94-95؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص253، ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص43، النويري، نهاية الأرب، ج26، ص215؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص326. وكان الخليفة يعقد لأمير الأمراء لواءً واحداً فقط، وهو اللواء الأبيض / المفضض. واستمر تقليد الأمراء البويهيين خارج العراق بصفتهم أمراء، فلم يمنحوا إلا لواءً واحداً فقط. انظر: ابن الفوطي، معجم الألقاب، ج4/4، ص790. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص237. وهو ما يجعلهم أقل مكانة وسلطة من "الملك البويهي" ذي اللوائين.

(64) ثم شارك المتأخرون من "الملوك" البويهيين الخليفة بامتياز ضرب الدبادب خمس مرات يومياً. انظر: ابن الأثير، الكامل، ج7، 299، 329؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص141؛ النويري، نهاية الأرب، ج26، ص252؛ الذهبي، سير، ج10، ص487، ج11، ص153؛ الدوري، دراسات (البويهيون)، ص254.

(65) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص260. وانظر أيضاً: مسكويه، تجارب الأمم، ج6، ص445-446؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص90-91؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص193؛ ابن الفوطي، معجم الألقاب، ج1/4، ص447، ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص54؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص136، 146؛ النويري، نهاية الأرب، ج26، ص216. وكانت الخطبة في مساجد بغداد خلال حقبة "أمير الأمراء البويهي"، وما قبله، حكراً على الخليفة. وحاول معز الدولة مشاركة الخليفة فيها إلا أنه رفض ذلك. ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص260. واستمر الخليفة يحتكر حق الخطبة في مساجد بغداد، ورد في عهد الطائع لعلي بن أحمد الهاشمي عند تقليده "الصلاة بحاضرة بغداد" سنة 364هـ/974: **"وأمره أن يقيم الدعوة على منابر حضرة أمير المؤمنين له خاصة، وان يقيمها على منابر باقي الأعمال النازحة عن مقره له لم لحامل الأعباء عنه".** القلقشندي، مآثر الإنافة، ج3، ص174.

(66) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج9، ص387. وانظر أيضاً: مسكويه، تجارب الأمم، ج6، ص445؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص252، 260، 275؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص46، 51، 133، 141؛ النويري، نهاية الأرب، ج26، ص215..

(67). انظر مثلاً: ابن الجوزي، المنتظم ج14، ص318، 183؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص314، 329؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج10، ص487. بل وأصبح لزاماً على الخلفاء تعزية الملوك البويهيين بوفاة أحد أفراد أسرتهم، انظر: أبو شجاع، ذيل التجارب، ص114، 149، 182؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص300، 310، 322، 338؛ ابن الأثير الكامل، ج7، ص113، 117، 128، 138؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص56، 59، 62؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج4، ص154، 158؛ خواندمير، روضة الصفا، ص192. واعتبر ذلك حقاً واجباً على الخلفاء، حتى أن بهاء الدولة بن عضد الدولة غضب على الخليفة الطائع لعدم حضوره لتعزيته بابنه، و"بقي في نفسه من ذلك أثر"

حتى خلعه عن الخلافة سنة 381هـ/991م. انظر: الفارقي، تاريخ، ص14. في حين اكتفى "الملك البويهي" بإرسال من ينوب عنه لتعزية الخلفاء. ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص61.

(68) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص253. وانظر أيضاً: الصابئ، رسوم دار الخلافة، ص80 وما بعدها، ابن الجوزي، ج14، ص269 وما بعدها.

(69) انظر مثلاً: أبو شجاع، ذيل التجارب، ص107، ص169؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص289، 300، 321، ج15، ص313-314؛ السبط، مرآة الزمان (345-447هـ)، ص402؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج9، ص388، 392، ج10، ص487؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص63، 113، 180؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج4، ص158، ج5، ص48.

(70) أنظر: الصابئ، رسائل، 285.

(71) الأنطاكي، تاريخ، ص196. وهو ما أكده الصاحب بن عباد في إحدى رسائله لعضد الدولة، عندما كتب له: "وأما المكاتبة عن الديوان المعمور فقد تقدمت بزيادتك فيها والتبليغ بها إلى رتبة لا أعرف أحداً يكاتب بمثلها، ولا كوتب، ...، إلاّ بما هو دونها"، الرسائل، ص106-107.

(72) أنظر مثلاً: الصابئ، رسائل، ص100، 101، 107، 108، 110، 112، 113، 114، 116؛ المنتزع، ص32، 36، الصاحب، الرسائل، ص130، 131، 158، 163، 167، 171، ...الخ.

(73) انظر مثلاً: مسكويه، تجارب الأمم، ج1، ص47، 48؛ الثعالبي، يتيمة الدهر، ج1، ص310، ج2، ص492؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص254، 269، 276؛ القزويني، التدوين، ج3، ص119؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص138؛ النويري، نهاية الأرب، ج26، ص265.

(74) أنظر مثلاً: **صمصام الدولة** عند: ابن حمدون، التذكرة، ج6، ص351، 354؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص141. **شرف الدولة** عند: ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص23؛ خواندمير، روضة الصفا، ص202. **بهاء الدولة** عند: الثعالبي، تتمة اليتيمة، ص149؛الصابئ، تاريخ ص26؛ العتبي، اليميني، ص314. **مشرف الدولة** عند: ابن الأثير، الكامل، ج7، ص306؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص255.

(75) أنظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص264 وما بعدها؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص16؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج5، ص271 وما بعدها؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص164-165؛ النويري، نهاية الأرب، ج26، ص257-258.

(76) أنظر: القاضي الرشيد، الذخائر والتحف، ص78؛ الشيرازي، مذكرات، ص87، ص104؛ ابن الفوطي، معجم الألقاب، ج2/4، ص1221؛ خواندمير، روضة الصفا، ص206.

(77) أنظر مثلاً: نظام الملك، سياست نامة، ص192؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص39.

(78) أنظر: غرس النعمة، عيون التواريخ، ص195؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص442.

(79) عن موقع وبناء دار الخلافة انظر: الصابئ، رسوم دار الخلافة، ص7؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج1، ص115 وما بعدها؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص3 وما بعدها.

(80) عن موقع وبناء دار المملكة انظر: الخطيب البغدادي، ج1، ص120؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص238 وما بعدها.

(81) الصابئ، رسوم دار الخلافة، ص83؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص253؛ النويري، نهاية الأرب، ج26، ص215.

(82) الصابئ، رسوم دار الخلافة، ص125.

(83) الأزدي، الدول المنقطعة، ج2، ص413.

(84) انظر: الكندي، الولاة والقضاة، ص352؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج12، ص77؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص284؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج9، ص605، ج10، ص126،115.

(85) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص284، القلقشندي، صبح الأعشى، ج10، ص286.

(86) الصابئ، رسائل، ص207؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ص13، ص157، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج5، ص2280.

(87) ستستمر هذه النظرة خلال الحقب التالية، حتى أن المقرئ الدنيسري أبو المعالي بن أبي الجيش الحصري (ت ق 6هـ/12م) "امتنع من الإمامة بالجامع الغربي بدنيسر لكونها ولاية سلطانية" غيرصادرة عن الخليفة. ابن اللمش، تاريخ دنيسر، ص37.

(88) انظر مثلاً عهد الخليفة وتفويضه لفخر الدولة بن ركن الدولة (366-387هـ/976-997م) حاكم إقليم الجبال عند: الصابئ، رسائل، ص141 وما بعدها؛ الصاحب، رسائل، ص34-50؛ القلقشندي، مآثر الإنافة، ج3، ص12 وما بعدها.

(89)القلقشندي، مآثر الإنافة، ج3، ص24.

(90) قدامة، الخراج، ص41.

(91) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص374.

(92) القلقشندي، مآثر الإنافة، ج1، ص300.

(93) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج3، ص168.

(94) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص339؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص63.

(95) أبو شجاع، ذيل التجارب، ص176-177.

(96) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص213.

(97) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج11، ص23.

(98) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص302؛ ابن الفوطي، معجم الألقاب، ج2/4، ص940-941؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج11، ص23.

(99) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص293؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج4، ص1806؛ ابن الفوطي، معجم الألقاب، ج2/4، ص940.

(100) انظر كُتّاب الخلفاء خلال الحقبة مدار البحث عند: القضاعي، عيون المعارف، ص255، 258؛ الروحي، تاريخ الخلفاء، ص268؛ 272؛ القاشي، رأس مال النديم، ص353-354، 356. وانظر أيضاً: مجهول، العيون والحدائق، ج2/4، ص445؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج6، ص225؛ أبو شجاع، ذيل التجارب، ص327؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص210، 213، 239؛ ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج20، ص164؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج4، ص1825؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص182، 352؛ ابن الفوطي، معجم الألقاب، ج2/4، ص940-941؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج11، ص23؛ القرشي، الجواهر المضية، ج2، ص491.

(101) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص437.

(102) القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص70.

(103) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج3، ص1023، ج4، ص1635.

(104) ابن الموصلايا، رسائل، ص39، 164 من دراسة المحقق.

(105) الصابئ، رسائل، ص259.

(106) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص93؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص174.

(107) الدوري، النظم الإسلامية، ص147.

(108) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج8، ص387؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص155، ج16، ص219.

(109) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص59، 118.

(110) المصدر السابق، ج15، ص93؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص174.

(111) غرس النعمة، الهفوات النادرة، ص377.

(112) الثعالبي، تتمة اليتيمة، ص100.

(113) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص390.

(114) ابن الموصلايا، رسائل، ص168 من دراسة المحقق.

(115) ابن العمراني، الانباء، ص196.

(116) مجهول، العيون والحدائق، ج2/4، ص446.

(117) الهمذاني، تكملة، ص429؛ ابن الفوطي، معجم الألقاب، ج2/4، ص886 (عن تاريخ الصابئ).

(118) الصابئ، رسوم دار الخلافة، ص81؛ تاريخ، ص69؛ الروحي، تاريخ الخلفاء، ص272.

(119) الصابئ، رسوم دار الخلافة، ص81.

(120) المصدر السابق، ص78-79.

(121) ابن الفوطي، معجم الألقاب، ج2/4، ص129-130.

(122) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص167، 213.

(123) مسكويه، تجارب الأمم، ج6، ص183، 192.

(124) مجهول، العيون والحدائق، ج2/4، ص474.

(125) الهمذاني، تكملة، ص429؛ ابن الفوطي، معجم الألقاب، ج2/4، ص886.

(126) الصابئ، رسوم دار الخلافة، ص81. وأيضاً: ص78.

(127) ابن الفوطي، معجم الألقاب، ج2/4، ص129.

(128) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج3، ص160؛ أبو شجاع، ذيل التجارب، ص364.

(129) انظر مثلاً: ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص75، 84، 109، 118، 155، 344، 356، 363، 369، ج15، ص33، 111، 120، 125، 204، 208، 213-215، 216، 277، 302، 308، 313، 340، 347.

(130) المصدر السابق، ج15، ص167.

(131) المصدر السابق، ج15، ص213.

(132) المصدر السابق، ج15، ص305.

(133) الصابئ، غرر البلاغة، ص151.

(134) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص325.

(135) غرس النعمة، عيون التواريخ، ص110.

(136) سيصبح اسمه في العصر السلجوقي: ديوان المخزن. ابن الموصلايا، رسائل، ص165 من دراسة المحقق.

(137) كانت الدولة البويهية تصرف راتباً يومياً للخليفة، ثم استعاضت عنه بإقطاعات تدر دخلاً سنوياً قدر بـ200 ألف دينار، ثم تناقص واردها إلى 50 ألف دينار بفعل تعديات البويهيين ورجالاتهم عليها، حتى أعادها عضد الدولة إلى الخليفة. عبدالعزيز الدوري، النظم الإسلامية، ص60-61. وانظر أيضاً: مسكويه، تجارب الأمم، ج6، ص390.

(138) ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص172-173.

(139) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص68.

(140) انظر مثلاً: ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص226؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص153.

(141) ابن العمراني، الأنباء، ص197. ويذكر أن نفقات الخليفة كانت سنة 451هـ/1059م أي في بداية العهد السلجوقي ما تقارب 720 ألف دينار سنوياً، وهو ما يقارب مبلغ نفقاته في نهاية العهد البويهي.

(142) عبدالعزيز الدوري، دراسات (البويهيون)، ص251.

(143) الثعلبي، اخلاق الملوك، 175.

(144) الزجاجي، اخبار ابي القاسم الزجاجي، 241.

(145) الأزدي، الدول المنقطعة، ج2، ص413.

(146) ابن حوقل، صورة الأرض، ص216.

(147) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج1، ص124؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص365.

(148) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج1، ص124؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص239؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص63. وانظر أيضاً: التوحيدي، الرسالة البغدادية، ص104-105.

(149) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج1، ص124-125؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص365؛ السبط، مرآة الزمان (345-447هـ)، ص246؛ ابن كثير البداية والنهاية، ج8، ص68.

(150) الأزدي، الدول المنقطعة، ج2، ص413. وانظر أيضاً: غرس النعمة، الهفوات النادرة، ص330.

(151) غرس النعمة، الهفوات النادرة، ص330؛ ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج16، ص120.

(152) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج4، ص135؛ ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج16، ص153.

(153) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج3، ص157؛ ج4، ص135، ج5، ص252، 269، ج7، ص148؛ غرس النعمة، عيون التواريخ، ص103، 138؛ الهفوات النادرة، ص330؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص136، 383، ج15، ص20، 113، 185، 256، 328، 339، 351، ج16، 37، 153، 265، 341؛ السبط، مرآة الزمان (345-447هـ)، ص335؛ ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج16، ص120، 122، ج18، ص89؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص638، ج8، ص85.

(154) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج5، ص252-253؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص185، ج16، ص153.

(155) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج7، ص148؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص351؛ ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج18، ص89.

(156) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص26، 258، ج16، 153.

(157) غرس النعمة، الهفوات النادرة، 328، 330.

(158) ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج16، ص120، 122، ج18، ص189. وانظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص256.

(159) ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص55.

(160) غرس النعمة، عيون التواريخ، ص138؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص256.

(161) مسكويه، تجارب الأمم، ج6، ص445.

(162) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 285؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص 172.

(163) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص108؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص116.

(164) العظيمي، تاريخ حلب، ص312.

(165) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص136؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج2، ص79؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص100.

(166) ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج18، ص104.

(167) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج1، ص72.

(168) المصدر السابق، ج13، ص228.

(169) ا المصدر السابق، ج1، ص72.

(170) انظر مهام شاغل هذا المنصب حسب عهود الخلفاء في الحقبة مدار البحث، والتي أوردها: القلقشندي، صبح الأعشى، ج10، ص264 وما بعدها؛ مآثر الإنافة، ج3، ص158، 167، 170 وما بعدها.

(171) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص18-19.

(172) ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج20، ص38.

(173) القلقشندي، مآثر الإنافة، ج3، ص170.

(174) ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج16، ص120.

(175) مسكويه، تجارب الأمم، ج6، ص453.

(176) الصابئ، رسائل الصابئ والرضى، ص73؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج10، ص256 وما بعدها.

(177) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص290، ج15، ص256؛ ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج20، ص117؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص161؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص27. وانظر: ابن الموصلايا، الرسائل، ص344 وما بعدها، حيث يورد عهداً لنقيب العباسيين يتضمن مهامه كناظر للصلاة والخطابة. ورغم أن تاريخ صدروه هو سنة 453هـ/1061م إلا أنه لا يختلف في محتواه عن عهود الحقبة مدار البحث.

(178) المقدسي، البدء والتاريخ، ج2، ص132.

(179) روى الخطيب البغدادي عن الرسول ﷺ: "من ترك الجمعة ثلاث مرات من غير علة، أو قال: من غير ضرورة، طبع الله على قلبه". تاريخ بغداد، ج12، ص140.

(180) روى السهمي أن الرسول ﷺ: "رأى رجلاً يصلي خلف الصف وحده، فقال [له]: أيها المنفرد بصلاتك أعد صلاتك". تاريخ جرجان، ص264.

(181) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج1، ص333.

(182) تاريخ بغداد، ج1، ص71؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص81.

(183) ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص106.

(184) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص385؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج11، ص141.

(185) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج8، ص17.

(186)ا لخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج3، ص76؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص173؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص9.

(187) انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج1، ص371، ج4، ص412، 462، ج6، ص137؛ غرس النعمة، عيون التواريخ، ص389؛ ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج2، ص7-8، 13، 101، 107، 121، 152، 155، 156، 161، 163، 198، 204-205، 208-209، 210، 214؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص244، 342، ج16، ص195، ص200، 231؛ مناقب الإمام أحمد، ص512، 519، 520، 522؛ ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج1، ص5، 7، 8، 14، 28، 32. وانظر أيضاً: السبط، مرآة الزمان (345-447هـ)، ص104-108، 368؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج2، ص823؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج2، ص766، ج8، ص3642؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص633.

(188) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج1، ص368-369، ج3، ص165، ج4، ص462، 463، ج5، ص254، ص275؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص149، 150؛ 243، 244، ج16، ص12؛ السبط، مرآة الزمان (345-447هـ)، ص366؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص189؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص157، 194؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج4، ص81.

(189) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج3، ص142؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج3، ص166، ج4، 467، 568، 586، 763.

(190) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج2، ص878، 884؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج5، ص2447، القرشي، الجواهر المضية، ج1، ص443.

(191) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج1، ص370، 380، ج3، ص76، 95، ج4، 412، ج5، ص58، 77؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص173، ج16، ص200؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج2، ص823؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص297. وانظر أيضاً: ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة،

ج2، ص7، 8، 152، 172، 209؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج4، ص35؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص9.

(192) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج4، ص382؛ السبط، مرآة الزمان (345-447هـ)، ص366؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص125.

(193) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج3، ص318، ج4، ص332، ج5، ص34، ج6، ص47؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص238، 328؛ ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج2، ص135-138، 152؛ السبط، مرآة الزمان (345-447هـ)، ص 379؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص53، 78، 131، 155.

(194) وفيات الأعيان، ج4، ص304.

(195)ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 254؛ ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج2، ص 136؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص43.

(196) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج5، ص135، ج13، ص221؛ غرس النعمة، عيون التواريخ، ص398، ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج2، ص187؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص53.

(197) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج4، ص332، ج6، ص47؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص238، ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص53، 155.

(198) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج3، ص144.

(199) انظر رسالة معمر بن محمد الأصبهاني (ت418هـ/1027م) شيخ الصوفية في زمانه إلى أتباعه يحضهم فيها التمسك بالمذهب السني، عند: التيمي، الحجة، ج1، ص247 وما بعدها.

(200) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج12، ص353.

(201) النجاشي، رجال، ج1، ص327.

(202) ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص3. ويسميه: "عش الروافض".

(203) التوحيدي، الرسالة البغدادية، ص106. وانظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج1، ص107.

(204) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج8، ص17؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص606.

(205) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص344.

(206) ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص145.

(207) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج1، ص125.

(208) الأزدي، الدول المنقطعة، ج2، ص413.

(209) الكندي، الولاة والقضاة، ص352؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج12، ص77، ج13، ص157؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، 284، ج15، ص20؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج5، ص2280؛

الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج9، ص605، ج10، ص115، 126؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج10، ص286.

(210) رغم ذلك استمر الخلفاء العباسيون يضمون مصر والشام والحرمين واليمن لنطاق صلاحية قاضي القضاة العباسي، في إشارة رمزية إلى عدم اعترافهم بشرعية السلطة القضائية المنبثقة عن الفاطميين. انظر عهد الخليفة الطائع لقاضي قضاته محمد بن أم شيبان العباسي سنة 363هـ/974م، إذ جاء فيه تولية ابن أم شيبان على: بغداد والعراق والجبال وديار بكر ومضر وربيعة والموصل، والحرمين واليمن والشام ومصر والإسكندرية، وأعمال ذلك كلها. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص322

(211) انظر تفويض الخليفة الطائع لفخر الدولة بن ركن الدولة بإقليم الجبال ونواحيها سنة 366هـ/976م عند: الصابئ، رسائل، ص141 وما بعدها؛ القلقشندي، مآثر الإنافة، ج3، ص12 وما بعدها.

(212) انظر: الصاحب، رسائل، ص34 وما بعدها، ص42 وما بعدها؛ أبو شجاع، ذيل التجارب، ص311؛ القزويني، أخبار قزوين، ج3، ص296، 471؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص94، 254؛ القرشي، الجواهر المضية، ج2، ص398.

(213) انظر: الدولة الحمدانية عند: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج13، ص361؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج1، ص128. الدولة الزيارية عند: السهمي، تاريخ جرجان، ص238، 277؛ القرشي، الجواهر المضية، ج2، ص280. الدولة السامانية عند: الثعالبي، يتيمة الدهر، ج4، ص387؛ ابن الفوطي، معجم الألقاب، ج2/4، ص737-738؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج3، ص177؛ القرشي، الجواهر المضية، ج2، ص501-502. وانظر أيضاً: ابن عساكر، التبيين، ص229. الدولة الغزنوية عند: العتبي، اليميني، ص28، 427، 477؛ ابن عساكر، التبيين، ص237؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص310؛ ابن الفوطي، معجم الألقاب، ج2/4، ص737-738؛ القرشي، الجواهر المضية، ج2، ص306.

(214) مجهول، العيون والحدائق، ج2/4، ص442، 446؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج2، ص197، 439؛ الهمذاني، تكملة، ص366.

(215) مسكويه، تجارب الأمم، ج6، ص230؛ الهمذاني، تكملة، ص392؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص320.

(216) مسكويه، تجارب الأمم، ج6، ص231؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص133؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص360.

(217) مسكويه، تجارب الأمم، ج6، ص238؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص150؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص7؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص652.

(218) الصابئ، رسوم دار الخلافة، ص125.

(219) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص268؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص103.

(220) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص130. كما قام عضد الدولة بتعيين قضاة بغداد. ابن النديم، الفهرست، ص270.

(221) الصابئ، رسوم دار الخلافة، ص125.

(222) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص348.

(223) الصابئ، تاريخ، ص40، 66؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص17.

(224) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص43؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص224؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص92.

(225) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج10، ص389.

(226) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص103.

(227) الصابئ، رسوم دار الخلافة، ص125.

(228) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج8، ص79؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص191.

(229) مسكويه، تجارب الأمم، ج6، ص238.

(230) الصابئ، تاريخ، ص40؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص17.

(231) الصابئ، تاريخ، ص66؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص17؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص85.

(232) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص221. وانظر أيضاً: الهمذاني، تكملة، ص431.

(233) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص348.

(234) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج2، ص170.

(235) مسكويه، تجارب الأمم، ج6، 231؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص133؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص360؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص636؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص320.

(236) انظر العهود الصادرة عن خلفاء الحقبة مدار البحث عند: الصابئ، رسائل، ص168 وما بعدها، 207 وما بعدها، الصابئ، غرر البلاغة، ص133 وما بعدها؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص18 وما بعدها؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج3، ص353 وما بعدها؛ 361 وما بعدها؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج10، ص286 وما بعدها.

(237) الثعالبي، آداب الملوك، ص138-139.

(238) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج2، ص394. وانظر أيضاً: الصابئ، رسائل، ص168-169، 207-208؛ الصابئ، غرر البلاغة، ص133-134.

(239) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص18-19.

(240) الشيرازي، مذكرات، ص80 وما بعدها.

(241) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 285؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص 172.

(242) الصابئ، غرر البلاغة، ص139.

(243) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج3، ص206-207؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص253.

(244) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج6، ص136.

(245) الدينوري، القادري، ج1، ص531.

(246) قال عبود الشالجي: "الشاهد: يكون مركزه مركز الكاتب العدل في أيامنا هذه، إذ يشهد على الصكوك والمقاولات، وتعتبر شهادته حجة". التوحيدي، الرسالة البغدادية، ص245، هامش (1).

(247) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج3، ص210، ج6، ص20، ج9، ص356.

(248) الصابئ، غرر البلاغة، ص139.

(249) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج12، ص80.

(250) الصابئ، غرر البلاغة، ص139.

(251) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص253؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص12.

(252) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص 285؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص 172.

(253) الصابئ، غرر البلاغة، ص140.

(254) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج8، ص100؛ القرشي، الجواهر المضية، ج2، ص348.

(255) الصابئ، الرسائل، ص213.

(256) المصدر السابق، ص213.

(257) الصابئ، غرر البلاغة، ص140.

(258) الصابئ، رسائل، ص213؛ الصابئ، تاريخ، ص70؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج2، ص847، ج5، ص228؛ ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، ج1، ص12.

(259) انظر عهد الطائع للقاضي عبيدالله بن أحمد بن معروف، عند: القلقشندي، صبح الأعشى، ج10، ص292-293. وانظر أصناف الموظفين التابعين للقاضي ومهامهم عند: السبكي، معيد النعم، ص60 وما بعدها.

(260) أبو شجاع، ذيل التجارب، ص92.

(261) القلقشندي، مآثر الإنافة، ج3، ص175.

(262) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص72.

(263) انظر عهد الخليفة الطائع للحسين بن موسى العلوي "بنظر الأوقاف بحاضرة بغداد وسوادها"، عند: القلقشندي، صبح الأعشى، ج10، ص264 وما بعدها؛ مآثر الإنافة، ج3، ص175 وما بعدها.

(264) القلقشندي، مآثر الإنافة، ج3، ص179.

(265) أبو شجاع، ذيل التجارب، ص92.

(266) الصابئ، غرر البلاغة، ص140.

(267) انظر: الصابئ، رسائل، ص168 وما بعدها، 207 وما بعدها؛ الصابئ، غرر البلاغة، ص133 وما بعدها؛ الهمذاني، تكملة، ص431؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص221؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج10، ص186 وما بعدها.

(268) ابن خلدون، المقدمة، ص280. وحول قضاء المظالم في العصر العباسي، انظر: حمدي عبدالمنعم، ديوان المظالم، ص78ومايليها.

(269) انظر عهد الخليفة المطيع إلى الحسين بن موسى العلوي، نقيب الطالبيين، بقضاء المظالم عند: القلقشندي، صبح الأعشى، ج10، ص252 وما بعدها؛ مآثر الإنافة، ج3، ص151 وما بعدها.

(270) انظر عهد الخليفة الطائع للرضى العلوي بنقابة الطالبيين مضافاً إلى قضاء المظالم سنة 380هـ/990م عند: ابن الأثير، المثل السائر، ج1، ص204 وما بعدها؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج10، ص256 وما بعدها؛ مآثر الإنافة، ج3، ص158 وما بعدها.

(271) ابن الأثير، المثل السائر، ج1، ص208؛ القلقشندي، مآثر الإنافة، ج3، ص165-166.

(272) القلقشندي، مآثر الإنافة، ج3، ص154.

(273) ابن الأثير، المثل السائر، ج1، ص208؛ القلقشندي، مآثر الإنافة، ج3، ص153.

(274) القلقشندي، مآثر الإنافة، ج3، ص155-156.

(275) في الأصل: صاحب الكوفة! وصاحب المعونة هو: قائد الشرطة الذي يتولى تنفيذ حكم القاضي.

(276) القلقشندي، مآثر الإنافة، ج3، ص154-157.

(277) قدامة، الخراج، ص63-64.

(278) الفارقي، تاريخ، ص48.

(279) الصولي، اخبار المقتدر، ص 171-172، 200.

(280) ضمت النقابة إضافة إلى آل الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب من السيدة فاطمة بنت الرسول ﷺ : آل العباس بن علي بن أبي طالب، ابن عنبة، عمدة الطالب، ص331، 334، 335. وآل محمد بن علي بن أبي طالب. المعروف بمحمد بن الحنفية، المصدر نفسه، ص321. وآل جعفر بن أبي طالب، المصدر نفسه، ص23-24، 26، 33. وهذه الإحالات تعود إلى الحقبة مدار البحث.

(281) الأزدي، الدول المنقطعة، ج1، ص149؛ ابن سعيد، المغرب، ج 1، ص202؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص630؛ ابن عنبة، عمدة الطالب، ص154. وحافظت الدولة الفاطمية على نقابة الطالبيين بمصر والشام، انظر: غرس النعمة، عيون التواريخ، ص116، 140؛ ابن القلانسي، تاريخ

دمشق، ص134؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج15، ص179، 379، ج41، ص25؛ ابن عنبة، عمدة الطالب، ص60، 263؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص73، 86، 133، 148. وسارت الدولة الفاطمية على إثر الخلافة العباسيّة في تعيين نقيب للطالبيين "في سائر أعمال الدولة [الفاطمية] شرقاً وغرباً وبراً وبحراً". المسبحي، أخبار مصر، ص6. ويصدر له عهد يقرأ في المسجد الجامع، وكان لقبه نقيب نقباء الطالبيين. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص73، 86، 148.

(282) غرس النعمة، عيون التواريخ، ص152؛ الفارقي، تاريخ، ص50، ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص268، ج15، ص95؛ ابن عنبة، عمدة الطالب، ص83، 84، 235، 288، 293؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج4، ص233.

(283) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص268؛ ابن عنبة، عمدة الطالب، ص203. وانظر أيضا: أبو طالب، الإفادة، ص109؛ المحلي، الحدائق الوردية، ص249.

(284) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص268؛ ابن عنبة، عمدة الطالب، ص23-24، 104، 288، 331. وانظر أيضاً: أبو طالب، الإفادة، ص109، المحلي، الحدائق الوردية، ص249.

(285) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص286؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص36؛ ابن عنبة، عمدة الطالب، ص200

(286) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص268؛ ابن عنبة، عمدة الطالب، ص166. وانظر أيضاً: أبو طالب، الإفادة، ص109؛ المحلي، الحدائق الوردية، ص249.

(287) الحاكم الجشمي، شرح العيون، ص378؛ الصيرفيني، المنتخب، ص142، 234، 241. وانظر أيضاً: ابن بابويه، الفهرست، ص10؛ ابن عنبة، عمدة الطالب، ص52، 313. حيث يشير إلى "نقابة النقباء [الطالبيين] بنيسابور".

(288) ابن بابويه، الفهرست، ص19؛ ابن عنبة، عمدة الطالب، ص66.

(289) انظر عهد الخليفة الطائع سنة 380هـ/990م لمحمد بن الحسين العلوي بنقابة الطالبيين عند: ابن الأثير، المثل السائر، ج1، ص205؛ القلقشندي، مآثر الإنافة، ج3، ص159؛ وانظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص111.

(290) غرس النعمة، الهفوات النادرة، ص143. ويخفف اللقب أحياناً إلى "نقيب النقباء". المصدر نفسه، ص241. غير أن الصيغة الأكثر شيوعاً كانت "نقيب الطالبيين"، إذ تم حصر لقب نقيب كل مدينة بمدينته، كنقيب الكوفة أو نقيب البصرة مثلاً. انظر: التنوخي، نشوار المحاضرة، ج3، ص93؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص157؛ السبط، مرآة الزمان (345-447هـ)، ص238؛ ابن عنبة، عمدة الطالب، ص83، 84، 288. كما كان يلقب أحياناً بنقيب العلويين تجاوزاً. انظر مثلاً: التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص208؛ غرس النعمة، الهفوات النادرة، ص59.

(291) انظر: أبو طالب، الإفادة، ص109؛ المحلي، الحدائق الوردية، ص249. وانظر أيضاً: ابن عنبة، عمدة الطالب، ص235.

(292) انظر: الصابئ، رسائل الصابئ والرضى، ص78؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص344؛ ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج17، ص175؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص268؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص64؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج4، ص160.

(293) الفارقي، تاريخ، ص39.

(294) انظر كتاب عهد المطيع للرضى الموسوي بالنقابة سنة 380هـ/990م، عند: ابن الأثير، المثل السائر، ج1، ص205؛ القلقشندي، مآثر الإنافة، ج3، ص159.

(295) انظر عهود الخلفاء بنقابة الطالبيين في الحقبة مدار البحث، عند: الصابئ، رسائل، ص217 وما بعدها؛ ابن الأثير، المثل السائر، ج1، ص204 وما بعدها؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج3، ص357 وما بعدها؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج10، ص256 وما بعدها؛ مآثر الإنافة، ج3، ص7 وما بعدها. وانظر أيضاً: الصاحب، رسائل، ص236-237.

(296) أبو طالب، الإفادة، ص113؛ المحلي، الحدائق الوردية، ص252. وانظر أيضاً: الهمذاني، تكملة، ص402؛ ابن عنبة، عمدة الطالب، ص62.

(297) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج3، ص93؛ التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص208؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص157.

(298) غرس النعمة، عيون التواريخ، ص102.

(299) انظر: ابن بابويه، الفهرست، ص19، حيث يذكر "دار النقابة بالري"، خاصة بنقابة الطالبيين؛ ابن الموصلايا، رسائل، ص178من دراسة المحقق، حيث يشير إلى دار نقابة الأشراف العباسيين بمدينة بغداد.

(300) انظر عهد الخليفة الطائع للرضى الموسى بنقابة الطالبيين عند: ابن الأثير، المثل السائر، ج1، ص209؛ القلقشندي، مآثر الإنافة، ج3، ص169.

(301) ابن عنبة، عمدة الطالب، ص235، 288، 293.

(302) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص344؛ السبط، مرآة الزمان (345-447هـ)، ص238-239؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص64؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج4، ص160.

(303) انظر مثلاً: الثعالبي، يتيمة الدهر، ج3، ص155؛ الفارقي، تاريخ، ص40؛ الهمذاني، تكملة، ص403؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص344؛ ج15، ص43، 54، 72، 111؛ السبط، مرآة (345-447هـ)، ص238؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص15، 147، 224، 280-281؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص64، 92، 117؛ ابن عنبة، عمدة الطالب، ص180، 181، 183؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج4، ص160. وانظر عهود الخلفاء إلى نقيب الطالبيين التي تضم إليهم المظالم والحج خلال الحقبة مدار البحث عند: ابن الأثير، المثل السائر، ج1، ص204 وما بعدها؛ القلقشندي، مآثر الإنافة، ج3، ص158 وما بعدها.

(304) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص95؛ السبط، مرآة الزمان (345-447هـ)، ص291؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص147؛ ابن عنبة، عمدة الطالب، ص235، 293؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص160، 233.

(305) انظر عهد الطائع للرضى بنقابة الطالبيين مضافاً إليها المظالم والحج، عند: ابن الأثير، المثل السائر، ج1، ص208؛ القلقشندي، مآثر الإنافة، ج3، ص165.

(306) الهمذاني، تكملة، ص403.

(307) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص72؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج1، ص31؛ ابن عنبة، عمدة الطالب، ص180.

(308)ابن عنبة، عمدة الطالب، ص180، 181، 183، 187.

(309) أبو طالب، الإفادة، ص108؛ الهمذاني، تكملة، ص402، 403؛ القرشي، الجواهر المضية، ج3، ص128.

(310) مسكويه، تجارب الأمم، ج6، ص351؛ الهمذاني، تكملة، ص429؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص237.

(311) مسكويه، تجارب الأمم، ج6، ص449؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص268؛ ابن عنبة، عمدة الطالب، ص180، 334.

(312) المصدر السابق، ص190.

(313) العظيمي، تاريخ حلب، ص317، 321؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص43، 54، 89؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص224، 229؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص92، 108.

(314) الصابئ، رسائل، ص217؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص244؛ السبط، مرآة الزمان (345-447هـ)، ص238-239؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص15؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص64.

(315) العظيمي، تاريخ حلب، ص317، 321؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص43، 45، 89؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص224، 229؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص92.

(316) الفارقي، تاريخ، ص39، 40.

(317) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص111-112.

(318) السبط، مرآة الزمان (345-447هـ)، ص389؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص40؛ ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج17، ص170.

(319) ورد هذا الوصف على لسان الخليفة القادر، انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص118.

(320) ابن الحوزي، المنتظم، ج15، ص331؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص186.

(321) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج1، ص31.

(322) مسكويه، تجارب الأمم، ج6، ص196، 295.

(323) مسكويه، تجارب الأمم، ج6، ص364؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص50.

(324) العظيمي، تاريخ حلب، ص310.

(325) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص198.

(326) المصدر السابق، ج7، ص162.

(327) السبط، مرآة الزمان (345-447هـ)، ص220.

(328) العظيمي، تاريخ حلب، ص313.

(329) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص223.

(330)ابن الموصلايا، رسائل، ص179 من دراسة المحقق.

(331) الصابئ، تاريخ، ص5؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص14، 342؛ ابن العمراني، الإنباء، ص188؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص116، ج8، ص66، 74.

(332) غرس النعمة، الهفوات النادرة، ص377؛ ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج20، ص117، 171؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص76؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج5، ص27. وانظر أيضاً: غرس النعمة، عيون التواريخ، ص110.

(333) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج11، ص386؛ الهمذاني، تكملة، ص392؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص222، 223؛ ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج16، ص120، ج20، ص117.

(334) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج5، ص27. وهو قول الخليفة القائم عند توليته أبا تمام محمد بن علي الزينبي العباسي نقابة العباسيين سنة 428هـ/1037م.

(335) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج5، ص27. وانظر أيضا: الصابئ، تاريخ، ص5؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص290، ج15، ص14، 256؛ ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج20، ص117؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص70، ج8، ص161.

(336) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص370. وانظر أيضاً: ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج20، ص117؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص70.

(337) لم يصلنا لسوء الحظ أي نسخة لعهود الخلفاء لنقباء العباسيين في الحقبة مدار البحث، رغم تأكيد المصادر إصدار خلفاء المرحلة له، وهو ما يدفعنا للاعتماد على عهد الخليفة القائم لنقيب العباسيين سنة 453هـ/1061م لاعتبارات عدة أهمها: أن العهد صادر عن الخليفة القائم وهو أحد خلفاء الحقبة، وأن مضامينه يمكن تتبعها في مصادر الحقبة مدار البحث، إضافة إلى اتفاقه في إطاره العام مع عهود نقباء الطالبيين الصادرة خلال الحقبة ذاتها.

(338) وانظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج3، ص452.

(339) ابن الموصلايا، رسائل، ص344 وما بعدها.

(340) غرس النعمة، الهفوات النادرة، ص377.

(341) ابن الموصلايا، رسائل، ص352-352. وانظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص222.

(342) ابن الموصلايا، رسائل، ص178 من دراسة المحقق.

(343) ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص76.

(344) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج5، ص27.

(345) الهمذاني، تكملة، ص392؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص290، ج15، ص256؛ ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج16، ص120، ج20، ص117؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص161؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص27.

(346) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص59.

(347) المصدر السابق، ج8، ص74.

(348) ابن العمراني، الإنباء، ص188.

(349) الهمذاني، تكملة، ص392؛ ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج16، ص120.

(350) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص116. وانظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص290.

(351) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص370؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص165؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص161.

(352) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص342؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص66.

(353) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج2، ص300.

(354) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص250؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص41.

(355) غرس النعمة، عيون التواريخ، ص320؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص169.

(356) البداية والنهاية، ج8، ص41.

(357) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج10، ص62.

(358) الطبري، تاريخ، ج8، ص133؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص57.

(359) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج9، ص127.

(360) المصدر السابق، ج6، ص6، ج12، ص281.

(361) الجزيري، الدرر الفرائد، ج1، ص 282 وما بعدها.

(362) ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج16، ص120.

(363) الجزيري، الدرر الفرائد، ج1، ص328 وما بعدها. وانظر أيضاً: ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص243.

(364) ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص162؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص3؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج1، ص329.

(365) انظر: الجزيري، الدرر الفرائد، ج1، ص329 وما بعدها.

(366) غرس النعمة، عيون التواريخ، ص206.

(367) انظر عهود خلفاء الحقبة مدار البحث عند: الصابئ، رسائل، ص223 وما بعدها؛ ابن الأثير، المثل السائر، ج1، ص208؛ القلقشندي، مآثر الإنافة، ج3، ص166-167.

(368) الدينوري، القادري، ج1، ص574.

(369) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج2، ص108.

(370) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج3، ص120، ج5، ص295؛ ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج17، ص10

(371) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص146؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص310؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص127.

(372) القرشي، الجواهر المضية، ج2، ص89.

(373) ابن الموصلايا، رسائل، ص173-174 من دراسة المحقق.

(374) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص78؛ البيروني، الآثار الباقية، ص288-289.

(375) عمرو بن متى، فطاركة المشرق، ص93، 96، 98، 126. وانظر أيضاً: ماري، فطاركة المشرق، ص101، 114-115، 118.

(376) ماري، فطاركة المشرق، ص107، 119؛ عمرو بن متى، فطاركة المشرق، ص91، 93، 94، 95، 96، 97.

(377) عمرو بن متى، فطاركة المشرق، ص90.

(378) ماري، فطاركة المشرق، ص107.

(379) المصدر السابق،، ص110-114،111.

(380) لم تصلنا في الحقبة مدار البحث عهود الخلفاء للجثالقة، وإنما وصلت إلينا عهودهم في الحقبة السلجوقية، انظر: ابن الموصلايا، رسائل، ص278 وما بعدها؛ وانظر أيضا: ص 181 من دراسة المحقق.

(381) ماري فطاركة المشرق، ص115؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص264؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص164.

(382) عمرو بن متى، فطاركة المشرق، ص82.

(383) ماري فطاركة المشرق، ص102؛ عمر بن متى، فطاركة المشرق، ص94-96.

(384) ابن الموصلايا، رسائل، ص 182 من دراسة المحقق، حسبما ورد في عهد الخليفة القائم للجاثليق سنة 467هـ/1074م.

(385) ماري، فطاركة المشرق، ص114.

(386) لم يتعد البويهيون على اختصاص الخليفة هذا إلاً عام 434هـ/1043م، غير أن اعتراض الخليفة كفل عدم تكرار ذلك. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص285، 289؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص36؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص172، 173.

(387) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص24؛ البيروني، الآثار الباقية، ص132. وسارت الدولة الفاطمية بمصر على خطى الخلافة العباسيّة بتعيين رئيس لليهود فيها. انظر: بنيامين، رحلة بنيامين، ص350.

(388) بنيامين، رحلة بنيامين، ص301-303.

(389) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص264؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص164.

(390) بنيامين، رحلة بنيامين، ص301، هامش المحقق رقم (1). وانظر ملحقه ص384 وما بعدها.

(391) انظر في ذلك: مضر عدنان طلفاح، العلاقة بين الخلافة العباسية والدولة البويهيّة، ص 280 وما بعدها.

(392) انظر: ابن الموصلايا، رسائل، ص82 وما بعدها من دراسة المحقق.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربية

ابن أبي الحديد، عبدالحميد بن هبة الله. (ت655هـ/1258م). **شرح نهج البلاغة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار الجيل، ط1، د.ت،20ج.

ابن أبي يعلى، محمد بن محمد. (ت526هـ/1131م). **طبقات الحنابلة**، تحقيق: أسامة حسن وحازم علي، بيروت: دار الكتب العلمية، 1417هـ/1997م، 2ج.

ابن الأثير، ضياء الدين بن محمد. (ت 637هـ/1239م). **المثل السائر**، تحقيق: محمد محي الدين، بيروت: المكتبة العصرية، 1995م، 2ج.

ابن الأثير، علي بن محمد. (ت 630هـ/1232م). **الكامل في التاريخ**، بيروت: دار الكتاب العربي، ط6، 1406هـ/1986، 10ج.

ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي. (ت 597هـ/1200م). **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تحقيق: محمد ومصطفى عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1412هـ/1992م، 18ج.

ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي. (ت 597هـ/1200م). **مناقب الإمام أحمد بن حنبل**، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1977م.

ابن الطقطقا، محمد بن علي. (ت 709هـ/1309م). **الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية**، بيروت: دار صادر، د.ت.

ابن العديم، عمر بن أحمد. (660هـ/1261م). **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق: سهيل زكار، دمشق: دار الفكر، 1408هـ، 10ج.

ابن العديم، عمر بن أحمد. (660هـ/1261م). **زبدة الحلب من تاريخ حلب**، تحقيق: سهيل زكار، دمشق: دار الكتاب العربي، ط1، 1418هـ/1997م، 2ج.

ابن العمراني، محمد بن علي. (ت 580هـ/1184م). **الانباء في تاريخ الخلفاء**، تحقيق: قاسم السامرائي، القاهرة: المعهد الهولندي، 1973.

ابن العميد، جرجس بن العميد. (ت بعد 672هـ/1273م). **تاريخ المسلمين من صاحب شريعة الإسلام أبي القاسم محمد [ﷺ] إلى الدولة الأتابكية**، ليدن: د.ن، 1925م.

ابن الفوطي، عبدالرزاق بن أحمد الشيباني. (ت732هـ/1323م). **تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب**، ج4،، تحقيق: مصطفى جواد، دمشق: وزارة الثقافة، 1962م، 4 أقسام.

ابن القلانسي، حمزة بن أسد. (ت 555هـ/1160م). **تاريخ دمشق**، تحقيق: سهيل زكار، دمشق، دار حسّان، 1403هـ/1983م.

ابن الكازروني، علي بن محمد. (ت 697هـ/1297م). **مختصر التاريخ**، تحقيق: مصطفى جواد، بغداد: مطبعة الحكومة، 1390هـ/1970م.

ابن اللمش، عمر بن الخضر. (ت 640هـ/1242م). **تاريخ دنيسر**، تحقيق: إبراهيم صالح، دمشق: دار البشائر، ط2، 1413هـ/1992م.

ابن الموصلايا، العلاء بن الحسن. (ت 497هـ/1104م). **رسائل أمين الدولة ابن الموصلايا**، دراسة وتحقيق: عصام عقلة، العين: مركز زايد للتراث، ط1، 1424هـ/2003م.

ابن النجار، محمد بن محمود. (ت 643هـ/1245م). **ذيل تاريخ بغداد**، تحقيق: مصطفى عطا، ضمن: ذيول تاريخ بغداد الملحقة بتاريخ بغداد للخطيب، بيروت: دار الكتب العلمية، 1417هـ/1997م، 5ج.

ابن النديم، محمد بن اسحق. (ت 380هـ/990م). **الفهرست**، تحقيق: إبراهيم رمضان، بيروت: دار المعرفة، ط1، 1415هـ/1994م.

ابن بابويه، علي بن عبيدالله. (ت ق 5هـ/11م). **فهرست أسماء علماء الشيعة ومصنفيهم**، تحقيق: عبدالعزيز الطباطبائي، بيروت: دار الأضواء، 1406هـ/1986م.

ابن تغرى بردى، يوسف بن تغرى بردى. (ت874هـ/1469م). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق: محمد شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ/1992م، 16ج.

ابن حزم، علي بن أحمد. (ت456هـ/1063م). **نقط العروس في تواريخ الخلفاء**، تحقيق: إحسان عباس، ضمن: رسائل ابن حزم، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ط1، 1981، ج2.

ابن حمدون، محمد بن الحسن. (ت 562هـ/1166م). **التذكرة الحمدونية**، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، بيروت: دار صادر،ط1، 1996م، 10ج.

ابن حوقل، محمد بن علي. (ت367هـ/977م). **صورة الأرض**، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت.

ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد الحضرمي. (ت 808هـ/1405م). **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق: حامد الظاهر، القاهرة: دار الفجر للتراث، ط1، 1425هـ/2004م.

ابن خلكان، أحمد بن محمد. (ت681 هـ/1282م). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس،بيروت: دار الثقافة، د.ت، 8ج.

ابن رجب، عبدالرحمن ابن أحمد. (ت 795هـ/1392م). **الذيل على طبقات الحنابلة**، تحقيق: أسامة حسن وحازم علي، بيروت: دار الكتب العلمية، 1417هـ/1997م، 2ج.

ابن سعيد، علي بن موسى. (ت 685هـ/1286م). **المغرب من حلي المغرب**، ج1، (القسم الخاص بمصر)، تحقيق: زكي محمد وزميلاه، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2003.

ابن طيفور، أحمد بن طاهر. (ت 280هـ/893م). **كتاب بغداد**، تحقيق: محمد زاهد الكوثري،القاهرة:مكتبة الخانجي، ط2، 1415هـ/1994م.

ابن عساكر، علي بن الحسن. (ت571هـ/1175م). **تاريخ دمشق**، تحقيق: عمر العمروي، بيروت: دار الفكر، 1415-1419هـ/1995-1998م، 70ج.

ابن عساكر، علي بن الحسن. (ت571هـ/1175م). **تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**، بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1404هـ/1984م.

ابن عنبة، محمد بن علي الحسني. (ت828هـ/1425م). **عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب**، عمّان: وزارة الثقافة، ط1، 1995م.

ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم. (ت 276هـ/889م). **عيون الأخبار**، تحقيق: محمد الاسكندراني، بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1414هـ/1994م، 4ج.

ابن كثير، إسماعيل بن كثير. (ت774هـ/1372م). **البداية والنهاية**، تحقيق: محمد البقاعي، بيروت: دار الفكر، 1416هـ/1996، 10ج.

ابن متى، عمرو بن متى. (ت ق 8هـ/14م). **أخبار فطاركة كرسي المشرق**، روما: د.ن، 1896م.

أبو شجاع، محمد بن الحسين الروذراوري. (ت 488هـ/1095م). **ذيل كتاب تجارب الأمم**، تحقيق: أبو القاسم امامي، ضمن ج7 من كتاب تجارب الأمم، طهران: دار شروش، 1379هـ. ش/2001م.

أبو طالب، الناطق بالحق. (ت 424هـ/1033م). **الإفادة في تاريخ الأئمة السادة**، تحقيق: فيلفرد ماديلونغ، ضمن: أخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان، بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، 1987.

الأزدي، علي بن منصور. (ت 613هـ/1216م). **أخبار الدول المنقطعة**، تحقيق: عصام هزايمة وزملائه، إربد: مؤسسة حمادة، 1999م، 2ج.

الأصفهاني، حمزة بن الحسن. (ت365هـ/970م). **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت.

الأنطاكي، يحيى بن سعيد. (ت458هـ/1067م). **تاريخ الأنطاكي**، تحقيق: عمر تدمري، طرابلس-لبنان: جروس برس، 1990.

البيروني، محمد بن أحمد. (ت 440هـ/1048م). **الآثار الباقية عن القرون الخالية**، تحقيق: إدوارد سخاو، بيروت: دار صادر، د.ت.

التنوخي، المحسن بن علي. (ت384هـ/994م). **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، تحقيق: عبود الشالجي، بيروت: دار صادر، 1391هـ/1971م، 8ج.

التوحيدي، علي بن محمد. (ت414هـ/1023م). **أخلاق الوزيرين**، تحقيق: محمد الطنجي، بيروت: دار صادر، 1412هـ/1992م.

التوحيدي، علي بن محمد. (ت414هـ/1023م). **الإمتاع والمؤانسة**، تحقيق: خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ/1997م.

التوحيدي، علي بن محمد. (ت414هـ/1023م). **البصائر والذخائر**، تحقيق: وداد القاضي،بيروت: دار صادر، ط1، 1408هـ/1988م،9ج.

التوحيدي، علي بن محمد. (ت414هـ/1023م). **الرسالة البغدادية**، تحقيق: عبود الشالجي، ألمانيا: منشورات الجمل، ط1، 1997م.

التيمي، إسماعيل بن محمد. (ت 535هـ/1140م). **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة**، تحقيق: محمد المدخلي، الرياض: دار الراية، ط2، 1419هـ/1999م.

الثعالبي، عبدالملك بن محمد. (ت 429هـ/1037م). **آداب الملوك**، تحقيق: جليل العطية، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990م.

الثعالبي، عبدالملك بن محمد. (ت 429هـ/1037م). **تتمة يتيمة الدهر**، تحقيق: مفيد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية،ط1، 1420هـ/2000م.

الثعالبي، عبدالملك بن محمد. (ت 429هـ/1037م). **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تحقيق: مفيد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ/2000م، 5ج.

الثعلبي، محمد بن الحارث. (ت ق 3هـ/9م). **أخلاق الملوك**، تحقيق: جليل العطية، بيروت: دار الطليعة، ط1، 1424هـ/2003م.

الجزيري، عبدالقادر بن محمد. (ت 977هـ/1569م). **الدرر الفرائد في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة**، تحقيق: محمد حسن، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ/2002م، 2ج.

الحاكم الجشمي، المحسن بن محمد. (ت 494هـ/1101م). **شرح العيون**، تحقيق: فؤاد سيد، ضمن: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة للقاضي عبدالجبار الهمذاني، تونس: الدار التونسية، ط2، 1406هـ/1986م.

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي. (ت 463هـ/1070م). **تاريخ بغداد**، تحقيق: مصطفى عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ/1997م، 14ج.

الخوارزمي، محمد بن أحمد الكاتب. (ت387هـ/997م). **مفاتيح العلوم**، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

الدينوري، نصر بن يعقوب. (ألف كتابه 399هـ/911م). **القادري في التعبير**، تحقيق: فهمي سعد، بيروت: عالم الكتب، ط1، 1417هـ/1997م، 2ج.

الذهبي، محمد بن أحمد. (ت 748هـ/1347م). **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: محمد عيادي، القاهرة: مكتبة الصفا، 1424هـ/2003م، 15ج.

الروحي، علي بن محمد. (حياً 559هـ/1163م). **بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء**، تحقيق: عماد أحمد وزميليه، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1424هـ/2003م.

الزجاجي، عبدالرحمن بن اسحق. (ت 337هـ/948م). **أخبار أبي القاسم الزجاجي**، تحقيق: عبدالحسين المبارك، بغداد: دار الحرية، 1401هـ/1980م.

سبط ابن الجوزي، يوسف قز أوغلي بن عبدالله. (ت 654هـ/1257م). **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (الحقبة 345-447هـ)**، تحقيق: جنان جليل، بغداد: الدار الوطنية، 1990م.

السبكي، عبدالوهاب بن علي. (ت 771هـ/1369م). **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: محمود الطناحي وعبدالفتاح حلو، القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، د.ت، 10ج.

السبكي، عبدالوهاب بن علي. (ت 771هـ/1369م). **معيد النعم ومبيد النقم**، تحقيق: محمد النجار وأبو زيد شلبي، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2، 1413هـ/1993م.

السهمي، حمزة بن يوسف. (ت 427هـ/1036م). **تاريخ جرجان**، بيروت: عالم الكتب، 1407هـ/1987م.

السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر. (ت902هـ/1496م). **تاريخ الخلفاء**، بيروت: دار الكتب العلمية، 1408هـ/1988.

الشيرازي، إبراهيم بن علي. (ت 476هـ/1083م). **طبقات الفقهاء**، تحقيق: خليل الميس، بيروت: دار القلم، د.ت.

الشيرازي، المؤيد في الدين هبة الله بن موسى. (ت 470هـ/1077م). **مذكرات داعي دعاة الدولة الفاطمية**، تحقيق: عارف تامر، بيروت: مؤسسة عزالدين، 1403هـ/1983م.

الصابئ، إبراهم بن هلال. (ت 384هـ/994م). **المختار من رسائل الصابئ**، تحقيق: شكيب أرسلان، بيروت: دار النهضة الحديثة، د.ت.

الصابئ، إبراهم بن هلال. (ت 384هـ/994م). **المنتزع من كتاب التاجي**، تحقيق: محمد الزبيدي، بغداد:دار الحرية،1397هـ/1977م.

الصابئ، إبراهم بن هلال. (ت 384هـ/994م). **رسائل الصابئ والشريف الرضى**، تحقيق: محمد نجم، الكويت: مطبعة حكومة الكويت،ط2، 1986م.

الصابئ، هلال بن المحسن. (ت 448هـ/1056م). **تاريخ هلال الصابئ**، قطعة من ج8، تحقيق: امدروز، بغداد، مكتبة المثنى، د.ت.

الصابئ، هلال بن المحسن. (ت 448هـ/1056م). **تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء**، تحقيق: خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ/1998م.

الصابئ، هلال بن المحسن. (ت 448هـ/1056م). **رسوم دار الخلافة**، تحقيق: ميخائيل عواد، بيروت: دار الرائد العربي، ط2، 1406هـ/1986م.

الصابئ، هلال بن المحسن. (ت 448هـ/1056م). **غرر البلاغة**، تحقيق: أسعد ذبيان، بيروت: دار الكلمة العربية، ط1، 1983م.

الصاحب، الصاحب بن عباد. (ت 385هـ/995م). **رسائل الصاحب بن عباد**، تحقيق: عبدالوهاب عزام وشوقي ضيف، القاهرة: دار الفكر العربي، ط1، 1366هـ.

الصولي، محمد بن يحيى. (ت 335هـ/946م). **أخبار الراضي بالله والمتقي**، تحقيق: ج.هيورث،بيروت: دار المسيرة،1399هـ/1979م.

الصولي، محمد بن يحيى. (ت 335هـ/946م). **أخبار الشعراء المحدثين**، تحقيق: ج،هيورث، بيروت: دار المسيرة،1399هـ/1979م.

الصولي، محمد بن يحيى. (ت 335هـ/946م). **أخبار المقتدر بالله**، تحقيق: خلف رشيد، بغداد: دار الشؤون الثقافية، 1999.

الصيرفيني، إبراهيم بن محمد. (ت 641هـ/1243م). **المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور**، ضبط نصه: خالد حيدر، بيروت: دار الفكر، 1414هـ/1993م.

الطبري، محمد بن جرير. (ت310هـ/922م). **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار سويدان، د. ت، 10ج.

العتبي، محمد بن عبد الجبار. (ت413-431هـ/1022-1039م). **اليميني في شرح أخبار السلطان يمين الدولة وأمين الملة محمود الغزنوي**، تحقيق: إحسان الثامري، بيروت: دار الطليعة، 1424هـ/2004م.

العظيمي، محمد بن علي. (ت 556هـ/1161م). **تاريخ حلب**، تحقيق: إبراهيم زعرور، دمشق: د.ن، 1984م.

غرس النعمة، محمد بن هلال الصابئ. (ت 480هـ/1087م). **الهفوات النادرة**، تحقيق: صالح الأشتر، بيروت: دار الأوزاعي، ط2، 1407هـ/1987م.

غرس النعمة، محمد بن هلال الصابئ. (ت 480هـ/1087م). **عيون التواريخ**، تحقيق: سميحة أبو الفضل، رسالة ماجستير غير منشورة، دمشق: جامعة دمشق، 1987م.

الفارقي، أحمد بن يوسف. (ت 580هـ/1184م). **تاريخ الفارقي**، اعتناء: حسن الأمين، بيروت، دار الفكر الحديث، 1408هـ/1988م.

القاشي، أحمد بن علي. (ت 510هـ/1116م). **رأس مال النديم في تواريخ أعيان الإسلام**، تحقيق: محمد خريسات، العين: مركز زايد للتراث، 1421هـ/2001م.

القاضي الرشيد، أحمد بن الرشيد بن الزبير. (ت بعد 463هـ/1071م). **الذخائر والتحف**، تحقيق: محمد حميد الله، الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1984م.

القاضي عياض، عياض بن موسى اليحصبي. (ت544هـ/1149م). **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق: أحمد بكير، بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت، 4ج.

قدامة، قدامة بن جعفر. (حياً 320هـ/932م). **كتاب الخراج وصنعة الكتابة**، تحقيق: محمد الزبيدي، بغداد: دار الرشيد، 1981.

القرشي، عبدالقادر بن محمد. (ت775هـ/1373م). **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، تحقيق: عبدالفتاح الحلو، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993م، 5ج.

القزويني، عبد الكريم بن محمد. (ت 623هـ/ 1226م). **التدوين في أخبار قزوين**، تحقيق: عزيزالله العطاردي، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987، 4ج.

القضاعي، محمد بن سلامة. (ت454هـ/1062م). **عيون المعارف**، تحقيق: عبدالرحيم محمد، عمَان: دار الينابيع، 1997م.

القلقشندي، أحمد بن علي. (ت 821هـ/1418م). **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**،، تحقيق: يوسف الطويل، دمشق: دار الفكر، ط1، 1987م، 14ج.

القلقشندي، أحمد بن علي. (ت821هـ/1418م). **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، تحقيق: عبدالستار فراج، بيروت: عالم الكتب،1980م، 3ج.

الكندي، محمد بن يوسف. (ت 350هـ/961م). **الولاة والقضاة**، تحقيق: محمد حسن وأحمد فريد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ/2003م.

ماري، ماري بن سليمان. (ت ق 6هـ/ 12م). **أخبار فطاركة كرسي المشرق**، بغداد: مكتبة المثنى، د.ت.

مجهول. (ق 3هـ/9م). **الإمامة والسياسة**، تحقيق: طه الزيني، النجف: دار الأندلس، د.ت، 2ج.

مجهول. (ق4هـ/10م). **العيون والحدائق في أخبار الحقائق**، ج4، تحقيق: عمر السعيدي، دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، 1973، 2 قسم.

المحلي، حميد بن احمد. (ت652هـ/1254م). **الحدائق الوردية في مناقب الائمة الزيدية**، تحقيق: فيلفرد مايدلونغ، ضمن: أخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان، بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، 1987م.

المسبحي، محمد بن عبيدالله. (ت 420هـ/1029م). **أخبار مصر**، ج40، تحقيق: أيمن سيد وتياري بيانكي، القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي، 1978م.

المسعودي، علي بن الحسين. (ت346هـ/957م). **التنبيه والإشراف**، تحقيق: عبدالله الصاوي، القاهرة: دار الصاوي، د.ت.

المسعودي، علي بن الحسين. (ت346هـ/957م). **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق: قاسم الرفاعي، بيروت: دار القلم، 1408هـ/1989م، 4ج.

مسكويه، أحمد بن محمد. (ت421هـ/1030م). **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، تحقيق: أبو القاسم امامي، طهران: دار سروش، 2001م، 6ج.

مسكويه، أحمد بن محمد. (ت421هـ/1030م). **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**، قدم له: حسن تميم، بيروت: دار مكتبة الحياة، ط2، د.ت.

المقدسي، المطهر بن طاهر. (حيّا 364هـ/975م). **البدء والتاريخ**، تحقيق: خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ/1997م، 2ج.

المقدسي، محمد بن أحمد. (ت 381هـ/991م). **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تحقيق: شاكر لعيبي، أبو ظبي: دار سويدان،ط1، 2003.

المقريزي، أحمد بن علي. (ت845هـ/1441م). **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تحقيق: جمال الدين الشيال ومحمد حلمي، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط2، 1416هـ/1996م، 3ج.

النجاشي، أحمد بن علي. (ت 450هـ/1058م). **رجال النجاشي**، تحقيق: محمد النائيني، بيروت: دار الأضواء، 1408هـ/1988م، 2ج.

النويري، أحمد بن عبد الوهاب. (ت 733هـ/1332م). **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: مجموعة من المحققين، القاهرة، 1404هـ/1984م، 30ج.

الهمذاني، محمد بن عبدالملك. (ت 521هـ/1127م). **تكملة تاريخ الطبري**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ضمن: ذيول تاريخ الطبري، بيروت: دار سويدان، د.ت.

ياقوت الحموي، ياقوت بن عبدالله. (ت626هـ/1228م). **معجم الأدباء**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993م، 7ج.

ياقوت الحموي، ياقوت بن عبدالله. (ت626هـ/1228م). **معجم البلدان**، بيروت: دار إحياء التراث، د.ت، 5ج.

المَصَادِر المُعَرَّبَة

ابن العبري، غريغوريوس بن أهرون. (ت 685هـ/1286م). **تاريخ الزمان**، تعريب: إسحاق ارملة، بيروت: دار المشرق، 1986م.

بنيامين التطيلي، بنيامين بن بونة. (ت 569هـ/1123م). **رحلة بنيامين التطيلي**، ترجمة: عزرا حداد، أبو ظبي: المجمع الثقافي، 1423هـ/2002م.

خواندمير، غياث الدين بن همام الدين. (ت942هـ/1535م). **دستور الوزراء**، تعريب: حربي أمين، القاهرة: الهيئة المصرية العامة، 1980م.

خواندمير، محمد بن خاوندشاه. (ت 903هـ/1498م). **روضة الصفا**، تعريب: أحمد الشادلي القاهرة: الدار المصرية للكتاب، 1408هـ/1988.

الكرديزي، عبدالحي بن الضحاك. (ت443هـ/1051م). **زين الأخبار**، تعريب: عفاف زيدان، القاهرة: دار الطباعة المحمدية، ط1، 1402هـ/1982م.

ناصر خسرو القبادياني المروزي. (ت 481هـ/1088م). **سفرنامة**، تعريب: أحمد البدلي، الرياض: جامعة الملك سعود، ط1، 1403هـ/1983م.

نظام الملك، الحسين بن علي الطوسي. (ت485هـ/1092م). **سياست نامه**، تعريب: يوسف بكار، الدوحة: دار الثقافة، ط2، 1407هـ/1987م.

المراجع العربية

الدوري، تقي الدين. (1395هـ/1975م). **عصر إمرة الأمراء في العراق**، بغداد: مطبعة أسعد، ط1.

الدوري، عبدالعزيز. (1945). **دراسات في العصور العباسية المتأخرة**، بغداد: مطبعة السريان.

الدوري، عبدالعزيز. (1988م). **النظم الإسلامية**، بغداد: بيت الحكمة.

طلفاح، مضر عدنان. (2008م). **دار الخلافة ودار المملكة: دراسة في العلاقة بين الخلافة العباسية والدولة البويهيّة (334-447هـ/946-1055م) وأثرها في الفكر السياسي السني**، اربد: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع.

عبدالمنعم، حمدي. (1403هـ/1983م). **ديوان المظالم**، القاهرة: دار الشروق، ط1.

الحملة الإفرنجية على إنطاكية، والدروس المستفادة

صالح درادكه *

ملخص

كان سقوط إنطاكية 1097 ميلادي في أيدي الصليبيين مفاجأة في الغرب والشرق، وذلك لمناعتها، إذ تحيط بها الأسوار العالية والجبال الشاهقة والأحواض المائية، كما أن السلاجقة في سورية والجزيرة كانوا أكثر عددا و عدة.

يهدف هذا البحث إلى دراسة هذا الحدث التاريخي من خلال المصادر الأولية العربية والأجنبية محاولا توضيح مواقف الأطراف الكثيرة المشاركة في هذا الصراع على إنطاكية ذات الموقع المنيع، والأهمية البالغة في العالمين المسيحي والإسلامي.

لقد بين الباحث الأسباب والعوامل التي ساعدت الصليبيين في الاستيلاء على هذه المدينة الإستراتيجية، وبعد ذلك بين أسباب فشل الجموع السلجوقية في استعادة المدينة، ووجد أن الانقسام والعداء المستحكم بين الحكام السلاجقة بالإضافة إلى سوء العلاقة بين السلاجقة والدولة الفاطمية التي كانت تزاحم للسيطرة على بلاد الشام، كانت هذه من أهم أسباب هذا الفشل.

لقد تكررت مثل هذه الحالة في التاريخ العربي والإسلامي، و كأن المسلمين والعرب لم يقرأوا هذه الدروس التاريخية.

المقدمة:

يهدف هذا البحث إلى إبراز واحد من الدروس التاريخية الهامة في التاريخ العربي الإسلامي، كنموذج للدروس البليغة التي مرت في تاريخنا، وعلى الرغم من بلاغتها، لم يتعظ بها أولي الأمر، وربما لم يحسن قراءتها احد، وتمر الأحداث المشابهة وكأن شئا لم يكن، وهذا النموذج الذي يتناوله البحث هوالحملة الفرنجية على إنطاكية سنة 491هـ/ 1097م، كحلقة من حلقات الصراع بين الشرق والغرب.

اعتاد المؤرخون أن يبدأوا الحديث عن الحروب الصليبية، بالإشارة إلى أحوال منطقة الشرق الأوسط في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين، غير أن هذا المدخل لا يمثل بداية الصراع بين الشرق والغرب، إذ من فك هذا الصراع محتدما منذ قيام الإمبراطوريات الأولى التي قامت

* قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

حول البحر الأبيض المتوسط، ومن أقدم هذه الصراعات ما حدث بين الإمبراطورية الفينيقية العربية ممثلة بقرطاج وبين روما التي كانت تمثل إمبراطورية أوروبية ناشئة، وذلك قبل أواخر الألف الثالث قبل الميلاد.

من المعروف أن الفينيقيين انطلقوا من عاصمتهم صور اللبنانية حاليا، وبسطوا نفوذهم غربا على امتداد سواحل البحر الأبيض المتوسط سلميا، واستطاع الفينيقيون أن يقيموا لهم مراكز في سواحل أفريقا الشمالية، وسواحل أوروبا الجنوبية، كمدينة قرطاج التي لا تزال خرائبها قائمة قرب مدينة تونس حتى ألان.

يطيب للبعض أن يعتبر قرطاج وريثة أمها صور في العظمة والغني والطموح، فقد ذكر أنهم بلغوا في تجوالهم رأس الرجاء الصالح وسيراليون جنوبا، ووصلوا إلى اسبانيا وفرنسا وانجلترا شمالا، وفي قول دعم بالآثار، إنهم وصلوا إلى القارة الأميركية قبل كولومبس بآلاف السنين[1].

لقد كان القرطاجيون من سادة التجارة العالمية، كما كانوا روادا في النظم الإدارية والاقتصادية، كما كانوا يدركون أهمية السلام في نجاح مشاريعهم، لذلك بادروا إلى عقد اتفاقيات سلام وعدم اعتداء مع الممالك المجاورة ومنها روما.

بعد أن شبت روما عن الطوق، أخذت تسعى إلى التوسع والهيمنة على البحر المتوسط، ولهذا اصطدمت مع قرطاج في حروب طويلة ومريرة، عرفت في التاريخ (بالحروب البونية) كان شعار قادة روما فيها: "يجب أن تدمر قرطاج"، انتهت هذه الحروب بتدمير قرطاج وإزالتها من الوجود بطريقة مفعمة بالحقد إلى أقصى حد، قال "بيار هوباك" عن مصرع[2] قرطاجة: "أنها لجريمة غاشمة سببت ضياع ألفي سنة من تاريخ الإنسانية"[3] وذكر أن لويد في كتابه "دمروا قرطاجة":ماتت عبقرية بموت مدينة قرطاج التي انبثقت منها تلك العبقرية، فالدولة التي كانت يوما ما، علة التقدم التجاري للعالم الغربي بشكل لا يبارى، وقد حصلت لها الطامة الكبرى قبل انفجار أول قنبلة ذرية بحوالي 2095 سنة"[4].

بعد نكبة العرب بقرطاج، تتالت النكبات التي حلت بمراكز الحضارة الإنسانية، وحرمت هذه النكبات الأجيال من بعدها، من التمتع بإبداعات العرب في مجال الفكر والعلم والعمل، فمن نكبة قرطاج إلى نكبة بغداد (1258/656م) على يد التتار، إلى نكبة قرطبه وغيرها من المدن الأندلسية الزاهرة بالحضارة في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، امتدادا إلى حال العرب للوقت الراهن. ومما يجدر ذكره أن في هذه الصراعات بل النكبات كثيرا من الدروس التي لم يستفد منها أهلها، ورغم توالي النكبات على بلاد العرب، فلا يزال العرب يصمون أذانهم دون سماع درس من هذه الدروس.

وقد اخترت نكبة إنطاكية (1097/491) كنموذج لهذه النكبات التي لم يستفد العرب من دروسها شيئا.

لماذا هذا الاختيار؟

فقد رأيت أن أصلح نموذج يصور إشكالية الحالة التاريخية المتكررة في التاريخ العربي، هي حالة إنطاكية في مواجهة الغزو الفرنجي، وحالة العرب والمسلمين تجاه هذا الغزو، حيث تغلبت الأنانية وحب السلطان على الوطن والعقيدة، وبالتالي فان هذا الحدث التاريخي غني بدروسه، وجاء اختيار إنطاكية لتوسطها في الزمان والمكان، فأحداثها جاءت لتتوسط أحداث التاريخ العربي، فقد سبقت أحداثها أحداث مماثلة، كما تلت حوادثها أحداث مماثلة كذلك، منذ نكبة قرطاج 146 ق.م، وحتى سقوط بغداد 2003م.

ولعل أهمية إنطاكية الإستراتيجية بالإضافة إلى أهميتها الدينية في المسيحية، إحدى أسباب هذا الاختيار.

أهمية إنطاكية:

احتلت إنطاكية مكانة هامة في الخطط العسكرية الأولى لغزو الفرنجة، وعول قادة الغزو على سقوطها نتائج عظيمة وكبيرة، ومع أن الفرنجة استولوا أولا على نيقية من بلاد الإسلام، إلا أن هذا الاستيلاء لم يعتبر ذا بال مقارنة بالاستيلاء عل إنطاكية.

ونظرا لهذه الأهمية لإنطاكية فقد كان تأثير سقوطها مؤلما وواسعا في الأوساط الإسلامية سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي، ويكفي انه كان مدعاة لتشكيل أول تحالف للممالك والإمارات الإسلامية لرد العدوان الفرنجي وتخليص إنطاكية من الاحتلال.

وفي العالم المسيحي تبوأت إنطاكية المرتبة الثالثة، إن لم تكن الثانية بعد روما ذاتها، وهي في نظرهم تقع على رأس الجميع، ولها الصدارة على كل منطقة الشرق، وكانت تدعى في القديم "ريبلاتا"[(5)].

"وقد أنزلت الكراسي الرئيسية في المسيحية منذ أيام الرسل الأولى في العواصم الثلاث لعالم البحر المتوسط: روما والإسكندرية وإنطاكية... ولان القسطنطينية هي روما الجديدة، أسندت الأسقفية لأسقف روما القديم، بيد أن بطريقي الإسكندرية وإنطاكية ومن بعدهما زميلهما بطريق بيت المقدس، الذي أنشئ منصبه فيما بعد، كانوا يتلونه في المرتبة"[(6)].

تعزو الروايات التاريخية بناء هذه المدينة إلى احد خلفاء الإسكندر المقدوني المدعو "انطيوخس أو انتيوكس" في المصادر اللاتينية "وانطيغونيا" في المصادر الإسلامية[7]. وكما هو واضح فان اسم المدينة نسب إلى مؤسسها الأول انطيخوس.

وقد اعتبر المسلمون هذه المدينة قصبة العواصم من الثغور الشامية، وقيل أنها من أعيان البلاد وأمهاتها، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء، وكثرة الفواكه وسعة الخير[8]. وهكذا فإنطاكية محط اهتمام كلا الطرفين المسيحي والإسلامي.

ومما يجدر ذكره أن العرب فتحوا هذه المدينة سنة 15هـ، في أعقاب معركة اليرموك 15هـ/636 م وتحرير سورية من النفوذ الروماني. بقيت المدينة تحت الإدارة الإسلامية المباشرة حتى عام 355هـ/965م ثم تناوب المسلمون والروم السيطرة على إدارتها، وفي العهد السلجوقي كانت هذه الإدارة تتبع حاكم حلب[9]. ولعل من أسباب عظمة إنطاكية في أعين المسيحيين، وجود كنيسة ذائعة الصيت، بنيت تمجيدا لذكرى بطرس الرسول، الذي أصبح أسقفا فيها بعد أن استلم من السيد المسيح صدارة الكنيسة، ومفاتيح مملكة السماوات[10]. ويبدو أن موقع المدينة الإستراتيجي وتحصيناتها المنيعة، جعل كلا الطرفين المسيحي والإسلامي، ينظران إليها كصمام أمان، يقي كل طرف عدوان الطرف الآخر.

تصف المصادر المعاصرة للحملة الفر نجية على إنطاكية أن المدينة كانت من أقوى مدن ذلك العصر تحصينا، بحيث لا يمكن مقارنتها في مناعتها وقوة تحصينها إلا بالقسطنطينية، وانه لا يمكن أن يأخذها عدومن الخارج، إذا ما توافرت فيها الإمدادات والغذاء، وإذا ما عقد سكانها العزم على الدفاع عنها[11].

كان غالبية سكان إنطاكية غداة الحملة الصليبية في أواخر القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي، من السريان والأرمن، وكان للمدينة حامية تركية غير أن السكان كانوا موزعين بين مختلف الكنائس المسيحية[12].

الشام في ظل السلاجقة:

كان ملكشاه السلجوقي قد وزع فتوحاته بين أولاد أخيه وأتباعه اعتقادا منه أنهم كلما تذكروا مآثره عليهم اشتد ارتباطهم به، فكانت نيقية وما جاورها من ولايات من نصيب قلج أرسلان، وكان في نزاع دائم مع الإمبراطورية البيزنطية، وجعل دمشق وما حولها لابن أخيه دقاق، وكان في نزاع دائم مع الدولة الفاطمية في مصر، أما التابع الآخر، فهو آق سنقر، وهو والد عماد الدين زنكي، وأغدق ملكشاه فيض كرمه على ياغي سيان فجعل إنطاكية من نصيبه[13].

ملكشاه هذا هو أعظم سلاطين السلاجقة، وهو ابن السلطان ألب ارسلان بطل معركة ملاذكرت 463هـ/1071م ضد الروم (البيزنطيون)، والتي كان من نتائجها استنجاد الإمبراطور البيزنطي بالبابا وأوروبا لدرء الخطر السلجوقي الإسلامي عن بيزنطية وأوروبا[14]، وكان للسلطان ملكشاه أربعة بنين هم: بركياروق ومحمد وسنجر ومحمود، وكان محمود عند وفاة والدة طفلا، وبتدبير من والدته تركان خاتون زوجة ملكشاه بويع محمود بالسلطنة في بغداد، بينما كان بركياروق اكبر أولاد ملكشاه في أصفهان، وسيرت تركان خاتون قوة للتخلص من بركياروق، إلا أن مساعيها لم تفلح، وبويع بركياروق بالسلطنة[15].

وكان كربوقا (الذي يظهر اسمه لأول مره) قائد حملة تركان خاتون إلى أصفهان، ومنذ هذه الحادثة اخذ اسمه يتردد في الحوادث والصراعات بين أبناء ملكشاه، منتقلا من ولاء سيد إلى ولاء سيد آخر، ولعله كان يتمتع بمزايا عسكرية وسياسية جعلت المتنافسين يسعون إلى كسبه كل إلى صفه.

كان آخر حكام إنطاكية من قبل الإمبراطورية البيزنطية: فيلاريتوس الارمني حتى انتزعها منه، زعيم سلاجقة الروم سليمان بن قتلمش في فبراير سنة 1085م، وعندما تغلب تتش أخو السلطان ملكشاه على سليمان هذا، سنة 1086م، صارت إنطاكية من أملاك تتش، حتى اختار أخوه ملكشاه أن يأخذها منه ويعطيها لأحد رجاله من التركمان، وهو ياغي سيان سنة 1087م، على إن يكون تابعا لرضوان بن تتش ملك حلب، ولكن الحروب والخلافات التي حصلت بين رضوان ملك حلب وأخيه دقاق ملك دمشق، جعلت ياغي سيان يقف إلى جانب دقاق، ومع ذلك لم ينجحا في التغلب على رضوان ملك حلب[16].

ويمكن وصف حالة الدولة السلجوقية غداة خروج الصليبين من أراضي الدولة البيزنطية نحو إنطاكية، بأنها حالة صراع على العرش وحروب بين الأخوة والأتباع من أبناء السلطان ملكشاه، فالكل طامع بالكل وتكاد الثقة تنعدم حتى بين الحلفاء من حكام الدولة السلجوقية، يضاف إلى ذلك العلاقات الحربية مع الدولة الفاطمية في مصر، ولا شك أن الانشقاقات بين حاكم إنطاكية، وبين رضوان الحلبي، وبين سلاجقة سوريا، أضعفت كثيراً جهود المسلمين في مواجهة الغزو الفرنجي.

الحملة الفرنجية والصراع على إنطاكية:

أما الجبهة الفرنجية (الصليبية) فكانت تتكون من أخلاط شتى من سكان أوروبا الغربية، وكانت هذه الأخلاط متباينة الأهداف، فمن رغبة في النهب والسلب وجمع المال، إلى دوافع دينية، أو انقياد للسادة الأمراء والملوك، وكان قادتهم الكبار لا يختلفون عن العامة في الأهداف، وتثور بينهم أحياناً رياح الحسد والتنافس على الرياسة، ومع ذلك دلت أعمالهم على قدر كبير من الحنكة

والشجاعة، ومما زاد في أعباء قادة الحملة الفرنجية ريبة الإمبراطور البيزنطي بهم وبأطماعهم، مما جعله يتعامل معهم بحيطة وحذر، وأخذ عليهم ميثاقاً، بأن يسلموه كل مدينة أو بلدة يستولون عليها من المسلمين.

وقد برز في هذه الحملة التي اجتاحت شمال سورية المتاخم للدولة البيزنطية، قادة على قدر من الدهاء من أمثال: تانكرد، وريمون الصنجيلي، وبلدوين، وبوهيمند، وجودفري، وفلاندرز وغيرهم.

وتعتبر الحملة الفرنجية الأولى عمل فرنسي بالدرجة الأولى وإن خالطت الفرنسيين عناصر أخرى. كان لكل قائد من هؤلاء فرسانه ومقاتلوه الذين خرجوا من بلاده، وهم في كل الأحوال أتباعه ويأتمرون بأمره.

في هذا التشكيل أطبق الفرنجة على مدينة إنطاكية، بعد أن أحرزوا نجاحات في الاستيلاء على المدن والمواقع الحدودية، مثل نيقية، وحصون الدروب، والبارة، وفامية وكفر طاب ونواحيها(17).

كان كل قائد من القادة الذين ذكرناهم يطمح أن تكون إنطاكية من نصيبه، فكان بوهيمند قد ورث كراهية بيزنطة من والده، وأخذ يدبر أمر الفكاك من التبعية للإمبراطور البيزنطي ويحيك المؤامرات ليجد الوسائل التي تسوغ له حكم إنطاكية وعدم تسليمها للإمبراطور البيزنطي، باتفاق قادة الحملة الصليبية.

لم يكن حصار الفرنجة لإنطاكية أمراً سهلاً، وإنما كان مغامرة ومجازفة محفوفة المخاطر، بسبب حصانة المدينة وطبيعة البلاد المحيطة بها.

يصف لنا مؤلف كتاب أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، حال الفرنجة خلال الحصار بقوله: "وأصبحنا لا نكاد نجرؤ على مغادرة المعسكر، وعدنا لا نجد في منطقة المسيحيين شيئاً مما يمكن أن نتبلغ به، زد على ذلك، أنه لم يجسر أحد على اقتحام أرض المسلمين، إن لم يكن في النفر العديد والحشد الكثيف.."(18).

ولعل هذا الحال الذي سبق وصفه ناتج عن الهجمات المفاجئة التي كان يتعرض لها جنود الفرنجة من الحاميات التركية من داخل أنطاكية ومن خارجها التي تستعمل أسلوب الكر والفر مستفيدة من معرفتها بطبيعة المنطقة(19).

كان القادة الفرنجة في حالة تنافس وبخاصة بين بلدوين الفرنسي وبوهيمند الترانتي والنورماندي[20] الذي كان يتباطأ في الاستيلاء على إنطاكية، حتى يستكمل خيوط التآمر والخداع لتكون أنطاكية من نصيبه إذا ما تم الاستيلاء عليها.

إن هذا الوضع الناتج عن نفاذ قوت المحاصَرين، وصمود المدينة، وقوة أبراجها، واستبسال حامياتها، بالإضافة إلى العوامل الأخرى التي أشرنا إلى بعضها، جعلت الفوضى والمجاعة تدب في أوساط القوات الفرنجية، مما جعل الجند يفرون من المواجهات، لم تقتصر هذه الظاهرة على الجند المغمورين، بل إن بطرس الناسك نفسه ووليم النجار أمير ميلون، اختفيا فجأة، فجد القائد تنكرد في أثرهما حتى قبض عليهما وأعادهما إلى بوهيمند الذي وبخهما لفرارهما، وأخذ عليهما عهداً بعدم ترك الجيش الصليبي حتى يتم الاستيلاء على بيت المقدس[21].

وهنا قد يتساءل الرجل العاقل: (أي الحالين كانت أحسن من غيرها، وأيها كانت مبعث فرح: حالة الجيش المُحاصر أم أولئك الذين كان المفروض فيهم أن يكونوا مُحاصرين؟"[22].

وإذا كان الحال هكذا، فكيف عجز السلاجقة عن القضاء على هذه الحملة، ثم كيف انقلبت الأحوال وتمكن الفرنجة من احتلال أنطاكية؟!

إن في ما حدث لإنطاكية يفسر لنا كثيراً من حالات الفشل التي واجهت العالم الإسلامي حتى يومنا هذا، وكأن درس إنطاكية لم يقرأه أحد!!. تفيد المصادر العربية أن ياغي سيان أخرج النصارى من إنطاكية عندما حاصرته جيوش الفرنجة، فانضم هؤلاء إلى معسكر الأعداء[23]، وذكرت مصادر عربية أيضاً أن الأفضل بن بدر الجمالي حاكم مصر الفاطمي، استغل الهجوم الفرنجي على بلاد الشام، واحتل بيت المقدس وأرسل سفارة إلى قادة الحملة الفرنجية أثناء حصارهم لإنطاكية بقصد التعاون معهم ضد السلاجقة، وتقاسم المغانم[24]، وأشار بعض هذه المصادر إلى حدوث عصيان بعض رعايا ياغي سيان عند قدوم الفرنجة نحو إنطاكية وطلبوا المدد من الفرنجة، وذكرت أن "هذا كلّه لقبح سيرة ياغي سيان وظلمه في بلاده"[25]. تضيف بعض الروايات أن تباطؤ النجدة التي قادها كربوقا أمير الموصل والمكونة من ملوك وأمراء بلاد الشام، وانشغال هؤلاء بمحاصرة الرها التي استولت عليها القوات الفرنجية، خارج أنطاكية، منح الفرصة المناسبة لقادة الحملة الفرنجية لإصلاح أحوالهم، واتخاذ الاستعدادات اللازمة، مما مكنهم من الاستيلاء على إنطاكية[26].

وإذا ما جمعنا هذه الأسباب إلى بعضها، نجدها تقدم الصورة العربية لأسباب سقوط إنطاكية بيد الفرنجة، وأبرزها أن الشعوب الشرقية كان يجمع بينها على الرغم من تنوعها الشديد، عدم تمكنها من إدراك الجدّة في الحملة الفرنجية.

أما المصادر اللاتينية فلها وجهة نظر مختلفة عن أسباب سقوط إنطاكية بأيدي الفرنجة، فتقول هذه المصادر أن: "الأرمن والسريان الذين كانوا بداخل المدينة أسرعوا بالخروج والهروب منها تاركين خلفهم نساءهم وأولادهم بالمدينة، فاستفسروا منا عن هدفنا وأمدونا بمعلومات عن كافة أسرار المدينة"[27].

تتفق المصادر العربية واللاتينية على أن من أهم أسباب سقوط إنطاكية بيد الفرنجة إنما تعود إلى أحد حماة أحد أبراج المدينة ويدعى "فيروز" أو"الزراد"، الذي اتفق مع بوهيمند الذي آلت إليه قيادة الحصار على المدينة، على أن يسلم المدينة إلى بوهيمند فقط، وأبقى بوهيمند علاقته مع فيروز سرية حتى تمكن من أخذ ميثاق من قادة الفرنجة على أن تكون إنطاكية من نصيب من تفتح على يده، وهكذا رتب أموره مع فيروز، وفي الوقت المحدد، سمح بدخول جند الفرنجة من قبله، مما سمح باحتلال المدينة مع ذلك بقيت القلعة الرئيسية حيث يوجد ياغي سيان بيد الحامية التركية"[28].

لقد استمر حصار الصليبيين لإنطاكية من 21 أكتوبر سنة 1097 حتى 3 يونيه 1098، أي حوالي سبعة أشهر في بعض الروايات وفي روايات أخرى تزيد مدة الحصار أو تنقص قليلاً[29].

ارتكب الصليبيون في إنطاكية أعمالاً وحشية ضد المسلمين، وصفها الشارتري المرافق للحملة والمشارك فيها بقوله: "... دب رعب هائل في نفوس الأتراك، ورأوا الفرنجة يقتحمون الشوارع بسيوف مشرعة، ويقتلون الناس بوحشية، أصابتهم الرهبة، وأمعنوا في الفرار لا يلوون على شيء. وهرب من الأتراك من استطاع أن يصل إلى القلعة على جرف الجبل"[30]. أما ابن الأثير فيقول، "أن الفرنج دخلوا البلد من الباب، ونهبوه، وقتلوا من فيه من المسلمين"[31]، ويذكر ابن الجوزي، أنه قتل وسبى من أهل إنطاكية، من الرجال والنساء والأطفال ما لا يدركه حصر"[32].

كان ياغي سيان قد استنجد بالأمراء والحكام المسلمين، واستصرخهم لمواجهة الخطر الذي يتهدد بلده، غير أن المدينة سقطت بيد الفرنج قبل وصول النجدات.

هرب ياغي سيان من المدينة وخلف ولده شمس الدولة في القلعة مع الحامية، ولعل هربه كان بقصد استعجال نجدات المسلمين إلا أن جواده كبا به في الطريق وهاجمه الأرمن وقتلوه.

توضح المصادر اللاتينية دور الإيمان وإخلاص الرب لهم وحصول الخوارق والمعجزات، ومن ثم شجاعة الجند الفرنج وفنونهم في القتال مما جعل الفرنج القلة أن ينتصروا على المسلمين الكثرة، رغم قساوة الظروف التي أحاطت بالفرنجة أثناء الحصار[33]. كان لسقوط إنطاكية وقع

شديد ومتباين، فالعالم المسيحي أعلن فرحته واستبشر بتوالي الانتصارات، وتحفز جند الفرنجة لمواصلة السير إلى بيت المقدس[34].

أما وقع الحدث في الأوساط الإسلامية فكان مؤلماً، ومنذراً بالخطر، مما استدعى أمراء الشام والجزيرة إلى الجد في مواجهة هذا الخطر، وهكذا استجاب السلطان بركياروق وندب قوام الدولة كربوقا ليكون قائداً للحملة لتخليص إنطاكية من الفرنجة، فجمع العساكر وسار من الموصل إلى الشام وأقام بمرج دابق، حيث اجتمعت معه عساكر الشام تركها وعربها سوى من كان بحلب[35]. ومن الذين لبوا النداء واجتمعوا إلى كربوقا، دقاق بن تتش ملك دمشق، وطغتكين أتابك الملك دقاق، وجناح الدولة، صاحب حمص، وأرسلان تاش، صاحب سنجار، وسقمان بن ارتق، صاحب ماردين وغيرهم من الأمراء ممن ليس مثلهم[36].

يصف ابن القلانسي جيوش الشام وحصارها للفرنجة في إنطاكية فيقول: "فتجمعت عساكر الشام في العدد الذي لا يدركه حصر ولا حزر، وقصدوا عمل إنطاكية للإيقاع بعسكر الإفرنج، فحصروهم حتى عدم القوت عندهم، حتى أكلوا الميتة ثم زحفوا وهم في غاية الضعف إلى عساكر الإسلام، وهم في غاية من القوة والكثرة، فكسروا المسلمين، وفرقوا جموعهم، وانهزم أصحاب الجرد السبق، ووقع السيف في الرجال المتطوعين والمجاهدين والمغالين في الرغبة في الجهاد، وحماية المسلمين كان ذلك يوم الثلاثاء السادس من رجب في السنة[37] (إحدى وتسعين وأربعماية).

تصف المصادر اللاتينية حال الفرنجة في إنطاكية وهم تحت الحصار أسوأ وصف، فيقول صاحب الجستا: "بلغ من ضيق الحصار علينا أن اضطررنا لأكل خيولنا وحميرنا"[38] ويقول فوشيه الشارتري عن الفرنجة وهم تحت الحصار "لم يستطيعوا أن يطيقوا هذا العذاب أكثر من ذلك، إذ لم يبق لديهم ما يأكلونه مما أوهنهم وأنهك جيادهم"[39].

كان وقع الأخبار بقدوم الأمير كربوقا على رأس جيش كثيف، أليماً في نفوس المحاصرين[40]، ويبدو أن سمعة كربوقا وشدته، وحجم الجيش الذي يقوده هما أسباب هذا الذعر الذي أصاب الأوساط الفرنجية.

وإذا كانت هذه حال الفرنجة تحت الحصار في إنطاكية، وهذه حال الجموع الإسلامية من ترك وتركمان وفرس وعرب، فما الذي قلب الموازين وجعل القلة المحاصرة واليائسة، أن تنتصر على الكثرة المهاجمة، الكثيرة العدد والعتاد؟!

تجيب المصادر اللاتينية على هذا التساؤل بأن فضل ذلك يعود للخوارق أي لمساعدة الرب لشعبه من النصارى، لهذا قال الشارتري يقول: "في تلك الأثناء ظهر الرب، غير ناس عباده، لكثير من الناس، وقد كرروا ذكر هذه الحقيقة، وطمأنهم ووعدهم أنهم سيفرحون بالنصر في القريب... وأمرهم الرب بعدم الهرب: "لا تهرب بل عد... لأنني أنا الذي أكلمك أنا الرب"[41]. وتذكر بعض المصادر اللاتينية نصائح وتوسلات لأم كربوقا، التي قدمت من حلب، لمقابلة ولدها وثنيه عن مقاتلة الفرنجة "أستحلفك يا بني بجميع الأرباب، وبحق طبيعتك السمحاء أن ترجع عن قتال الفرنجة... أتوسل إليك يا ولدي الحبيب أن تستمع إلى نصائحي، وألا تحاول مطلقاً التفكير في قتال الأمة المسيحية، أوالشروع في منازلتها"[42]. وتوحي صياغة الحوار بين الأم وولدها وكأنها كانت تؤمن بالديانة النصرانية، وحتمية انتصار النصرانية: "يا بني العزيز، لقد تبين بعضهم منذ أكثر من مائة سنة، أنه جاء في كتابنا وفي كتابات الوثنيين أن الأمة المسيحية ستهاجمنا، وسيعقد لها النصر علينا في كل ناحية، وأنها ستسود الوثنيين.."[43]، ويلاحظ تشابه الوصف بين ما ورد على لسان الأم وما أورده مؤرخو الحملة الصليبية في وصف الجيوش الإسلامية المُحاصِرة بالوثنية، كما يدلل على ضعف الإيمان في الجبهة التركية، أن أحمد بن مروان الذي سلمه كربوقا، قلعة إنطاكيا من ابن ياغي سيان، سلم القلعة لبوهيمند، واعتنق المسيحية وانضم لجيوش الفرنجة بعد هزيمة كربوقا[44]. لم تذكر المصادر العربية تدخل أم كربوقا في حصار إنطاكية، ولكن يستنتج من مجمل الروايات أن كربوقا كان متقلباً في ولائه، مستبداً في إمرته، ومستهيناً بخصمه، معتمداً على كثرة جيوشه، وكأنه لم يستوعب الدرس الذي لم تمض عليه مدة طويلة، حيث تمكن الفرنجة وهم في حال من الضعف من الاستيلاء على أنطاكية. وإذا كان حصار الفرنجة لإنطاكية قد استغرق سبعة شهور ونيف فإن حصار الجيوش التي قادها كربوقا لم يستمر إلا أياماً (من 5 يونيو إلى 28 يونيو 1098م) [45].

تذكر بعض المصادر العربية أن العلاقات بين الجموع المُحاصرة للفرنجة لم تكن على وفاق، فقد جرت بين الأتراك والعرب منافرة عادوا لأجلها، وتفرق كثير من التركمان بتدبير من الملك رضوان ملك حلب، وتخوف بعض الأمراء من بعض"[46].

وذكرت مصادر أخرى أن الفرنجة المحاصَرين في إنطاكية أرسلوا وفادة إلى كربوقا، يعلنون فيها رغبتهم بالحصول على الأمان مقابل دفع الجزية، والخروج من إنطاكية، لكن كربوقا خاطبهم قائلاً: "لا تخرجون إلا بالسيف"[47]. مما أدى إلى ضياع هذه الفرصة، وإصرار الفرنجة على المقاومة حتى الموت.

كان الحصار شديداً، وكل الظروف مهيأة لانتصار المسلمين، فقد بلغ اليأس عند الفرنجة، أن كثيراً من زعمائهم، تسللوا وسط الظلام وآثروا الهرب والنجاة بأنفسهم، كما أن بعضهم فت في عضد الإمبراطور البيزنطي اليكسوس، فرجع بجيوشه بينما كان في منتصف الطريق قادماً لنجدة الجيوش الفرنجية المُحاصَرة، لأن الهاربين أخبروه بهلاك الفرنجة وسقوط إنطاكية بيد الأتراك.

لم يكن الأمر يحتاج لأكثر من استمرار الحصار لعدة أيام، حتى يهلك الفرنجة داخل إنطاكية. إن الذي حصل يستحق التمحيص والاستدلال، لإزالة هذا الغموض، وحصول هذه الفاجعة بهذا الجيش العرمرم، الذي لن يكتب للمسلمين حشد مثله إلا على يد القائد صلاح الدين الأيوبي.

إن تكرار مثل هذه النتائج في بعض فترات التاريخ الإسلامي تجعل الباحث يتساءل، هل أن ضعف الإيمان، وغياب قوة العقيدة، هما السبب، أم عدم التجانس في الأهداف وفي الأعراق والولاءات هي المسؤولة عن هذه النتائج؟!، أم أن الخبرة العسكرية الفرنجية والتعبئة المسبقة لهذه الجموع ضد المسلمين هي السبب؟! وفي كل الأحوال جاء درس إنطاكية لينضاف إلى دروس كثيرة سبقته وأخرى لحقته، لتتكرر هزائم الأمة، وتكثر مآسيها.

الدروس المستفادة:

1- إن الدرس الأول يتمثل في أن حالة التشرذم وانقسام الأمة إلى كيانات، هو من أهم الأسباب التي أدت وتؤدي إلى النكبات، كما هو واضح في خريطة الأمة العربية الإسلامية غداة الغزو الفرنجي في أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، وكذلك خريطة العالم العربي غداة الغزو الصهيوني والاستعمار الغربي للمشرق العربي.

2- إن انقسام الدولة الواحدة إلى وحدات سياسية يؤدي إلى نزاعات بينية، وصراعات وحروب داخلية، ويخلق نزاعات إقليمية وعرقية ومذهبية.

3- إن الدولة القطرية يصاحبها نزعة انفصالية عن الأمة، ويتيح المجال لحالة من النفاق والفساد تضعف معه المبادئ والقيم الأساسية الموروثة من تاريخ الأمة.

4- إن العرب والمسلمين لم يستخلصوا العبر من نكباتهم المتكررة، ودعت حالهم إلى الاعتماد على الغير، والاستكانة إلى واقعهم، وعدم الأخذ بأسباب النهوض التي أخذ بها غيرهم.

5- إن في العرب المسلمين، خاصية سلبية، أنهم في صراعهم مع بعضهم أشد نكاية بغيرهم، لا بل يتجاوزون كل حد، ويقدمون على التعاون مع العدو الأجنبي الطامع ببلادهم ضد إخوانهم من بني جلدتهم.

فهل يعي العرب اليوم هذه الدروس، وقد أصبحت بلادهم مرتعاً لكل طامع، وهل يسمو الإنسان العربي عن أنانيته وفرديته، إلى حيث مصلحة الأمة في الوحدة والقوة؟

أسأل الله أن يتحقق ذلك

Franks Campaign to Antioch and the Lessons Learned

Saleh Daradkeh, *Department of History,Faculty od Arts, University of Jordan, Amman, Jordan.*

Abstract

The fall of Antioch 1097 A.D in the hands of crusaders surprise the West and the East, for the reason of its vulnerability, as it's surrounded by high walls, high mountains and water basins. Also the Seljuk in Syria and the Peninsula of Lafrate Were more numerous and various.

This research aims to study this historic event through the primary Arab and foreign sources to clarify the positions of the many parties involved in this conflict with the Antioch site impregnable and its importance in the Christian and Islamic worlds.

The researcher clarifies reasons and factors that have helped crusaders in the acquisition of this strategic city, then the researcher clarified the reasons of Seljuk forces failure in restoring the city. Moreover, the researcher found that the severe enmity and hostility between the Seljuk rulers, in addition to the poor relationship between the Seljuk and Fatimid State, which was rushing to control the Levant. Thus, was one of the most important reasons for this failure.

This situation has been repeated in the Arab and Islamic history, seeing that they never learned from the historical lessons.

قدم البحث للنشر في 2007/12/2 وقبل في 2008/6/29

الهوامش:

(1) فيصل الحربي، قرطاج كيف ضاع التاريخ البشري، مجلة العصور الحديثة، العدد التاسع، مايو 2000، (142-154) ص144، وانظر المراجع المتعلقة بقرطاج في جريدة المصادر.

(2) فيصل الحربي، المرجع السابق، ص 144.

(3) المرجع نفسه ص 153.

(4) المرجع نفسه، هذا التاريخ إلى زمن آن لويد، وحتى الآن فقد مضى على تدمير قرطاج 2151 سنة.

(5) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ترجمة د. حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991، ص271.

(6) استيفان رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م، ص124-125.

(7) انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان "إنطاكية" دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1، ص 266.

(8) المرجع السابق.

(9) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم (555-630هـ) التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، تحقيق: عبد القادر احمد الطليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة 1963م، ص6.

(10) فوشية الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة د. زياد العسلي، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، 1990م؟، ص53.

(11) انظر الشارتري، المرجع السابق، وياقوت الحموي، المرجع السابق، مؤلف مجهول (Gesta) أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمه وعلق عليه: د.حسن حبشي، دار الفكر العربي، ص49. وانظر د.سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت 1976م، ص143.

(12) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر – بيروت، م10، حوادث (491هـ) وانظر عاشور، المرجع السابق ص144، وانظر كلود كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة احمد الشيخ، سينا للنشر، 1995م، ص100.

(13) الرواندي، محمد بن علي بن سليمان، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية نقلة إلى العربية: د. إبراهيم أمين الشواربي، وعبد النعيم محمد حسنين، وفؤاد عبد المعطي الصياد، دار القلم، القاهرة، 1379هـ/1960م، ص203-206. وليم الصوري، المرجع السابق، ص277-278.

(14) انظر ابن الأثير، الكامل 65/10-69. وعماد الدين محمد بن حامد الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار الشيخ الإمام الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1403هـ/1980م، ص40-44.

(15) ابن الأثير، الكامل، 224/10-232.

(16) انظر ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، ت660هـ، زبدة الحلب من تاريخ حلب، حققه وقدم له: د. سهيل زكار، ج1، دار الكتاب العربي، ط1، 1418هـ/1997م، ص344-245. وانظر عاشور المرجع السابق، ص190.

(17) جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي 713-874هـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ت، ص146، وانظر وليم الصوري، مرجع سابق، 193/1 وما بعدها.

(18) ترجم الكتاب وقدم له وعلق عليه: الدكتور حسن حبشي، دار الفكر العربي ويعرف هذا الكتاب بـ: (Gesta)، ص54-55.

(19) انظر التفاصيل عند وليم الصوري، المرجع السابق 284/1 وما بعدها.

(20) انظر كلودكاهن، المرجع السابق، ص93-94. والترانتي، نسبة إلى تورنتو، وكان معظم جنده من النورمانديين.

(21) الجستا، مرجع سابق، ص55. د. سعيد عاشور، الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، ج1، ص195.

(22) وليم الصوري، المرجع السابق، 291/1.

(23) انظر ابن الأثير، الكامل 274/10، وسبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي 581-654هـ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج1، تحقيق ودراسة د. مسفر بن سالم بن عريج الغامدي، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة 1407هـ/1987م، ص279.

(24) وليم الصوري، الحروب الصليبية 204/1، وانظر سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ص198، وانظر رسالة العباس وزير الخليفة الفاطمي إلى الفرنجة (البيازنة)، عند كلودكاهن، المرجع السابق، ص291.

(25) ابن العديم، زبدة الحلب، ص345-346.

(26) انظر سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ص203.

(27) سعيد عاشور (نقلاً عن Gullaume de Tyre,vol.1, p.174-175) ولم أعثر على هذا النص في النسخة المترجمة إلى العربية والمستخدمة في هذا البحث.

(28) ابن الأثير، الكامل 374/10، ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي 470-555هـ/1077-1160م، تاريخ دمشق، تحقيق د. سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، ط1، 1403هـ/1983م، ص220، ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن (812-874هـ)، ج5، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، ص146.

وليم الصوري، المرجع السابق 334/1-335، الشارتري، المرجع السابق، ص57-58. مؤلف مجهول، أعمال الفرنجة (Gesta)، ص64 وما بعدها.

(29) انظر س. رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1981م، ص1 /214 وما بعدها، وانظر Gesta، ص49.

- جاء في بعض المصادر تواريخ أخرى لسقوط أنطاكية بيد الصليبيين، انظر، سبط بن الجوزي، مرجع سابق، 209/1 (حا: 10)، وابن الأثير، الكامل 274/10.

(30) الشارتري، مرجع سابق، ص58.

(31) الكامل 275/10.

(32) سبط، المرآة 209/1.

(33) وليم الصوري، مرجع سابق، ص226/1، الجستا، ص80 وما بعدها، الشارتري، مرجع سابق، ص58 وما بعدها.

(34) س. رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 253/1.

(35) ابن الأثير، الكامل 276/10، تذكر بعض المصادر مشاركة رضوان صاحب حلب، انظر مرآة الزمان 310/1، ومن المعروف أنه لم يكن على علاقة حسنة مع ياغي سيان.

(36) نفس المصدر، وانظر مرآة الزمان 310/1.

(37) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص221.

(38) أعمال الفرنجة، ص80.

(39) الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص61.

(40) انظر وليم الصوري، المرجع السابق، ص339.

(41) الشارتري، المرجع السابق، ص60.

(42) الجستا، ص75-76.

(43) نفس المصدر.

(44) انظر كلودكاهن، مرجع سابق، ص372.

(45) الجستا، ص71.

(46) ابن العديم، زبدة الحلب، ص350.

(47) ابن الأثير، الكامل 276/10.

المصادر والمراجع

ابن الأثير، علي بن أبي الكرم (555-630/1160-1232م) **الكامل في التاريخ**، دار صادر – بيروت.

-التاريخ الباهر في الدولة الأتابكيه(الموصل) تحقيق احمد عبد القادر الطليمات ،دار الكتب الحديثه القاهره،1963

ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة ت660هـ/ **زبدة الحلب من تاريخ حلب**، حققه وقدم له: د. سهيل زكار، دار الكتاب العربي 1418هـ/1997م.

ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي (470-555هـ/1077-1160) **تاريخ دمشق**، تحقيق سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر 1403هـ/1983م.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (813-874هـ) **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ت.

أرنولد توينبي، **تاريخ البشرية**، ترجمة نقولا زيادة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت 1985م.

بول مركلي، **الصهيونية المسيحية**، ترجمة فاضل حتكر، شركة قدمس للنشر والتوزيع، بيروت 2002م.

توفيق الطويل، **قصة الكفاح بين روما وقرطاجة**، مكتبة مصر، القاهرة، 1955م.

جون كونتنو، **الحضارة الفينيقية**، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1948م.

الحركة الصليبية، مكتبة الانجلو المصرية.

دومنيك بوديس، **الصليبيون في الشرق**، ريمون المشرقي، ترجمة زياد أنطوان الهاشم، المكتبة الشرقية، د.ت.

الراوندي، محمد بن علي بن سليمان، **راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية**، نقله إلى العربية، إبراهيم أمية الشواربي، وعبد النعيم محمد حسنين، وفؤاد عبد المعطي الصياد، دار القلم، القاهرة، 1379هـ/1960م.

ريجينا الشريف، **الصهيونية غير اليهودية**، جذورها في التاريخ الغربي، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز، سلسلة عالم المعرفة عدد (96).

س. رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، نقلة إلى العربية، السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت-لبنان، 1981م. **الحضارة البيزنطية**، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م.

سبط بن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي (581-654هـ) **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**، تحقيق مسفر بن سالم بن عريج الغامدي، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة 1407هـ/1987م.

سعيد عبد الفتاح عاشور، **تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى**، دار النهضة العربية، بيروت 1976م.

عماد الدين محمد بن حامد الأصفهاني، **دولة آل سلجوق**، اختصار الشيخ الإمام الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1400هـ/1980م.

فيصل علي الحربي، **الفينيقيون في ليبيا**، الدار الجماهيرية للنشر، سرت 1996م.

قرطاجة، كيف ضاع التاريخ البشري، **مجلة العصور الجديدة**، السنة الأولى، العدد التاسع، القاهرة، مايو2002م.

كلود كاهن، **الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية**، ترجمة أحمد الشيخ، سينا للنشر 1995م.

مؤلف مجهول، **أعمال الفرنجة (الجستا)**، ترجمة حسن حبشي، دار الفكر العربي.

نجيب ميخائيل ابراهيم، **مصر والشرق الأدنى القديم**، سورية، دار المعارف، مصر 1966م.

هـ.ج. ولز، **معالم تاريخ الإنسانية**، ترجمة عبد العزيز جاويد مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1956م.

وليم الصوري، **الحروب الصليبية**، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتب 1991م.

ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

"مُحرِّق": بين مقولات المؤرخين ومعطيات الشعر

عرسان الراميني*

ملخص

في هذا المقال، يرفض الباحث الاعتقاد الشائع بأن لقب "محرق"، المتكرر ذكره كثيرا في الشعر الجاهلي، قد أطلق على عدد من الملوك ينتمون إلى غير عائلة عربية حاكمة. وهو يرى، في المقابل، أن هذا اللقب، حسب الأسيقة التي ورد فيها في الشعر القديم، لا يخص إلا ملكا واحدا، وأن هذا الملك هو الحارث الأصغر الغساني، الذي حكم في آخر القرن السادس للميلاد. وللبرهنة على هذا الرأي، يفحص الباحث كل المادة الشعرية التي ذكر فيها محرق فنسبه الشراح إلى اللخميين، ليصل بعد الفحص إلى أن محرقا في هذه المادة لا يمكن أن يكون ملكا لخميا، وإنما هو أحد ملوك الغساسنة المتأخرين. ثم ينظر الباحث في الأدلة المتاحة محاولا تحديد هوية هذا الملك الغساني، ليستنتج أنه الحارث الأصغر بن عمرو أبي شمر بن الحارث الأكبر بن جبلة. وفي ضوء هذه النتيجة، يؤكد الباحث الحاجة إلى إعادة النظر في الارتباط السياسي لكثير من قصائد الشعر الجاهلي، فضلا عن مراجعة عدد من المقولات الخاصة بعلاقة القبائل العربية بكل من اللخميين والغساسنة في المراحل الأخيرة من تاريخ هاتين العائلتين المالكتين.

مقدمة

يشيع لقب "محرق" شيوعا واضحا في الشعر الجاهلي وشروحه. فالشعراء يذكرونه بوصفه ملكا من ملوك العرب، دون أن يحددوا هويته؛ وشارحو الشعر، من جانبهم، يعدونه لقبا يطلقه الشعراء في العادة على بضعة من ملوك آل نصر في العراق وآل جفنة في الشام. فهو يطلق، من وجهة نظرهم، أولا، على مؤسس العائلة اللخمية المالكة بالحيرة، امرئ القيس بن عمرو، المعروف أيضا بـ "البدء"؛ وثانيا، على جد غساني اسمه الحارث بن عمرو يحتل مكانه في بداية سلسلة نسب الغساسنة، مع اختلاف (شكلي كما يبدو) في نسبه: هل ينحدر من عمرو بن عامر مزيقياء، أم من جفنة بن عمرو بن عامر مزيقياء، جد آل جفنة، أم من ثعلبة ابن جفنة هذا؟ وثالثا، على عمرو بن هند اللخمي، وهو، حسب الاعتقاد الشائع[1]، ابن المنذر بن ماء السماء، ملك الحيرة في أواسط القرن السادس للميلاد (554-569م)، وتسميه بعض الروايات "محرقا الأحدث"[2]، وبعضها يسميه "محرقا الثاني" تمييزا له من جده امرئ القيس بن عمرو، محرقٍ الأكبر، كما

* قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

يدعوه ابن سيدة[3]؛ ورابعا، على جفنة بن المنذر بن الحارث بن جبلة، تبعا لابن خلدون[4]، أو جفنة بن النعمان بن الحارث بن جبلة تبعا للخزرجي[5].

هذه الأسماء الخمسة هي التي تظهر في التعليق على الشعر ذي الصلة. لكن هناك، في الوقت نفسه، رواية منعزلة في معجم البلدان[6] يظهر فيها واحد من أبناء الحارث بن عمرو الكندي ملقبا بـ "بمحرق" ومتوليا حكم قبائل تميم وضبة نيابة عن أبيه، لكن من غير أن يكون لهذه المعلومة علاقة بشعر معين.

وعلى الرغم من شيوع هذا اللقب في الشعر وفي المرويات الجاهلية عموما، فإن معلوماتنا عن أصحابه محدودة جدا. فمن بين هؤلاء "المحرقين" جميعا لا نعرف شيئا خارج الروايات السابقة إلا عن ملكي الحيرة امرئ القيس بن عمرو، وعمرو بن المنذر بن ماء السماء. ومن الطريف أن كليهما ورد اسمه في الكتابات القديمة: فقد ورد اسم الأول في "نقش النمارة" المشهور، المدون سنة 328م[7]، في حين ورد اسم الآخر في نقش Ry 506[8]. ويمكن أن ينضاف إليهما جفنة بن النعمان/ المنذر إذا كان هو نفسه جفنة الذي يظهر في نصين أحدهما سرياني والآخر عربي[9]؛ فهو يظهر في الأول في أحداث سنة 587م بوصفه فيلارخا يتوسط لحل خلاف بين جماعتين منوفيستيتين، ويظهر في الثاني في أحداث سنة 591م بوصفه ناقلا لرسائل بين الإمبراطور البيزنطي موريس والإمبراطور الفارسي خسرو الثاني أبرويز.

وبالنسبة إلى سبب اللقب، فالأخباريون ينسبون إلى هؤلاء الملوك أعمال تحريق ارتكبوها ضد أهداف معادية، لكننا لا نعرف تفاصيل هذه الأعمال، سوى ما يقال، أولا، من أن امرأ القيس بن عمرو سمي "محرقا" لأنه كان يسم بالنار وجة كل من يظفر به من الملوك[10]، ومن أن عمرو بن هند سمي كذلك لأنه أحرق مائة رجل من تميم كان أسرهم في يوم أوارة الثاني، أو لأنه أحرق نخل قرية "ملهم" باليمامة[11]، وثانيا، من أن جفنة بن النعمان/ المنذر بن الحارث بن جبلة أغار على الحيرة حين كان النعمان بن المنذر غائبا عنها، فحرق فيها[12].

على أن الاتجاه السائد قديما وحديثا في لقب "محرق" أنه ذو صلة لخمية، لا غسانية. فهو يظهر بهذه الصلة في كل شروح القدماء على الشعر الجاهلي والإسلامي ذي العلاقة؛ وفي العصر الحديث، تأكد هذا الاتجاه بداية في الدراستين اللتين أجراهما كل من Noldeke وRothstien في أواخر القرن التاسع عشر حول الغساسنة واللخميين على التوالي. فقد شك الأول[13] في صحة إطلاق اللقب على بعض ملوك آل جفنة، في حين أكد الثاني[14] أن اللقب خاص بأحد أمراء الحيرة، وهو عمرو بن المنذر بن ماء السماء. وفي التعليقات على شروح نقائض جرير والفرزدق،

حيث ورد ذكر محرق مرارا سواء في النقائض نفسها أو في الشعر الجاهلي المقتبس خلال الشروح، يردد Bevan صدى ما جاء على لسان كل من Noldeke وRothstien حين يقول في تعريف "محرق"[15] "an obscure term applied to the Lakhmite kings of al-Hira, who are called Al Muharriq, and in particular to 'Amr b. al-Mundhir." وفي العمل الموسوعي "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"[16]، تبنى جواد علي مقولة الانتماء اللخمي لمحرق، ثم راحت هذه المقولة تظهر في كل الدراسات اللاحقة عن اللخميين، وفي كل الشروح الحديثة على القصائد القديمة التي يرد فيها ذكر محرق. ومهما يكن من أمر، فالدارسون المحدثون لم يبنوا رأيهم على بحث خاص في المسألة، وإنما تأثروا برواية شائعة في المصادر[17].

إزاء ذلك، يسعى البحث الحالي إلى التحري عن شخصية محرق في شعر الشعراء الذين ذكروه، لما لهذا التحري من قيمة، أولا، في تحديد الارتباطات السياسية لهؤلاء الشعراء، وبالنتيجة، لقبائلهم، وثانيا، في الوصول إلى فهم أفضل لأشعارهم ووضعها في أسيقتها الصحيحة. وليس من الممكن، بالطبع، تقديم رأي علمي في الروايات الخاصة بإطلاق اللقب على مؤسسين للعائلات العربية المالكة، إذ إننا لا نملك، هنا، أية آلية للفحص والتحقق، حتى في أدنى المقاييس. فالكتابات القديمة لا تسعف في هذه الحالة، والشعر الجاهلي الموثوق، وهو أداة ناجعة لممارسة النقد، متأخر جدا عن زمن قيام مملكتي آل نصر في العراق وآل جفنة في الشام. ومع ذلك، يمكن المغامرة بنفي صحة تلك الروايات، إذ يبدو أن ورود عبارة "آل محرق" في الشعر هي التي حملت بعض الشراح على الالتفات إلى الجد الأول للعائلة المالكة من أجل تفسير اللقب، غير مكتفين بذكر ملوك عاشوا قريبا من ظهور الإسلام؛ فإذا كان هذا ما حملهم على ذلك فهو غير مقنع، لأن "آل" تضاف إلى مؤسسي عائلات فرعية داخل العائلة الرئيسية، فيقال، مثلا، "آل المنذر"[18]، نسبة إلى المنذر بن ماء السماء، الذي انحدر من صلبه ملوك آل نصر المتأخرين.

والفرضية التي يقوم عليها البحث الحالي تنص على أن محرقا الذي يذكره الشعراء الجاهليون ليس متعددا، بل واحدا، وأن محرقا هذا معاصر لهؤلاء الشعراء، لكنه ليس ملكا لخميا يتجسد في المنذر بن ماء السماء (ت 554م) ولا في ابنه عمرو (569م)، كما يعتقد الأخباريون وشراح الشعر، وإنما هو ملك غساني حكم في أواخر القرن السادس للميلاد، قبل حوالي عقد ونصف فقط من ظهور الإسلام. وسوف تمضي محاولة إثبات هذه الفرضية عبر ثلاث مراحل:

أولا، مراقبة الأشعار التي يذكر فيها محرق فيبدو لدى الوهلة الأولى، كما بدا لشراح الشعر، أنه ملك لخمي، وإثبات أن هذا مجرد انطباع أولي وأن "محرقا"، هنا، لا يمكن أن يكون ملكا لخميا؛

ثانيا، مراقبة سائر الأشعار التي يذكر فيها محرق فينسب في الشروح عادة إلى اللخميين، لكن من غير دليل ألبتة، وإثبات أن "محرقا" في هذه الأشعار ملك غساني، لا لخمي؛

ثالثا، فحص الأدلة المتاحة لتحديد هوية الملك الغساني الملقب بـ"محرق".

أولا: دعوى "لخمية" محرق لا تقوم على أساس

هناك ثلاث قصائد من منتخبات الشعر الجاهلي يرد فيها ذكر "محرق" في أسيقة يفهم منها لدى القراءة الأولى أنه ملك لخمي؛ وهي قصيدة دالية للأسود بن يعفر، وأخرى رائية للنابغة الجعدي، وثالثة قافية للممزق العبدي. ومن الواضح أن هذه القصائد هي التي حملت الأخباريين على نسبة محرق إلى اللخميين. لكن عند إمعان النظر فيها يتبين أن هذا الفهم متسرع.

1) دالية الأسود بن يعفر

في المفضلية رقم 44 (بيت 5- 13) يصف الأسود بن يعفر حال الزمان وكيف يفنى رجاله وتتقفر منهم منازلهم، كما يعلق الثعالبي[19]؛ وخلال ذلك، ترد الأبيات التالية:

ولَقدْ علمتُ سوى الذي نبّأتَني   أن السبيلَ سبيلُ ذي الأعوادِ
إن المنيةَ والحتوفَ كلاهما   يُوفِي المخارمَ يرقبانِ سوادي
لن يرضيا مني وفاءَ رهينةٍ   من دونِ نفسي، طارفي وتلادي
ماذا أُؤمِّل بعد آل محرّقٍ   من دونِ نفسي، طارفي وتلادي
أهلِ الخورنقِ والسديرِ وبارقٍ   والقصرِ ذي الشُرُفاتِ من سنداد
أرضاً تخيرَها لدارِ أبيهم   كعبُ بنُ مامةَ وابنُ أمّ دؤاد
جرتِ الرياحُ على مكان ديارِهمْ   فكأنّما كانوا على ميعاد
ولقد غَنوا فيها بأنعَمِ عيشةٍ   في ظلِّ مُلْكٍ ثابتِ الأوتاد
نَزلوا بأنقرةٍ يَفيضُ عليهِمُ   ماءُ الفراتِ يجيء مِنْ أطواد

إن شهرة الخورنق والسدير بوصفهما قصرين كانا لملوك الحيرة جعلت المصادر[20] لا تتردد في تعريف "آل محرق" في قصيدة الأسود على أنهم ملوك آل نصر. والدراسات التي اهتمت بالأماكن الأثرية في العراق[21] أكدت روايات المصادر إجمالا حول الخورنق والسدير، وبينت أن الأول قصر بناه أحد ملوك الحيرة في أوائل القرن الخامس للميلاد للإمبراطور الفارسي في عهده، وأن الثاني قلعة لا تبعد كثيرا عن الخورنق؛ وكلا البناءين مشرف على الضفاف الغربية لنهر الفرات.

لكن هذه الدراسات بينت في الوقت نفسه أن الخورنق، بصفة خاصة، اسم لمنطقة تمتد على ضفاف الفرات شرقي النجف، وأن القصر سمي تبعا لها. وهذا يفسر اختلاف مصادر علماء البلدان[22] حول ما إذا كان الخورنق قصرا أو منطقة زراعية. ومن الجدير بالملاحظة أن الأعشى ميمون ابن قيس[23] يذكر الخورنق في شعره بوصفه منطقة زراعية كانت عوائدها تؤول للنعمان بن المنذر، ويجعلها مجاورة للسيلحين:

وتجبـــى إليـــه الســـيلحون ودونهـــا صـــريفون فـــي أنهارهـــا والخورنـــق

والشيء نفسه يمكن استنتاجه، أولا، من عبارة للبكري[24] يقول فيها معرفا بأنقرة: "موضع بظهر الكوفة، أسفل من الخورنق، كانت إياد تنزله في الدهر الأول،" وثانيا، من عبارة للهمداني[25] نفهم منها أن بارقا مكان يقع في منطقة الخورنق ("فإلى بارق بالخورنق"). وابن خرداذبه[26]، من جانبه، يذكر الخورنق بوصفها أرضا تقع في طسوج السيلحين؛ ومعلومته هذه مبنية على معطيات ديوان الخراج في عهد الخليفة المأمون[27]. ولهذا، من الغريب أن يرى ياقوت الحموي تناقضا بين رواية تجعل الخورنق قصرا ورواية ثانية تجعله منطقة زراعية، فيرجح الأولى منهما، قائلا: "والذي عليه أهل الأثر والأخبار أن الخورنق قصر كان بظهر الحيرة"[28].

وبالعودة إلى أبيات الأسود بن يعفر، أعلاه، وقراءتها مرة ثانية، نجد ما يذكره من أماكن إنما يذكره من حيث علاقته بقبيلة إياد، لا من حيث علاقته بآل محرق. وهذا ليس فقط لأن كلمة "أهل"، في البيت الخامس، مبدلة من "إياد"، بل، وهو الأهم، أن الأسود بن يعفر، بعد أن يعدد أماكن الخورنق والسدير وبارق وسنداد، يصفها بأنها "أرض"، وبأن هذه الأرض تخير الاستيطان فيها سادة من قبيلة إياد يذكر أسماء بعضهم. ثم إن إشارته إلى العيش الرغيد الذي نعم به من نزل تلك الأرض من قبيلة إياد تدل على نمط حياة حضرية عاشها الإياديون هناك، وهو ما يؤكده الأعشى حين يشير في قصيدة أخرى[29] إلى استقرار جماعات من قبيلة إياد في منطقة "تكريت" وانخراطهم في فلاحة الأرض قبل أن يغزوهم كسرى ويشتتهم. وليس واضحا ما إذا كانت إشارة الأسود في البيت الأخير إلى نزول الإياديين في "أنقرة" وإلى انتفاعهم بماء الفرات وروافده تمثل وضعا كان قائما قبل هجرتهم أو بعدها، إذ هناك صعوبة في تحديد مكان "أنقرة" الذي يقصده الأسود بن يعفر[30]. لكن، مع ذلك، تبقى هذه الإشارة مهمة من حيث إنها تؤكد أن الأسود بن يعفر، حين يذكر الخورنق والسدير وبارق، إنما يتحدث عن مناطق زراعية وعن أناس استقروا فيها واعتملوا الزراعة، وليس عن مقرات ملك كانت تنزلها أسرة حاكمة.

2) رائية النابغة الجعدي

إن قصيدة النابغة الجعدي التي يرد فيها ذكر محرق، في سياق لخمي في الظاهر، هي رائيته التي يقال إنه أنشدها في حضرة النبي– صلى الله عليه وسلم. وتجري أبياتها ذات العلاقة على النحو التالي[31]:

تـــذكرْتُ، والـــذكرى تَهـــيجُ لِـــذي الهَـــوَى	ومـــــن حاجـــــةِ المَحْـــــزونِ أن يتـذكَـــــرا
نَـــدامايَ عِنْـــدَ المُنْـــذِرِ بْـــن مُحـــرِّقٍ	أرى اليَـــوْمَ مِـــنْهُم ظـــاهرَ الأرضِ مقفـــرا

فورود اسم "المنذر" في هذه الأبيات كان كافيا، كما يبدو، لجعل المصادر[32] ترى أن النابغة يتحدث فيها عن أيام نعيم قضاها في مجالس آل نصر قبل أن يزول ملكهم وتمحي آثارهم. فاسم "المنذر" يشيع بين أفراد العائلة اللخمية المالكة، وقد تسمى به أربعة من ملوكهم[33] آخرهم المنذر الثالث بن ماء السماء وابنه المنذر الرابع. ولذلك نجد الشراح، بعد أن اتفقوا على الهوية اللخمية للمنذر في شعر النابغة الجعدي، يختلفون في تحديد أي منذر هو: الثالث أم الرابع. وهذا الاختلاف أدى تلقائيا إلى التباين في تقدير عمر النابغة الجعدي، الذي عاش، كما يقول الذهبي "إلى حدود سنة سبعين [للهجرة]"[34]. فمن اختار المنذر الثالث، كما يبدو، بلغ بعمر الشاعر مائتين وعشرين/ ثلاثين/ أربعين، سنة، ومن اختار المنذر الرابع، توقف في التقدير عند مائة وثمانين أو مائتي سنة[35].

ومما يلفت النظر في المرويات الجاهلية عموما أن أعمار كثيرين من الشعراء وسادة القبائل تبلغ أرقاما خيالية، قد تصل أحيانا إلى ثلاثمائة سنة وأربعمائة سنة، كما هو الحال مع عبيد بن الأبرص الأسدي وزهير بن جناب الكلبي[36]، دون أن تثير مثل هذه التقديرات شكوكا حقيقية عند الأخباريين وشراح الشعر. والنابغة الجعدي يمثل حالة مشابهة. وعلى أية حال، يذكر الأصمعي[37] في رواية قابلة للتصديق[38]، أن النابغة الجعدي عمر حتى بلغ مائة وعشرين سنة، وهو ما يرجحه Nallino[39] بعد مناقشة للروايات ذات العلاقة. فإذا كان النابغة قد توفي في أوائل خلافة عبد الملك، في تسعينيات القرن السابع للميلاد[40]، فهذا يعني، بالنظر إلى تقدير الأصمعي، وهو أعلى تقدير محتمل، أنه ولد في سبعينيات القرن السادس؛ وهذا يعني أن المنذر، في شعره، لا يمكن أن يكون المنذر الرابع، المتوفى حول سنة 580م، فضلا عن المنذر الثالث، المتوفى سنة 554م. في الواقع، كانت مملكة اللخميين قد سقطت في مطلع القرن السابع للميلاد، حتى قبل أن يبلغ النابغة سنا تمكنه من الوفادة على الملوك أصلا وإحراز المكانة الرفيعة التي تظهر في شعره. إذ في الأحوال العادية لا يحرز رجال القبائل مثل هذه المكانة قبل أن يبلغوا أواسط العمر.

وهكذا، إذا كان المنذر بن محرق، في قصيدة النابغة الجعدي، ليس ملكا من آل نصر، فيجب إذن أن يكون ملكا من آل جفنة[41]. ومن الطريف أن بعض الدليل على ذلك ماثل في القصيدة نفسها. فالنابغة يتحدث فيها عن مجالس أنس ولهو كانت تجمعه مع رفقاء له في حضرة من يسميه "ملك من آل جفنة". ففي هذه المجالس كان غلمان الملك الجفني يديرون عليه وعلى صحبه، كما يقول، اللحوم المشوية والخمور العراقية، ويوزعون الأرياط الشامية، والبرود الحضرمية، وعطورا "من مسك دارين"[42]:

لدى مَلِكٍ مِنْ آل جَفْنَةَ، خَالُه وَجَدَاهُ مِنْ آل امرئ القيسِ أزهرَا
يُديرُ عَلَيْنَا كأسَهُ وشِواءَه مَنَاصِفُهُ والحَضْرَميَّ المُحَبَّرا
رحيقاً عِراقيّاً، وَرَيطاً شآميا ومُعتصَراً من مِسكِ دارينَ أذْفَرا

ومن الطريف أن هذه الأبيات لم تثر أية شكوك حول الاعتقاد بأن "المنذر ابن محرق" ملك لخمي، وذلك، كما يبدو، بسبب تواتر الربط بين "محرق" وآل نصر.

وهناك سبب آخر لاستبعاد أن يكون المنذر بن محرق في شعر النابغة الجعدي ملكا لخميا. فبنو عامر بن صعصعة، الذين ينتمي إليهم بنو جعدة، كانوا من أبرز أعداء الحيرة القبليين في الجزيرة العربية، وذلك في مقابل علاقتهم الوطيدة بالغساسنة. وقد بلغت هذه العداوة ذروتها في يوم جبلة المشهور، ولم تهدأ حتي سقوط مملكة الحيرة[43]. وفي القصيدة السابقة نفسها[44] يعبر النابغة تعبيرا جليا عن وحدة بني عامر في وجه خصومهم القبليين، ويفتخر بانتصاراتهم في يوم جبلة، وفي معارك أخرى خاضوها ضد قبائل أسد وتميم وبكر بن وائل. وفي ضوء هذا الوضع، يبدو اتصال النابغة الجعدي بملوك الحيرة احتمالا مستبعدا، حتى وهو في سن يتيح له مثل هذا الاتصال.

3) قافية الممزق العبدي

ينشد الممزق العبدي قصيدته، وهي من مختارات الأصمعي[45]، في حضرة ملك يدعوه "ابن محرق"، فيقدم له الولاء والطاعة، وفي الوقت نفسه، يستهجن تلويح رجل من أعوان الملك اسمه "ابن فرتنا" بغزو قومه عن غير جرم اقترفوه. وينفي الممزق للملك أن يكون لقومه صلة بإساءات ارتكبها في حقه أناس آخرون، ويطلب منه أن يتولى بنفسه عقابهم إن كان لا بد من هذا العقاب، وألا يترك الأمر لابن فرتنا:

تـــروُحُ وتَغـــدُو مَـــا يُحَـــلُّ وضِـــيُنهَا إليكَ ابنَ مَاءِ المُزنِ وابنَ مُحَرِّقِ
عَلَـوتُمْ ملُـوكَ النـاسِ فـي المجـدِ والتُقَـى وغَرْبُ نَدى مِنْ عُروَةِ العزِّ يَستَقِي
وأنْـتَ عمُـودُ الـدِينِ مهمَـا تَقُـلْ يُقَـلْ ومهمَا تضَعْ مِنْ باطِلٍ لا يلحق

وإنْ يجبنـــوا تَشـــجُعْ وإنْ يبخَلُـــوا تَجُـــدْ   وإنْ يَخرُقُوا بالأمرِ تَفضُلْ وَتْفُرقِ
أحَقـــاً أبـــيْتَ اللَعْـــنَ أنَّ ابـــنَ فَرْتَنَـــا   عَلَى غَيْرِ إجرامٍ بِريقِي مُشرقِي
فـــإنْ كُنْـــتُ مَـــأكُولاً فكُـــنْ خيـــرَ آكِـــلٍ   وإلا فَأدرِكْنِي ولمّـا أُمَـزَّقِ
أكلّفْتَـــــــــني أدواءَ قـــــــــومٍ تـــــــــركْتُهُمْ   وإلا تداركْنِي مِنَ البحرِ أغْرَقِ
فـــإنْ يُتهمُـــوا أنْجِـــدْ خِلافـــاً علـــيهِمُ   وإنْ يُعمِنُوا مُستَحقِبي الحربِ أعْرَقِ
فـــلا أنَـــا مَـــولاهُمْ ولا فـــي صحـــيفةٍ   كَفَلْتُ عليهِمْ والكفالةُ تَعْتَقِي

وفي حين تتفق المصادر على أن "ابن محرق"، في هذا الشعر، ملك لخمي، فإنها تختلف في تحديد اسمه. فأكثر الروايات شيوعا[46] ترى أنه عمرو بن المنذر الثالث بن ماء السماء، الملقب بـ "ابن هند"؛ وهناك رواية أخرى[47] تجعله النعمان بن المنذر الرابع، ورواية ثالثة[48] تجعله عمرو بن النعمان الأكبر، فتعود بالممزق بضعة أجيال إلى الوراء. ولذلك، نجد ابن قتيبة[49] يؤثر، كما يبدو، عدم ربط القصيدة بملك معين من الملوك اللخميين، فيستخدم، في تقديمها، عبارة "بعض ملوك الحيرة". ويبدو أن هذا الخلاف ناشيء عن تردد اسم "النعمان" و"عمرو" في شعر الشعراء العبديين بوصفهما ملكين تربطهما بقبيلة عبد القيس علاقة عداء. ولما كانت القبيلة تسكن في البحرين، وهي منطقة نفوذ تقليدية للحيرة، كان من الطبيعي ألا يتجاوز الأخباريون ملوك آل نصر، ليس فقط في تحديد هوية "ابن محرق" في شعر الممزق، بل في تحديد هوية أي ملك أو أمير يرد اسمه في أشعار العبديين عموما، وبخاصة حين لا يكون هناك دليل ظاهر على صلة هذا الاسم بعائلة مالكة أخرى.

لكن على الرغم من اتفاق القدماء في جعل "ابن محرق"، في قصيدة الممزق، شخصية لخمية، فليس في هذه القصيدة ما يدل على أنه كذلك فعلا. في الواقع، يبدو الأمر على النقيض تماما، إذ تتضمن القصيدة ما لا يمكن معه أن يكون ابن محرق هذا ملكا لخميا. فحسب التقليد الذي يتبعه الشعراء الجاهليون في إنشاد قصائدهم بين يدي من يفدون عليهم من الملوك، يصف الممزق العبدي رحلته الطويلة إلى "ابن محرق"، ويصور ما لاقاه فيها من صعاب وما تجشمه من مشاق، مسقطا ذلك كله على ناقته؛ وفي هذا السياق، تظهر إشارة مهمة كفيلة بأن تغير التفسير التقليدي لعبارة "ابن محرق". فالممزق يذكر أنه استراح بمكان يدعى "جوًا" وهو راحل إلى الملك:

أُنيخَتْ بِجوٍّ يَصرُخُ الدِيكُ عِندَهَا   وباتَتْ بِقاعٍ كادئِ النبتِ سَمْلَقِ

فإذا كانت "جو" هذه التي أناخ فيها الممزق ناقته هي جو اليمامة كما هو معروف لدى البلدانيين، وكما ذكر الشنقيطي في تعليقه على هذه الأصمعية[50]، فلا يمكن أن يكون الشاعر

متجها إلى العراق عامة، فضلا عن الحيرة. فعبد القيس كانت كلها تقطن في البحرين، والمرتحل من البحرين إلى العراق لا يمر باليمامة، وإنما يمر بها المرتحل من هناك يريد الشام أو الحجاز، وفي بعض الأحيان اليمن. وهناك أماكن أخرى في الجزيرة العربية تسمى "جوا"[51]، مثل جو جوادة، وجو ضبيب، وجو الملا، وجو مرامر، وسواها، لكن لا شهرة لها كجو اليمامة؛ وعلى أية حال، لا شيء من هذه "الأجواء" يقع في البحرين ولا في العراق، ولا في شرقي الجزيرة العربية عموما، بل كلها، كما يعددها ياقوت، تقع في نجد. ومن الطريف أن الأعشى، في إحدى قصائده في هوذة بن علي الحنفي[52]، يستخدم تعبيرا مشابها لتعبير الممزق العبدي؛ فهو يقول، أيضا وهو يصور المشاق التي كابدتها ناقته في الرحلة إلى هوذة:

فلما أتتْ آطامَ جوِّ وأهلِه   أُنيختْ فألْقتْ رحلَها بفِنائكا

وربما كان لتعريف "ابن محرق" في قصيدة الممزق بأنه "ابن ماء المزن" أثر في نسبته إلى اللخميين، إذ إن ملوك الحيرة المتأخرين ينحدرون من صلب المنذر الملقب بـ "ابن ماء السماء". غير أن هذا اللقب يصدق على ملوك آل جفنة مثلما يصدق على ملوك آل نصر، لأن جدهم الأول، عمرو بن عامر مزيقياء، يقال له هو أيضا "ابن ماء السماء"[53]. وهناك دليل آخر، وهو أن لقب "ابن المزن" يرد، أولا، في شعر لحسان بن ثابت[54] يفتخر فيه بوحدة النسب بين قومه وملوك آل جفنة، وثانيا، في شعر للزبرقان بن بدر السعدي يفتخر فيه بعطايا ابن ماء المزن لسيد من عائلته؛ ولم يكن لقومه، بني سعد التميميين، علاقة حسنة بالحيرة في أية مرحلة من مراحل تاريخهم المنظور قبل الإسلام، في حين أقاموا علاقة وثيقة مع الغساسنة[55].

وهكذا، يتضح من فحص المواطن السابقة، التي يبدو فيها "محرق" ملكا لخميا عند النظرة الأولى، أن هذا الملك ليس كذلك في الحقيقة. بل إن فحص الأسيقة ذات العلاقة، وبالأخص، في قصيدتي النابغة الجعدي والممزق العبدي، يبين أنه ملك غساني. وقد يثير هذا الاستنتاج تساؤلا، لا سيما فيما يتعلق بقصيدة الممزق، حول صلة الغساسنة بالبحرين وقبائلها، بحيث تدفع هذه الصلة بسيد من عبد القيس إلى الارتحال إلى ملك من آل جفنة في الشام يسترحمه في شأن قومه. هذا التساؤل يجيب عنه النابغة الذبياني[56]، حين يستذكر، في مقام رثاء النعمان بن الحارث الغساني، حملاته العسكرية التي كان ينفذها في العراق والبحرين ضد قبائل من ربيعة.

ثانيا: محرق ملك غساني

من اللافت للنظر أن "محرقا" حيثما ذكر في الشعر الجاهلي، فإنه لا يأتي منسوبا إلى أب أو جد أو عائلة أو مدينة أو حادثة؛ ومن الطبيعي أن يستنتج المرء من ذلك شيء أن العرب، آنذاك، كانوا يطلقون هذا اللقب على ملك واحد فقط. فلو كان سيتبادر إلى أذهانهم، عند إطلاقه، ملكان

أو أكثر، إذن لعمدوا إلى تمييز من يقصدونه عن طريق نسبته إلى شيء يميزه، وذلك كما فعل الحارث بن حلزة، مثلا، حين ذكر الجون في معلقته[57] فنسبه إلى بني الأوس ("ومع الجون جون آل بني الأوس"). صحيح أن الشاعر قد يجد في السياق أو في المناسبة ما يغنيه عن التمييز، لكن السياق لا يسعف في جميع الأحوال. فمثلا، حين يقول الأسود بن يعفر[58]:

ماذا أُؤَمِّلُ بعدَ آلِ مُحَرِّقٍ   تَركوا منازِلَهمْ وبعدَ إياد

أو حين يقول متمم بن نويرة[59]:

أفنين عاداً ثم آلَ مُحَرِّقٍ   فتَرَكْنهُم بلداً وما قد جَمَّعوا

أو حين يقول شاعر آخر[60]:

كأَنْ عليه تاجَ آلِ مُحَرِّقٍ   بِأَنْ ضَرَ مَوْلاَهُ وأَصْبَحَ سالما

فإن السياق لا يكفي لمعرفة هوية "محرق"، وهذا يعني، بكل بساطة، أن الشاعر لا ينتظر من أحد من سامعيه أن يسأله عمن يقصد بهذا اللقب.

الآن، ليست قصيدتا النابغة الجعدي والممزق العبدي وحيدتين في دلالتهما على نسب محرق في غسان، بل تشاركهما في ذلك فعليا كل الأشعار التي ذكر فيها محرق. فعند النظر في هذه الأشعار، وبالتحديد في أسيقة الأحداث ذات العلاقة، نجد صورة محرق تتخذ وجهين متنافرين من حيث العلاقة بينه وبين قبيلة الشاعر: وجها إيجابيا يتمثل في حسن هذه العلاقة، تماما كما هي صورته في شعر النابغة الجعدي؛ ووجها سلبيا يتمثل في سوئها، تماما كما هي صورته في شعر الممزق العبدي. وعند الرجوع إلى تاريخ الارتباط السياسي للقبائل المعنية، نجد أن قبائل الوجه الإيجابي كانت تربطها مع الغساسنة عشية الإسلام علاقة حلف، ومع اللخميين علاقة عداء، وأن قبائل الوجه السلبي، في المقابل، كانت تربطها مع الغساسنة علاقة عداء، ومع اللخميين علاقة حلف. وهذه الحقيقة العامة تشف في حد ذاتها عن العائلة المالكة التي يمثلها محرق، أي آل جفنة.

علاقة حلف

1) سهم بن مرة. ربما انطوت قصيدة مفضلية منسوبة إلى الحصين ابن الحمام[61]، وهو من بني سهم ثم من بني مرة الذبيانيين، على دليل مباشر يؤكد أن محرقا ملك غساني. ففي هذه القصيدة يفتخر الحصين بانتصار قومه بني سهم في يوم "دارة موضوع" على إخوة لهم من ذبيان فيهم ناس من بني فزارة وعشائر أخرى من بني مرة؛ ومما قاله فيها:

جَزَى اللهُ أَفْنَاءَ العَشيرَةِ كُلَّها بِدَارَةِ مَوْضوعٍ عُقُوقاً ومَأْثَمَا
بني عَمِّنَا الأَدْنَيْنَ منهم ورَهْطَنَا فَزَارَةَ إذْ رامتْ بِنَا الحربُ مُعْظَمَا
ولمّا رَأَيتُ الوُدَّ ليسَ بنافِعِي وأنْ كان يوماً ذَا كَواكِبَ مُظْلِمَا
صَبَرْنا وكان الصَّبْرُ فينا سَجِيَّةً بأَسيافِنا يَقْطَعْنَ كَفاً ومِعْصَمَا
يُفَلِّقْنَ هَاماً مِن رِجالٍ أَعِزَّةٍ علينا وهم كانُوا أَعَقَّ وأَظْلَمَا

ثم يستمر في الحديث عن شدة القتال بين قومه وأبناء عمومتهم إلى أن يقول:

لَدُنْ غَدْوَةً حتى أَتَى الليلُ ما تَرَى مِن الخيلِ إلاَّ خارجيًّا مُسَوَّمَا
وأَجْرَدَ كالسِّرْحانِ يَضربُهُ النَّدَى ومحبوكةً كالسِّيدِ شَقَّاءَ صِلْدِمَا
يطأْنَ من القتلى ومن قَصَدِ القنا خباراً فما يجرين إلا تَجشُّما
عليهن فتيانٌ كساهُمْ مُحَرِّقٌ وكان إذا يكسو أجاد وأكرما
صفائحَ بُصرى أخْلصَتْها قُيونُها ومطَّرَداً من نَسْجِ داودَ مُحْكَما

فواضح من هذا الشعر أن فرسان بني سهم كانوا يقاتلون بعدة حرب جهزهم بها محرق[62] من بصرى الشام، حاضرة الغساسنة ومقر آل جفنة؛ أي أن محرقا ملك غساني وأن يوم "دارة موضوع"، وهو حدث قريب من ظهور الإسلام، وقع في عهده. وإشارة الحصين إلى فزارة، وإلى "بني عمه الأدنين"، وهو يقصد، هنا، عامة بني مرة التابعين لسنان بن أبي حارثة، إنما تدل على سبب تحالف قومه مع الغساسنة. فهذه الجماعات الذبيانية كانت موالية للحيرة، وفي الوقت نفسه، على عداء شديد مع الغساسنة، كما يتبين من أدلة موثوقة، منها أشعار للنابغة الذبياني[63] وزهير بن أبي سلمى[64]. فبنو سهم لجأوا إلى الملك الغساني، كما يبدو، يطلبون دعمه في مواجهة عدو مشترك.

2) كلب بن وبرة. ينقل كل من أبي الفرج الإصفهاني[65] وابن المبارك[66] قصيدة منسوبة إلى زهير بن جناب الكلبي، يسجل فيها نصرا عسكريا على فرع آخر من بني كلب، منوها باضطرارهم إلى قبول ما يسميه "الحق" بعد أن رفضوه قبل الحرب. وهو يفتخر بإحراز النصر على يد "رجراجة"، أي كتيبة ثقيلة السلاح، جهزها محرق بدروع محكمة النسج:

أبى قومُنا أن يقبلوا الحقَّ فانتهَوا إليه وأنيابُ من الحربِ تحرقُ
فجاءوا إلى رجراجةٍ مُكْفَهِرَّةٍ يكادُ المديرُ نحوها الطَّرفَ يُصعقُ
سيوفُ وأرماحُ بأيدي أعِزَّةٍ وموضونةٌ مما أفادَ مُحرِّقُ
فما بَرِحوا حتَّى تركنا رئيسَهمْ وقد مار فيه المضرحيُ المُذلَّقُ

هذه الأبيات تذكرنا بأبيات الحصين بن الحمام، مع فارق، هنا، وهو أن شخصية زهير بن جناب ذات أبعاد شبه أسطورية[67]، ليس فقط من حيث ما ينسب إليه من نوادر وإنجازات، بل أيضا من حيث ما يقال عن طول عمره. فكل الروايات تبالغ في تقدير عمره، وبعضها يصل به إلى أكثر من أربعمائة سنة[68]. ومع ذلك ليس هناك شك في حقيقة وجوده؛ ففي الإسلام مشاهير كثر ينحدرون من صلبه؛ وبتتبع سلاسل أنسابهم، يتضح أن زهيرا ينتمي إلى جيل أواسط القرن السادس للميلاد. فإذا أخذنا في الحسبان أنه من المعمرين حقا، فيمكن القول إنه ظل نشطا حتى نهاية ذلك القرن أو بداية القرن السابع. وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى معلومة لدى أبي عمرو الشيباني[69] ذات أهمية خاصة، تفيد بأن زهيرا اجتمع بأبرهة حين غزا هذا الأخير نجدا وبأن أبرهة أعجب بصحة منطقه وصواب رأيه، وفضله على جميع من أتاه من سادة القبائل. هذا الخبر مهم جدا من حيث إنه ينطوي على توافق مباشر مع نقش Ry 506[70]؛ إذ يسجل هذا النقش حملة عسكرية قام بها أبرهة ضد أهداف لخمية في نجد في منتصف القرن السادس للميلاد. فإذا صح هذا الخبر، فهو يقدم الدليل على ارتباط زهير بالمعسكر البيزنطي الحبشي الغساني، ويكشف عن الخلفية السياسية لعلاقة زهير العدائية مع كل من غطفان وقريش[71]، وهم حلفاء للحيرة. يضاف إلى ذلك كله أن بني كنانة القضاعيين، قوم زهير بن جناب، وخصومهم من بني القين بن جسر، الذين يقصدهم زهير في أبياته تلك، كانوا جميعا ينزلون بين الحجاز والشام، في مناطق دائرة تقليديا في فلك النفوذ الغساني.

3) ثقيف. إن التجهز بعدة حرب منسوبة إلى محرق يظهر مرة أخرى في مقطوعة من سبعة أبيات لكنانة بن عبد يا ليل، كما في رواية ابن هشام[72]. إذ يفتخر فيها كنانة بقومه ثقيف، وبدفاعهم عن الطائف ضد من يرومون انتزاعها منهم، وبتصديهم لكل من يريد ظلمهم حتى يرجع عن مراده؛ وفي هذا السياق، يقول:

علينا دلاصٌ من تراثِ مُحَرِّقٍ كلونِ السماء زيّنتها نجومُها
نُرَفّهُها عنا ببِيضٍ صوارم إذا جُرِّدَت في غَمْرةٍ لا نَشيمُها

فكنانة يشير هنا إلى ملك غساني، ليس فقط بسبب صلة الثقفيين تاريخيا واقتصاديا بالشام، أو حتى بسبب وجود أدلة على تحالفهم مع الغساسنة عشية الإسلام كما تتضمن أحداث حرب الفجار[73]، بل أيضا لأن كنانة نفسه، وهو من سادة ثقيف، كانت تربطه بالغساسنة علاقة وثيقة، كما نفهم من كتب الصحابة. ففي ترجمته، يذكر ابن حجر[74] أن كنانة كان في وفد ثقيف الذين قدموا إلى المدينة بعد حصار الطائف ليفاوضوا النبي صلى الله عليه وسلم على الدخول في الإسلام؛ وينقل خبرا مفاده أن كنانة لم يدخل في الإسلام بعد حادثة الوفد، بل "توجه إلى الروم

فمات بها كافرا"؛ وفي تأييد هذا الخبر، يقتبس ابن حجر معلومة من ابن عبد البر وردت خلال ترجمة هذا الأخير لحنظلة الغسيل[75]، جاء فيها أن كنانة اجتمع بوالد حنظلة الغسيل، أبي عامر الراهب، بعد فرار هذا الأخير إلى الشام إثر فتح مكة، ونزوله في جوار الروم، وأن ميراث أبي عامر آل إلى كنانة بأمر من قيصر بعد أن نازعه فيه علقمة بن علاثة.

وعبارة "تراث محرق" في الأبيات السابقة تبدو ذات مغزى مهم، هنا. فهي تتضمن أن الذي زود ثقيف بالأسلحة ملك من خلفاء محرق؛ وهذا يتفق زمنيا مع جيل كنانة بن عبد يا ليل، وهو جيل البعثة، وينضاف، في الوقت نفسه، إلى الدليل على الانتماء الغساني لمحرق، إذ لم يكن للخميين وجود سياسي أنذاك.

4) عامر بن صعصعة. تروي المصادر[76] خبر ملاحاة شعرية جرت بين عامر بن الطفيل ويزيد بن عبد المدان، وذلك في سياق الحديث عن ثارات بني عامر بن صعصعة مع بني الحارث بن كعب. وفي هذه الملاحاة، يذكر يزيد تبعية بني عامر لملك اسمه "محرق" ثم، بعد محرق، لملك اسمه "النعمان":

يا لَلرجالِ لِطارقِ الأحزان ولِعامرِ بنِ طُفيلٍ الوسْنان
كانت إتاوةُ قومِه لمُحَـرِّقٍ زمناً وصارت بعدُ للنعمان

فيجيبه عامر بن الطفيل مستهجنا تدخله، وهو المقيم بنجران، في شؤون بني عامر وفي ولائهم السياسي:

عجباً لواصفِ طارقِ الأحزان ولما يَجيءُ به بنو الديّان
فخروا علي بحبوةٍ لـمُحَرِّقٍ وإتاوةٍ سيقت إلى النعمان
ما أنت وابنَ مُحَرِّقٍ وقبيلِه وإتاوةِ اللخمِي في عَيْلان

ويشك Lyall [77]، في صحة الأبيات المنسوبة إلى عامر بن الطفيل، ملتفتا إلى ملاحظة لأبي الفرج[78] يصف فيها خبر الملاحاة بأنه من بين "أخبار ذكرتها عن ابن الكلبي موضوعة كلها، والتوليد بين فيها وفي أشعارها"، وينقل خبر الملاحاة نفسه في موطن آخر من كتابه (21: 20)، ثم يعلق عليه قائلا "وهذا الخبر من مصنوعات ابن الكلبي، والتوليد فيه بين، وشعره شعر ركيك غث لا يشبه أشعار القوم." وقد يتعزز هذا الشك لدى الانتباه، أولا، إلى المراوحة بين "محرق" و"ابن محرق" في تلك الأبيات، وثانيا، وهو الأهم، إلى عبارة "إتاوة اللخمي"، التي تحدد هوية النعمان في شعر يزيد، متصادمة بذلك مع ما هو ثابت من علاقات بني عامر المتردية مع اللخميين. صحيح أن بني عامر دخلوا مرة في طاعة ملوك الحيرة المتأخرين، لكن ذلك حدث بعد

تطورات سياسية جعلت اللخميين بلا منافس فعلي على النفوذ في أوساط القبائل، ودام فترة قصيرة فقط انتهت في منتصف حكم النعمان بن المنذر. بعد ذلك، عادت العداوة بين بني عامر والحيرة إلى سابق عهدها ووصلت ذروتها في يوم جبلة المشهور. ولهذا، يبدو من غير المحتمل أن يكون النعمان في شعر يزيد هو النعمان اللخمي، لأن يزيد يجعل ولاء بني عامر لمحرق أقدم من ولائهم للنعمان، في حين كانت تبعيتهم للحيرة هي الأقدم. ومع ذلك، تظل الأبيات المنسوبة إلى عامر بن الطفيل جزءا من الدليل على هوية محرق الغسانية. فواضعها يوظف، كما يبدو، معلومات كانت في جعبته عن التحول في ولاء بني عامر السياسي من اللخميين إلى الغساسنة؛ وفي هذه المعادلة، يمثل محرق الطرف الغساني.

ويروي الإصفهاني[79] ليزيد بن عبد المدان مقطوعة أخرى من الشعر، لكنها هذه المرة ذات مستوى فني رفيع؛ وربما كانت من بين ما تم استلهامه في وضع الشعر السابق. ففي هذه المقطوعة يتضح، أولا، أن بني عامر بن صعصعة كانوا حينئذ موالين للغساسنة فعلا، وثانيا، أنهم كانوا في فترة من الفترات قبل ذلك موالين للنعمان بن المنذر. ومن الطريف أن يزيد يعبر عن هذه الحقائق بوصفها شاهدا على معضلة واجهها النعمان بن المنذر مع بني عامر بن صعصعة: قربهم إليه وأسبغ عليهم نعمه، ومع ذلك، خذلوه ومنحوا ولاءهم للغساسنة:

تمالا على النعمانِ قومٌ إليهِمُ ... مَوارِدُه في مُلكِه ومَصادِرُه
على غير ذنبٍ كان منه إليهِمُ ... سوى أنه جادت عليهم مَواطِرُه
فباعَدَهم من كل شرٍ يخافُه ... وقرّبَهَم من كل خيرٍ يُبادرُه
فظنوا وأعراضُ الظنونِ كثيرةٌ ... بأن الذي قالوا من الأمر ضائرُه
فلم يَنقُصوه بالذي قيل شعرةً ... ولا فُلّت أنيابُه وأظافرُه
ولَلحارثُ الجفنيُّ أعلمُ بالذي ... ينوءُ به النعمانُ إن خفّ طائرُه
فيا حارِ كم فيهمْ لنعمانَ نعمةٌ ... من الفضلِ والمنِّ الذي أنا ذاكرُه
ذنوباً عفا عنها ومالاً أفاده ... وعظماً كسيراً قوّمته جوابرُه
ولو سالَ عنك العائبين ابنُ منذرٍ ... لقالوا له القولَ الذي لا يحاورُه

ليس من المناسب الآن الدخول في تحديد الاسم الحقيقي لكل من "محرق" و"ابن محرق" في ضوء الإفصاح عن هوية الملك الغساني الذي يخاطبه يزيد بن عبد المدان، لكن يجدر استرعاء الانتباه، هنا، إلى أن هذا الشعر قيل حول زمن ظهور الإسلام. فيزيد ينتمي إلى جيل البعثة النبوية، إذ صحب النبي صلى الله عليه وسلم وترأس وفد قومه إليه. وما يصدق عليه في هذا الصدد يصدق على عامر بن الطفيل أيضا.

5) **سعد بن زيد مناة.** هناك قواسم استراتيجية مشتركة بين بني سعد ابن زيد مناة، التميميين، وبني عامر بن صعصعة. فكلاهما كان عضوا في الائتلاف القبلي الذي لفقه الأحباش في غربي الجزيرة العربية بالتنسيق مع جستنيان وفوضوا أمره إلى كندة(80)، وكلاهما وجد نفسه مرغما على الدخول في طاعة الحيرة، بعد خروج الأحباش من اليمن، وتصدع علاقة الغساسنة بالروم، وأخيرا، كلاهما تمرد على سلطة الحيرة، وبالنتيجة، خاض حروبا مع حلفائها في المنطقة(81).

إزاء هذا الوضع يمكن أن نفهم بيتا من الشعر في مقطوعة للمخبل السعدي(82) يفتخر فيه بعلاقة قومه المتميزة مع من يسميهم "محرق والحارثان":

ومُحَرِّقٌ والحارثان كلاهما شركاؤنا في الصهر والأموال

ويبدو أن المصادر لا تحتفظ بأية بمعلومات عن صلة المصاهرة تلك؛ أما الشراكة في الأموال فلربما ترمز إلى مناسبات احتاج فيها هؤلاء الملوك إلى عدد كبير من الإبل فأتاح لهم بنو سعد التصرف في أموالهم. وليس هناك مبالغة في فخر المخبل. فهذا البيت يتلو بيتا آخر ينوه فيه المخبل بعلو شأن بني سعد ومكانتهم الرفيعة لدى أبرهة الحبشي بحيث كان يستشيرهم في أمره ويصطحبهم في حروبه:

صَرموا لأبرَهَةَ الأمورَ مَحلَّها حُلُبانُ فانتقلوا مع الأقـوال

وقد ساعدت إشارة المخبل هذه في فك بعض رموز نقشي Glaser 618 وRy 506(83)، اللذين يسجلان أحداث حملتين عسكريتين قادهما أبرهة بنفسه في حضرموت ونجد، على التوالي؛ فقد اتضح أن "سعد" المذكورين نصا في النقش الأول، وضمنا في النقش الثاني، بوصفهم قوة رئيسية في جيش أبرهة، هم بنو سعد بن زيد مناة. وهكذا، إذا كان "الحارثان" ملكين من غسان، وهو ما يؤكده شعر لحاتم الطائي، فلا بد أن يكون محرق ملكا غسانيا أيضا، وذلك بالنظر إلى منطق بيت المخبل، من جانب، وتوجه بني سعد السياسي، من جانب آخر.

ويظهر محرق مرة ثانية في شعر بني سعد، في أبيات منسوبة إلى الزبرقان بن بدر(84)، لكن هذه المرة باسم "ابن ماء المزن"، وهو اللقب الذي يستخدمه الممزق العبدي في قصيدته المقتبسة آنفا. وهنا، أيضا، تتجلى صورة العلاقة الحسنة بين الطرفين:

وبردا ابنِ ماءِ المزنِ عمي اكتساهما بفضلِ مَعَدّ حيثُ عُدّت مَحاصلُه
رآه كرامُ الناس أولاهمْ به ولَم يَجِدوا في غيرهمْ من يعادلُه

وهذا المعنى نفسه يردده الفرزدق في الإسلام، حين يقول ممتدحا بني سعد بن زيد مناة[85]:

لهُمْ وهبِ النعمانُ بُرْدَ مُحَرِّقٍ بمَجْد مَعَدَ والعديدِ المُحَصَل

وكما هو الحال في عموم المواطن التي يذكر فيها النعمان في الشعر الجاهلي، نجد الشراح يدعون هنا بأنه النعمان بن المنذر اللخمي. لكن صورة العلاقة بين بني سعد وملوك الحيرة المتأخرين تحول دون قبول هذا الادعاء، وتوجب القول إن المقصود، هنا، هو النعمان بن الحارث الغساني، المذكور بهذه الصيغة في شعر لزهير بن أبي سلمى يمدح به حصن بن حذيفة الفزاري[86]:

أبي الضيمَ والنعمانُ يَحرقُ نابَه عليه فأفضى والسيوفُ مَعاقِلُه

6) دارم. على النقيض من بني سعد التميميين، كان إخوتهم بنو دارم حلفاء أقوياء للحيرة. وقد عبر هذا الحلف عن نفسه بجلاء شديد في يوم جبلة، وفيما تلاه من أحداث، وهو ما يتردد صداه في شعر أوس بن حجر التميمي[87]. لكن العلاقة بين الطرفين انقلبت رأسا على عقب في أواخر حكم النعمان بن المنذر، وانقلبت معها علاقة بني دارم بمن حولهم من القبائل. ففي حين اندلعت الحرب بينهم وبين القبائل الموالية للحيرة، كأسد وغطفان والرباب، فقد تغلبوا على خلافاتهم العميقة مع بني عامر ابن صعصعة ودخلوا معهم في حلف وثيق، على الرغم من أن دماءهم ما زالت تنزف من سيوف بني عامر، كما يقول بشر بن أبي خازم[88].

وهكذا، في ضوء هذا التحول في ارتباط بني دارم السياسي نستطيع أن نفهم بعض الإشارات إلى محرق في شعرهم، وبالتحديد، إشارة ترد في نقيضة للفرزدق[89] ضد جرير، وهو من كليب ثم من بني يربوع التميميين، وتتضمن افتخارا بالحلل التي كان يخلعها الملوك على سادة قومه:

وإنَّ ثيابَ الملكِ في آلِ دارمٍ وهمْ ورثوها لا كليبُ النواهقِ
ثيابُ أبي قابوسَ أورثها ابنهُ وأَوْرثَنَاها عنْ ملوكِ المشارق
وإنا لتجري الخمرُ بينَ سَراتنا وبينَ أبي قابوسَ فوقَ النمارقِ
لدنْ غدوةٍ حتى نروحَ وتاجهُ علينا وذاكي المِسكِ فوقَ المفارقِ
كليبُ وراءَ الناسِ ترمى رؤوسَها عنِ المجدِ ما تدنو لِبابِ السُرادقِ
وإنَّ ثيابي منْ ثيابِ مُحَرِّقٍ ولمْ أستعرْها منْ مَعاعٍ وناعقِ

إن كنية "أبي قابوس" في البيت الثاني من شأنها أن تمثل هزة كبيرة تنسف البحث الحالي من قواعده، لو كان المقصود بها النعمان بن المنذر اللخمي كما هو الاعتقاد الشائع في المصادر.

لكن البيت نفسه، لحسن الحظ، يتضمن في ذاته ما يستحيل معه أن يكون النعمان بن المنذر هو المقصود بهذه الكنية هنا. فالفرزدق واضح في قصده أن الذي خلع الثياب الملوكية على بني دارم هو ابن أبي قابوس وليس أبا قابوس نفسه، وأن ابنه هذا أحد ملوك المشارق، وأنه حاز تلك الثياب بعد وفاة أبيه. ومن الحقائق التاريخية الثابتة أن النعمان بن المنذر لم يعقب ملوكا، وأنه كان آخر ملوك آل نصر، وأن الفرس حين أقصوه عن الحكم في مطلع القرن السابع للميلاد، فوضوا شؤون الحيرة لإياس بن قبيصة الطائي، يديرها بالاشتراك مع حاكم فارسي الأصل، ثم في سنة 611م أسندوا إدارة الحيرة بالكامل إلى هذا الحاكم الفارسي الأصل(90). صحيح أن يزدجرد الثالث حين تولى العرش في سنة 632م بحث عن سليل للمناذرة، يقال أحيانا إنه ابن للنعمان بن المنذر يسمى "المنذر"، وطلب منه أن يستعيد ملك آبائه(91)، لكن هذه المبادرة كانت محاولة يائسة لاحتواء زحف النفوذ الإسلامي، ولم يكتب لها النجاح، وسقطت الحيرة في السنة نفسها في يد المسلمين.

إن إشارة الفرزدق تلك حرية بأن تحدث خلخلة في الدراسات الخاصة بتاريخ الجزيرة العربية وأدبها قبل الإسلام. فـ"أبو قابوس" كنية ترد كثيرا في الشعر الجاهلي، ولم يشك أحد أبدا، قديما ولا حديثا، في أنها للنعمان ابن المنذر حصرا؛ وعلى هذا الأساس فهمت المرويات الجاهلية ذات العلاقة، من أشعار وأخبار، وتحددت ارتباطاتها القبلية والسياسية. وإلى أن تأتي دراسة تتصدى لهذه القضية فتعيد النظر في تلك المرويات وتحقق في كنية "أبي قابوس"، في ضوء بيت الفرزدق، لترى ما إذا كان النعمان بن المنذر قد تكنى بها هو الآخر حقا-- إلى أن تأتي دراسة من هذا النوع، يمكن أن نشير هنا إشارة سريعة إلى موطن واحد فقط من مواطن عديدة يصعب فيها التعامل مع "أبي قابوس" على أنه ملك لخمي. فالمتلمس الضبعي، مثلا، يقول في إحدى قصائده مخاطبا ناقته(92):

لن تسلكي سبلَ البوباةِ مُنجدةً　　　ما عاش عمرو وما عُمِّرْتَ قابوسُ

فهو يأبى أن يركب ناقته مرتحلا صوب نجد ما دام كل من عمرو وقابوس على قيد الحياة. ومن الواضح أن المتلمس لا يتحدث، هنا عن ملكين لخميين، وذلك بكل بساطة لأن قبيلته عبد القيس كانت بأسرها تقيم بالبحرين، ومن ثم، لا صلة لنجد بوجهته إلى الحيرة؛ وما دام الأمر كذلك فهو يقسم بألا يرحل إلى ملكين مقيمين في الشام. وهذا يذكرنا بقصيدة الممزق العبدي، أعلاه، في إشارته إلى جو بوصفها من بين الأماكن التي أناخ فيها ناقته وهو في طريقه إلى "ابن ماء المزن وابن محرق".

فالفرزدق، إذن، إنما يتحدث عن ملوك من آل جفنة حين يذكر أبا قابوس والنعمان ومحرق؛ وما دام ينسب ثياب الملك في الموطن نفسه، إلى "أبي قابوس" مرة، وإلى "محرق" مرة أخرى،

فمن المؤكد أن "أبا قابوس" كنية لمحرق. ووصفه هؤلاء الملوك بأنهم "ملوك المشارق" وصف مسوغ؛ فهو يصدق على الفترة التي وطد فيها بنو دارم علاقتهم بالغساسنة، وهي فترة تقع في عامتها بعد إقصاء اللخميين عن الحكم، حين خلت الجزيرة العربية من عائلات متوجة إلا من آل جفنة[93].

وهكذا، إذا كان محرق يظهر بمظهر الولي والمنعم والمتفضل في شعر قبائل ارتبطت بعلاقات وثيقة مع الغساسنة، فينبغي أن يكون، في هذه الحالة، ملكا غسانيا.

علاقة عداء

1) أسد. إن العداء المستحكم بين بني أسد والغساسنة واضح تماما في شعر الشعراء الأسديين، مثل عبيد بن الأبرص، وبشر بن أبي خازم وعمرو ابن شأس. وهذا العداء واضح أيضا في شعر النابغة الذبياني. وإذا كان شعراء بني أسد يتغنون بانتصاراتهم على الغساسنة، غير قادرين، في الوقت نفسه، على منع انتكاساتهم من أن تطل برأسها في استحياء في بعض أشعارهم، فإن النابغة الذبياني[94] يقدم صورة واضحة عن هذه الانتكاسات، وعن شدة التقتيل والتشريد، فضلا عن ذل الإسار والسباء، مما كان يحل ببني أسد، حلفاء قومه ذبيان، نتيجة لحملات العقاب التي كان يشنها الغساسنة ضدهم.

ويظهر محرق في شعر بني أسد مرة واحدة فقط، لكنها كافية للدلالة على هذه العلاقة المتردية مع الغساسنة. ففي "الأشباه والنظائر"[95] يروي الخالديان، من غير شرح أو تعليق، مقطوعة لـ "أعرابي من بني أسد"، تجري على النحو التالي:

يا قبرُ بين بيوت آل مُحَرِّقٍ جادت عليك رواعِدُ وبُروقُ
هل تنفعنَك دمنة مرعيةٌ فيها أداءُ أمانةٍ وحُقوقُ
ذهبتْ بك الأيامُ عنّا بعدما كادتْ بك الأرضُ الفضاءُ تضيقُ
حتّى السماءُ فكنت قربَ نجومِها ولئن بلغتَ نجومَها لحقيقُ

ويروي الإصفهاني[96] البيت الأول من المقطوعة نفسها متبوعا ببيت آخر لا يرد في رواية الخالديين، وهو:

أما البكاءُ فقَلَّ عنك كثيرُه ولئن بُكِيتَ فالبكاءُ حقيقُ

ويروي الإصفهاني أيضا[97] بيتا من قصيدة أخرى كان ابن جامع يغني بها، وبالشعر السابق؛ والبيت يقول:

يا قبرُ بين بيوتِ آلِ مُحَرِّقٍ عفا طرَفُ القُرَيَّةِ فالكثيبُ

ثم يقول، أي الأصفهاني: "الشعر لرجل من بني أسد يرثي خالد بن نضلة ورجلاً آخر من بني أسد كانا نديمين للمنذر بن ماء السماء، فقتلهما في سخطه عليهما، وخبر ذلك مشهور."

والخبر المشهور الذي يشير إليه الأصفهاني هو ما يذكره الأخباريون في تفسير بناء الغريين، وهما طربالان كالصومعتين بظاهر الكوفة، يرد اسمهما في سياق تدوين أحداث تعود إلى فترات مختلفة في الإسلام، من فتح العراق حتى بداية الخلافة العباسية. والواقع أن هناك روايات عديدة حول سبب بناء هذين الغريين؛ وفي كل منها يتجلى عمل الخيال ونزعة الأسطورة، بحيث تبدو مناقشتها بلا طائل. فهي تتفق فقط في أن باني الغريين ملك من الملوك، وفي أنه شيدهما على قبرين لرجلين قتلا، ثم تختلف، بعد ذلك، اختلافا واسعا في التفاصيل: في هوية الملك، وفي هوية الرجلين المقتولين، وفي سبب القتل. ومع أن كل الروايات تقريبا تجعل الملك عراقيا، مع اختلافها في هويته بين جذيمة الأبرش والمنذر الثالث بن ماء السماء وابنه عمرو وحفيده النعمان– وهو أمر طبيعي، أي القول بعراقية الملك، بالنظر إلى مكان الغريين– فهناك رواية منعزلة تسند بناء الغريين إلى الغساسنة. فابن الأثير[98] يذكر أن الذي بنى الغريين هو الحارث بن أبي شمر الغساني، وأنه بناهما على قبرين لولدين له قتلا غدرا في يوم عين أباغ؛ إذ سار إلى الحيرة بعد أن انتصر في هذا اليوم، كما يقول ابن الأثير، "فأنهبها وأحرقها ودفن ابنيه بها وبني الغريين عليهما."

وهذا العنصر الغساني في قصة الغريين يظهر مرة أخرى في "ذيل اللآلئ". فالميمني[99] يعلق على الرواية الشائعة التي تجعل لعبيد بن الأبرص الأسدي مكانا في القصة، فتذكر أنه زار ملك الحيرة (المنذر\ عمرو\ النعمان) فيما يسمى "يوم بؤسه"، فقتله الملك "وغرى بدمه الغريين"-- يعلق عليها بقوله: "ويروى الخبر لعبيد مع أبي كرب الغساني".

والملاحظ أن روايات الغريين تفتقر، حتى في خطوطها العريضة، إلى أي شعر يؤيدها، سواء أكان هذا الشعر، في ظاهره، صحيحا أم موضوعا. لكن ليست هناك قصص في تاريخ العرب قبل الإسلام من نسج الخيال بالكامل. فوجود الغريين قرب الكوفة يفسر نزوع الروايات عموما إلى تأطير القصة بإطار لخمي؛ والعلاقة الوثيقة بين بني أسد والحيرة تفسرعدم تعمد الملك اللخمي قتل الزعيمين الأسديين وتفسر أيضا ندمه على فعلته حين أفاق من سكرهِ. ولأن بناء طربالين على قبرين عمل ينطوي على تشريف لصاحبيهما، فقد كان لا بد للعنصر الغساني في القصة أن يظهر في الصورة التي ظهر فيها: الحارث بن أبي شمر يفقد ولدين له في حرب مع ملك الحيرة، فيحملهما على ظهر بعير ويسير بهما مئات الأميال ليدفنهما بالحيرة بعد أن يحرقها– وهو خيال

يستثمر كما يبدو إشارة عدي بن زيد، في بعض الشعر المنسوب إليه[100]، إلى رجل يغير على الحيرة فيحرق فيها.

لكن ما الذي يمكن إعادة تركيبه من ذلك كله؟ إن قصة الغريين تنطلق أساسا من محاولة تفسير بضعة أبيات قيلت في رثاء سيدين من بني أسد[101]، يدعي الأخباريون أنهما صاحبا الغريين. وهذه الأبيات هي:

ألاَ بَكَـر النَّـاعِي بخَيْـرِ بنــي أسَــدْ	بعمرو بنِ مسعودٍ وبالسَّيِّدِ الصَّمَد
فمـــن كـــانَ يَعْيَـــا بالجـــوابِ فإنَّـــه	أبو مَعقلٍ لا حَجْرَ عنه ولا صدَدْ
أثـــارُوا بصَـــحراء الثويـــة قَبـــرَه ومـــا	كنتُ أخْشَى أن تناءى به البَلَدْ

إذا كانت هناك صلة حقا بين المرثيين في هذه الأبيات، من جهة، و"محرق" المذكور في الأبيات السابقة المنسوبة إلى "أعرابي من بني أسد"، من جهة أخرى، فالأولى أن تفسر هذه الصلة في ضوء العداوة التي كانت مستفحلة بين بني أسد والغساسنة. وينبغي ألا يحول دون هذا التفسير ذكر "صحراء الثوية"، الواقعة قرب الحيرة، إذ تبدو هذه العبارة مضافة في وقت لاحق حتى يتوافق النص مع مسرح قصة الغريين. ففي رواية ثعلب للبيت تحل "الرسيس" محل "الثوية"؛ و"الرسيس" واد في نجد لبني كاهل من بني أسد، حسب ابن دريد[102]؛ و"القُرَية"، المذكورة في شعر أعرابي بني أسد، وردت في شعر منسوب إلى امرئ القيس بوصفها من مواضع جبل أجأ[103]، وعند هذا الجبل كانت منازل أسد تجاور منازل طيئ.

والشراح يعدون "السيد الصمد" رجلا آخر غير عمرو بن مسعود (مع أن الرثاء في الأبيات اللاحقة يخص عمرو بن مسعود وحده)، ثم يختلفون فيه: هل هو خالد بن المضلل أم خالد بن نضلة؛ لكن هذا الاختلاف غير ذي قيمة هنا، منذ أن كان الرجلان، كما تدل أخبارهما، قد نشطا في أواخر القرن السادس للميلاد وأوائل السابع، وضلعا في ثارات بني أسد مع الغساسنة وحلفائهم في نجد؛ وهو ما يصدق أيضا على عمرو بن مسعود[104].

وهكذا، يبدو من المؤكد أن الإشارة في الأبيات السابقة إلى "قبر بين بيوت آل محرق"، والإشارة إلى مقتل "عمرو بن مسعود والسيد الصمد" ترتبطان كلاهما بأحداث العداوة بين بني أسد والغساسنة[105]. ومن المؤكد، بالطبع، أن الشاعرين لا يتحدثان عن مناسبة واحدة، بصرف النظر عما يدعيه الأخباريون، وذلك لأن أحدهما يرثي سيدا مدفونا "بين بيوت آل محرق"، والآخر يرثي سيدين (إن لم يكن سيدا واحدا) مدفونين في ديار بني أسد. أما المدفون بين بيوت آل محرق، فإما أن يكون رهينة وضعه بنو أسد لدى آل محرق ضمانة لالتزامهم باتفاق

عقدوه معهم، فقتله هؤلاء، وهو الأرجح، وإما أن يكون أسيرا أخذه آل محرق في غزوة ضد بني أسد، ثم قتلوه بعد أن أخفقت المفاوضات لإطلاق سراحه. ومهما يكن من أمر، فكل الأدلة تشير إلى أن آل محرق هؤلاء ملوك من الغساسنة.

2) يربوع. بطن قبلي كبير يؤلف مع بني دارم وحلفائهم البراجم عامة فرع حنظلة التميمي. ومع أن قبيلي يربوع ودارم قاتلا في صف واحد في يوم جبلة فإن تاريخهما في الجاهلية يدل على أن وحدتهما لم تعد قائمة بعد تأرجح سلطة اللخميين في نجد، وأن كلا منهما ظهر بعد يوم جبلة مستقلا عن الآخر، وأنهما ظلا كذلك حتى جاء الإسلام فاتحدا من جديد. في الواقع، يدل خبر "الردافة"(106)، وما يتصل به من انتصار بني يربوع بطخفة، كما يقال، على جيش يقوده أمراء من الحيرة، على تردي علاقة اليربوعيين ببني دارم(107). وخبر الردافة مثقل بالمبالغات، على أية حال، وهو على العموم مضطرب ومتناقض(108)، ومن المحتمل جدا ألا يكون للحيرة أدنى صلة به ولا بيوم طخفة؛ ولعل قيمته الوحيدة تكمن فيما يحتويه من دليل على الانقسام في صفوف بني حنظلة.

فيوم طخفة وقع بعد زمن من يوم جبلة، كما يستدل من الأشعار المتصلة به. أي أنه وقع بعد أن انسحب بنو دارم، برئاسة حاجب بن زرارة، من ائتلاف الحيرة القبلي في نجد، وعقدوا حلفا مع بني عامر، ودخلوا بذلك في معسكر الغساسنة كما تشير الأدلة، أعلاه. وبما أن بني دارم كانوا ممثلين في الجيش الذي أغار على بني يربوع بطخفة، كما نفهم من معلومة للبلاذري موثقة بالشعر(109)، فإن هذا الجيش لا بد أن يكون غسانيا؛ وهذا الاستدلال يتعاضد، في ضوء ما انكشف من الانتماء الغساني لأبي قابوس، مع أبيات لزيد بن عمرو الرياحي (من بني يربوع) يقدم فيها يوم طخفة على أنه انتصار على أبي قابوس:

وكنتُ إذا ما بابُ ملْكٍ قَرَعْتُه	قرعتُ بآباءٍ أُولي شرفٍ ضخم
بأبناءِ يربوعٍ وكان أبوهُمُ	إلى الشرف الأعلى بآبائه يَنْمي
هُمُ ملكوا أملاكَ آل مُحَرِّقٍ	وزادوا أبا قابوس رغماً على رغم
وقادوا بِكُرهٍ من شهابٍ وحاجب	رؤوسَ مَعَدٍّ بالأزِمّةِ والخُطم
علا جدُّهم جدَّ الملوك فأَطلقوا	بطِخفَةَ أبناءَ الملوكِ على الحكم

و"أبناء الملوك" هؤلاء الذين يدعي زيد بن عمرو أن بني يربوع أطلقوهم وفقا لشرط اشترطوه إنما هي إشارة إلى أسر أمير اسمه قابوس، كما يفهم من قصيدة لشاعر آخر من بني يربوع في يوم طخفة(110):

قَسَطْنا يوم طِخْفَةَ غيرَ شكٍ	على قابوسَ إذْ كُرِه الصياحُ

وشعر اليربوعيين هذا يذكرنا بشعر الفرزدق آنف الذكر الذي يذكر فيه الحلل الملوكية التي ورثها ابن أبي قابوس عن أبيه، فخلعها على سادة بني دارم. وكما ظهر أبو قابوس في شعر الفرزدق ملقبا بـ "محرق"، فهو يتخذ اللقب نفسه في شعر زيد بن عمرو، كما هو واضح. وهذا يعني أن الشاعرين يتحدثان عن ملك واحد. فإذا كان هذا الملك غسانيا في شعر الفرزدق، فهو غساني في شعر زيد بن عمرو بالضرورة.

ومن الجدير بالملاحظة أن تضارب موقفي بني دارم وبني يربوع من محرق يظهر جليا في نقائض جرير والفرزدق. ففي حين يقدم الفرزدق صورة مشرقة للعلاقة بين قومه ومحرق، فإن جريرا، وهو من يربوع، يلح في التغني بانتصارات قومه على محرق، وذلك من نحو قوله(111):

ونحنُ صدعْنا هامةَ ابنِ محرِّقٍ فما رقأَتْ بعدُ العيونِ الدَّوامعُ

وقوله(112):

ونحنُ ضربنا هامةَ ابن محرِّقٍ كذلكَ نعصَى بالسُّيوفِ الصَّوارِمِ

وقوله(113):

سبَوا نسوةَ النَعمانِ وابني محرِّقٍ وعمرانَ قادُوا عُنوةً بالخزائمِ

وحسب التحليل الحالي، ينبغي أن يكون "النعمان"، في هذا البيت الأخير، ملكا غسانيا، هو على الأرجح النعمان بن الحارث، ممدوح النابغة الذبياني. أما "نسوته"، فإن لم يكن جرير يبالغ في الحديث عن إنجازات بني يربوع في يوم طخفة، فمن الأرجح أنه يشير إلى نساء كن في الجيش الغساني، بصرف النظر عن حقيقة نسبهن.

3) الرِّباب. وهو اسم لحلف من قبائل صغيرة تنحدر من أد بن طابخة، يضم ضبة بن أد، إلى جانب تيم، وعدي، وعوف، وثور، أبناء عبد مناة بن أد. وهذا هو الشكل الذي ظهر فيه حلف الرباب في التنظيمات الاجتماعية في الإسلام(114). ومن الطريف أن حلف الرباب كان موجها ضد تميم، كما يدعي علماء النسب؛ والمقصود بتميم، هنا، بنو دارم أساسا. وتشير الأدلة إلى أن نشوءه يرتبط بالأحلاف القبلية التي ظهرت بعد يوم جبلة، حين تحالف بنو دارم مع بني عامر بن صعصعة ضد القبائل الموالية للحيرة(115). وقد جاءت أحداث يومي النسار والجفار لتؤكد ولاء قبائل الرباب للحيرة، وبالضرورة، عداءها للغساسنة. يضاف إلى ذلك أن بني ضبة ظهروا في بعض

الأخبار، الموثقة بالشعر[116]، موكلين بحراسة قوافل النعمان بن المنذر المتاجرة في عكاظ، ومنغمسين، بسبب ذلك، في ثارات مع بني عامر بن صعصعة.

ويمثل محرق في شعر الرباب حالة خاصة، من حيث إن هناك رواية تنسبه إلى آل جفنة، خارجة بذلك عن المنهج المألوف لدى الأخباريين في نسبة محرق، حيثما ذكر في الشعر، إلى آل نصر. وليست هذه الرواية بلا سند قوي، على أية حال. فهي ترد في خبر "يوم بزاخة"[117]. وملخص هذه الواقعة أن ملكا غسانيا يدعى الحارث بن عمرو جمع جيشا كبيرا من إياد وتغلب وغيرهم من قبائل العرب "فمر ببني تميم فاستقبلوه وأعطوه الإتاوة،.... ثم مر ببني ضبة فأرادهم على أن يؤدوا مثل ذلك فأبوا،" وقاتلوه وعلى رأسهم زيد بن حصين بن ضرار الضبي، فأسروه وأسروا أخا له ثم قتلوهما. وفي هذا الانتصار يقول العائف الضبي، كما جاء في الخبر:

نِعْمَ الفوارسُ يوم جيش مُحَرِّقٍ لَحِقوا وهم يُدْعَوْن يالَ ضِرارِ
زيدُ الفوارِس كَرَّ وابنا مُنْذِرٍ والخيلُ يَطْعُنُها بَنُو الأَحْرارِ

ويبدو أن تصور الأخباريين ليوم بزاخة مبني أساسا على شعر للفرزدق، يذكر فيه مناقب أخواله من بني ضبة، ومنها انتصارهم على محرق وأخيه وقتلهما يوم بزاخة[118]:

ومحرِّقاً صفدوا إليه يمينَه بصِفادِ مُقتسرٍ أخوه مُكَبَّلُ
مَلَكان يوم بُزاخةَ قتلوهما وكلاهما تاجُ عليه مُكَلَّلُ

لكن إشارة الفرزدق، هنا، إلى أسر محرق ينبغي أن تفهم بشيء من التوسع حتى تستقيم مع سائر الأدلة؛ إذ يبدو أن الفرزدق يطلق على أبناء محرق لقب أبيهم. فشعر بني ضبة المتعلق بالحادثة لا يتضمن ما يدل من قريب ولا بعيد على أن محرقا قتل في الحادثة. في الواقع، ربما دل هذا الشعر على أن محرقا لم يشهد القتال أصلا. فالعائف الضبي، في بيتيه السابقين، يذكر تصدي بني ضبة لما يصفه بـ "جيش محرق"، وهي عبارة تعني أن محرقا كان صاحب الجيش، دون أن يكون قائده بالضرورة. والأهم من ذلك أن عياض السيدي، وهو من بني ضبة أيضا، يستخدم، في التغني بالمناسبة نفسها، عبارة "يزجيها الهمام محرق"[119]:

ومِنّا حُماةُ الجَيْش ليلةَ أقبلت إيادٌ يُزجّيها الهُمَامُ مُحرِّقُ

ومِنّا حُماةُ الجَيْش ليلةَ أقبلت إيادٌ يُزجّيها الهُمَامُ مُحرِّقُ

وهذه العبارة تدل على أن "محرقا" لا يقود الجيش، بل يقف خلفه يدفعه ويسوقه، أي هو الذي جهزه وأرسله.

وفي الإسلام، افتخر ذو الرمة[120] بالإنجاز نفسه، كما يبدو، فقال:

أخذنا على الجفرين آل مُحَرِّقٍ   ولاقى أبو قابوس منا ومنذرُ

ومن الواضح أن ذا الرمة يتحدث عن أسر بعض آل محرق وعن المكروه الذي أصاب أبا قابوس ومنذرا بسبب ذلك. ويذكر أبو البقاء[121] أن الملكين المأسورين في يوم بزاخة افتديا نفسيهما؛ فإذا كانت معلومته دقيقة، فمن المرجح أن بني يربوع وبني ضبة يتغنيان في الأشعار السابقة بانتصار مشترك أحرزوه في المنطقة التي تقع فيها طخفة وبزاخة والجفرين، وهي أماكن متجاورة.

أما الدليل على أن هؤلاء الملوك من آل جفنة فعلا، فيمكن التماسه في قصيدة استشفاع موثوقة[122] منسوبة إلى عبد الله بن عنمة الضبي، أنشدها في حضرة من يدعوه "الحارث الحراب"، وهو ملك ظهر بهذا الاسم في مواطن أخرى في الشعر الجاهلي. فبعد أن يؤكد عبد الله بن عنمة طول باع الحارث الحراب وقدرته على الوصول إلى أعدائه، مهما بعدت بلادهم، وإلحاق الهزيمة بهم، يعتذر إليه عن عصيان "معاشر" من بني ضبة، واصفا إياهم باللؤم والغش، ومصورا كيف يرسفون في إساره وهم في أرذل حالة:

كَفاكَ الإلهُ إذْ عَصاكَ مَعاشِرٌ   ضِعافٌ قليلٌ لِلعدُوِّ عَتادُهَا
صُدُورُهُمُ شَنَاءَةٌ فَنفاسَةٌ   فلاَ حُلَّ مِنْ تلكَ الصُّدُورِ قَتادُهَا
بأَيديهِمُ قَرْحٌ منَ العَكْمِ جالِبُ   كما بانَ في أَيْدِي الأُسارَى صِفادُهَا
قدِ اصْفَرَّ من سَفْعِ الدُّخانِ لِحَاهُمُ   كمالاحَ من هُدْبِ المُلاَءِ جِسادُهَا
لِئامُ مُبِينٌ لِلْعَشِيرَةِ غِشُّهُمْ   وقد طالَ من أَكلِ الغِثاثِ افْتِئَادُهَا

ويعد هذا المنطق من التقاليد المتبعة في المجتمع القبلي في الجزيرة العربية عند الطلب إلى الملك، أو صاحب الشأن، أن يمن على القبيلة التي غزاها بأن يطلق سبايها وأسراها إكراما لمن لم يتورط منها في عصيانه أو يقترف جناية في حقه. ومن غير المهم الآن أن نعرف متى أوقع الحارث الحراب ببني ضبة: أكان ذلك قبل يوم بزاخة أم بعده، لكن المهم أن تاريخ هذه الحادثة يعود إلى وقت قريب من ظهور الإسلام، لأن عبد الله بن عنمة الضبي، كما يخبرنا ابن حجر[123] صحب النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد القادسية، ولأن من ذكروا الحارث الحراب سوى عبد الله بن عنمة، وهم لبيد بن ربيعة[124] وحاتم الطائي[125] والعوام بن شوذب الشيباني[126]، نشطوا حول ظهور الإسلام، ومنهم من أسلم وعاش ردحا من الزمن في الإسلام.

وهكذا، يتضح في ضوء المناقشة السابقة أن محرقا ملك غساني. فجميع الأدلة المستنبطة من الأشعار ذات الصلة بالغساسنة عموما، وبمحرق خصوصا، تشير إلى وضع لا يمكن أن يكون

محرق فيه إلا ملكا غسانيا. فهو يظهر في صورة مشرقة في شعر القبائل ذات الارتباط الغساني، وفي المقابل، يظهر في صورة مظلمة في شعر القبائل ذات الارتباط اللخمي[127]. وليس هناك في الأدلة المتاحة أية فجوة مهما صغرت يمكن أن ننفذ منها إلى احتمال أن تكون الحقبة التاريخية التي سبقت ظهور الإسلام قد شهدت أي ملك عرفته القبائل بلقب "محرق" غير محرق الغساني.

ثالثا: محرق هو الحارث الأصغر

الآن، من هو الملك الغساني الملقب بـ "محرق"؟ للإجابة عن هذا السؤال، ينبغي في البداية إرساء بعض الثوابت، أولها اعتماد نتائج نولدكه حول تسلسل ملوك الغساسنة المتأخرين وتقدير فترات حكمهم. والمراد بملوكهم المتأخرين أولئك الذين حكموا منذ أواخر القرن السادس للميلاد بعد رأب الصدع الذي أصاب علاقة آل جفنة ببيزنطة في أعقاب ثورة المنذر ابن الحارث بن جبلة وابنه النعمان. ومع أن تقييم نولدكة لسير علاقات الغساسنة ببيزنطة ولفاعلية مملكتهم في أعقاب تلك الثورة قد خضعت لمراجعة جذرية عموما، فإن نتائج تحرياته الخاصة بتعاقب ملوكهم وفترات حكمهم لم تزل موضع تقدير. وقد أجرى نولدكه تحرياته إزاء سيل من الروايات المضطربة والمتناقضة، ووصل إلى نتائج أكد قيمتها عرفان شهيد، أبرز الباحثين الغربيين في تاريخ العلاقات البيزنطية العربية.

وثاني هذه الثوابت يتعلق بزمن الأشعار التي ظهر فيها محرق بوصفه على رأس الحكم في مملكة الغساسنة. فهذه الأشعار تعود جميعها إلى عشية ظهور الإسلام، أي إلى الجيل السابق لجيل البعثة النبوية. وللتدقيق أكثر، فإنها تعود إلى مرحلة ما بعد يوم جبلة؛ وقد وقع هذا اليوم في وقت مبكر من تسعينيات القرن السادس للميلاد على أقدم احتمال، دعك من التواريخ المبكرة جدا التي يقترحها كل من أبي عبيدة وابن الكلبي[128].

وثالث هذه الثوابت يتصل بعبارة "آل محرق". فقد ظهرت هذه العبارة كثيرا في الأشعار ذات العلاقة، سواء في معرض الحديث عن أعمال حربية أو في معرض الدعوة إلى الاعتبار بفناء ذوي النفوذ والسلطان. وعلى أساس هذه العبارة، يتحتم أن يكون محرق مؤسسا لعائلة مالكة، أي ملكا انحدر من صلبه ملوك.

بناء على الثوابت السابقة، تتقلص الاحتمالات حتى تقتصر مبدئيا على ثلاثة ملوك هم الحارث الأصغر وولداه النعمان وعمرو، اللذان حكما بعده على التوالي. فالحارث الأصغر، وهو أحد ممدوحي النابغة الذبياني، حكم في تسعينيات القرن السادس للميلاد واستمر حكمه حتى نهاية ذلك القرن أو مطلع القرن اللاحق[129]؛ وبما أن هناك وثائق، لم تكن متاحة لنولدكه، تثبت أن ملكا اسمه جفنة كان يتولى أمور الغساسنة ما بين أواخر ثمانينيات القرن السادس وأوائل

تسعينياته[130]، فإن حكم الحارث الأصغر لم يبدأ قبل أوائل التسعينيات تلك. أما النعمان وعمرو فقد توليا الحكم بالتتابع بعد أبيهما مباشرة. ومع أنه يتعذر تحديد فترة حكم كل منهما، فيمكن القول باطمئنان، اعتمادا على معلومة مهمة ترد في شعر النابغة الذبياني[131]، إن عمرا كان مملكا في أواسط العقد الأول من القرن السابع للميلاد؛ ومن المرجح أن حكمه امتد حتى الاجتياح الفارسي لسوريا في سنة 613م[132]، وذلك لأن له شهرة واسعة في المصادر لا تتحقق للحاكم في الأحوال الطبيعية إلا إذا طالت سنوات حكمه.

هذه المعلومات عن كل من النعمان وعمرو حرية بأن تلغي احتمال أن يكون أي منهما صاحب لقب "محرق". فالنعمان، قبل كل شيء، يكنى "أبا حجر"، كما ورد في شعر النابغة[133]، في حين أن محرقا كان يكنى "أبا قابوس"، كما ظهر أعلاه. والنعمان أيضا لم يعقب ملوكا، كما تشير الأدلة. وربما كان حجر المذكور في شعر حسان بن ثابت[134] هو ابنه الذي يكنى به، وربما كان أخاه، لكن حسانا، على أية حال، إنما يذكره بوصفه ملكا يحكم مع "عمرو" من "جبل الثلج إلى جانبي أيلة"؛ وهذه الإشارة ينبغي أن تفهم على أن حجرا، مهما كان نسبه، إنما كان يحكم تابعا لعمرو (بن الحارث). وقد يضاف إلى ذلك أن اسمي "النعمان" و"محرق" وردا معا في شعر عدد من الشعراء الإسلاميين، مثل الفرزدق[135] وجرير[136]، والعديل ابن الفرخ[137]، في صياغة تدل على أنهما متغايران.

وعمرو هو الآخر ذو كنية تختلف، إذ يمكن الاستنتاج من رواية للميمني[138] وشعر لعبيد بن الأبرص (Lyall 25: 4- 5) أن كنيته كانت "أبا كرب". وهو لم يعقب ملوكا أيضا. وإذا كان الاجتياح الفارسي لسوريا قد وضع حدا لحكمه وغيب مملكة الغساسنة نحو عقد من الزمان، فإن هذه المملكة، حين عادت من جديد[140]، تولاها ملوك لا ينحدرون من صلبه، كما يبدو. ومهما يكن من أمر، فإن الشعر الذي ظهرت فيه عبارة "آل محرق" يعود على الأرجح إلى فترة أقدم. فقط، هناك إشارة في شعر الضبيين أعلاه قد تحمل، للوهلة الأولى، على الظن بأن محرقا هو عمرو بن الحارث؛ وهي قول ربيعة بن مقروم الضبي:

ويوم تخَمَّط الملْكُ ابنُ عمروٍ ويوم تخَمَّط الملْكُ ابنُ عمروٍ

فالذي قتله الضبيون، كما يرد في أشعارهم، هو أحد أبناء محرق. فإذا كان ربيعة بن مقروم يشير، هنا، إلى هذا المقتول، فلا بد أن يكون محرق هو عمرو بن الحارث. لكن ربيعة ربما يشير إلى حادثة أخرى قتل فيها أحد أبناء عمرو بن الحارث، أو أنه يشير، وهو الأرجح، إلى أحد أبناء محرق، فينسبه إلى جده بدلا من أبيه كما يحدث كثيرا في المرويات الجاهلية، أو لضرورة الشعر.

وفي مقابل عدم احتمال أن يكون محرق هو النعمان بن الحارث أو أخاه عمرا، فإن الأدلة تشير بقوة إلى أنه أبوهما، الحارث الأصغر. فالفرزدق، في شعره المقتبس أعلاه، يذكر في موطن أن ابن محرق أسبغ على بني دارم ثيابا ملوكية ورثها عن أبيه، ويذكر في موطن آخر أن النعمان أسبغ على بني بهدلة، من بني سعد، بُرْدا من برود محرق. وسواء كان الفرزدق يستحضر مناسبة واحدة تم فيها الإنعام على سادة قبائل، منهم دارميون وسعديون، بنوافل من تركة محرق او مناسبتين مختلفتين، فمن الواضح من شعره أن النعمان ابن لمحرق. فإذا كان النعمان هذا، كما مر آنفا، هو النعمان بن الحارث الغساني، فإن محرقا، إذن، هو أبوه، الحارث الأصغر.

ومن الجمع بين شعر للنابغة وآخر للممزق العبدي، يمكن أن يظهر دليل شبه مباشر على أن محرقا هو الحارث الأصغر. فالنابغة، في رثائه للنعمان بن الحارث الأصغر(141)، يستحضر غزوات هذا الأخير لقبائل ربيعة وتميم في شرقي الجزيرة العربية؛ والممزق العبدي، من جانبه، في شعره المقتبس أعلاه، يقف في حضرة من يدعوه "ابن محرق" معلنا الولاء له والطاعة، وطالبا منه أن يصدر أوامره لقائد جيشه بالعدول عن غزو قومه من عبد القيس. فإذا كان النابغة والممزق يخاطبان ملكا غسانيا واحدا، فلا بد أن يكون محرق، إذن، هو الحارث الأصغر.

وهناك دليل شبه مباشر آخر، يمكن أن يلتمس في قصيدة للنابغة الذبياني ينشدها بين يدي من يدعوه "ابن محرق"، إذ يقول، في رواية للمدائني ينقلها الإصفهاني(142):

إلى ابنِ مُحَرِّقٍ أعملتُ نفسي وراحلتي وقد هدأت عيونُ
أتيتك عارياً خلَقاً ثيابي على خوفٍ تُظَنّ بي الظنونُ
فألفيتُ الأمانةَ لم تخنها كذلك كانَ نوحُ لا يخونُ

فقصائد النابغة في ملوك الغساسنة، وعددها تسع عشرة قصيدة، تكاد تقتصر على النعمان بن الحارث وأخيه عمرو(143). صحيح أنه اتصل بأبيهما الحارث أيضا، وهو ما صرح به في شعره، وقال فيه القصيدة رقم 34 في ديوانه، وربما أيضا القصيدة رقم 15، لكن سائر قصائده تلك قيلت في النعمان وعمرو، وأكثرها في هذا الأخير. والمزاج السائد في القصيدة النونية، أعلاه، يجعلها أقرب إلى قصائده في عمرو؛ وهي قصائد تمثل المرحلة التي أصلح فيها بنو يربوع بن غيظ، قوم النابغة، خلافاتهم مع سادة ذبيان وعادوا، من ثم، إلى منازل قبيلتهم بعد بضعة أعوام قضوها لاجئين في بني عذرة(144). فهذه القصائد تشف عن ملامح جفاء بينه وبين الغساسنة، تظهر أحيانا وتتوارى أخرى، تعبيرا عن علاقة الذبيانيين المترددة معهم.

أما تعليق الجاحظ على البيت الثالث من الأبيات السابقة بأنه "من منحول شعر النابغة"(145) فينبغي ألا يؤثر في هذا الدليل. فالجاحظ يقيم حجته على أساس جدلي، إذ من غير المحتمل، من

وجهة نظره، أن يضرب النابغة، وهو واحد من فحول الشعر، المثل بأمر طبيعي لا نقاش فيه كترفع نوح عن الخيانة. لكن هذه الحجة غير مقنعة، لأن غاية النابغة ليست ضرب المثل بقدر ما هي خلع صفة الأنبياء على الملك الغساني. ومهما يكن من أمر، فحكم الجاحظ يقتصر على هذا البيت، دون سائر القصيدة.

ويمكن أن ينضاف إلى الأدلة الثلاثة السابقة دليل رابع يرد في شعر منسوب إلى يزيد بن عبد المدان الحارثي، ومذكور آنفا. ففي موطن من هذا الشعر، يذكر يزيد تبعية بني عامر بن صعصعة لملوك الغساسنة، مشيرا إلى الإتاوة التي كانوا يؤدونها لمحرق ثم أصبحوا يؤدونها للنعمان؛ ثم في موطن آخر، يحذر ملكا يدعوه "الحارث الجفني" من نفاق بني عامر وغدرهم، كاشفا بذلك عن علاقة هؤلاء الوطيدة بالغساسنة. وسواء أكان هذا الحارث الجفني محرقا نفسه، أم واحدا من أبنائه أو أحفاده تولى مسؤولية الإشراف على القبائل في عهد ابنيه النعمان وعمرو، فمن الواضح من الإشارة المباشرة إلى تولي النعمان الحكم بعد محرق أن هذا الأخير هو الحارث الأصغر. وعلى هذا الأساس، يمثل شعر يزيد أقوى دليل على الهوية الحقيقية لمحرق؛ لكن الأخباريين طمسوا معالم هذا الدليل حين قالوا إن النعمان في ذلك الشعر هو ملك الحيرة النعمان بن المنذر.

وأخيرا، من الجدير بالملاحظة أن عبارة "آل محرق" تناسب الحارث الأصغر تماما. فهو وأولاده وأحفاده هم الذين حكموا مملكة الغساسنة وأداروا علاقاتها مع البيزنطيين والقبائل طوال عقدين من الزمان أو أكثر-- من العقد الأخير من القرن السادس للميلاد إلى منتصف العقد الثاني من القرن السابع، في الأقل. وقد حفظ الشعر أسماء ثمانية ملوك وامراء من نسله، هم قابوس والنعمان وعمرو والمنذر وحجر والحارث وعامر وعمران، ولا شك في أن الأسماء التي لم تصل إلينا عن طريق الشعر أكثر من تلك التي وصلت؛ ومن الطبيعي أن نعتقد أن من حكموا بعده من أبنائه كان يسندون كثيرا من مهامهم ووظائفهم إلى أبناء وإخوة لهم. وهكذا، يمكن أن نتصور كيف تصدق عبارة "آل محرق" على نسل الحارث الأصغر، فعلا.

وفيما يتعلق بنسب الحارث الأصغر، يرى نولدكه[146] أنه ابن للحارث الأكبر بن جبلة، الذي انتهى حكمه في سنة 568م، لكن من غير أن يقدم دليلا على ذلك سوى ما جاء في شعر النابغة من إشارة تنسب ممدوحه النعمان الغساني إلى الحارث الأصغر، وقبله، إلى الحارث الأكبر. لكن هذه الإشارة ليست كافية، إذ لا تعني بالضرورة أن الحارث الأكبر هو الجد الأول للنعمان: ربما كان جده الثاني وليس الأول، وهو الصحيح، كما يبدو. فحاتم الطائي[147]، وقد نشط عشية الإسلام، يبعث بقصيدة إلى ملك غساني يسميه "الحارث بن عمرو"؛ والمصادر، من جهة ثانية، تروي أحداثا قريبة من ظهور الإسلام، يبرز فيها ملك غساني اسمه الحارث منسوبا إلى أبي شمر أحيانا، وإلى عمرو أحيانا أخرى؛ وابن حزم[148]، من جهة ثالثة، يعدد أسماء أبناء الحارث بن

جبلة، فيجعل منهم ملكا اسمه "أبو شمر"؛ ومن مصدر آخر(149) نعرف أن النعمان الغساني، ممدوح النابغة، هو ابن الحارث ابن أبي شمر. يضاف إلى ذلك كله أن تولي النعمان بن المنذر بن الحارث ابن جبلة حكم الغساسنة في وقت مبكر من ثمانينيات القرن السادس كان يعني قدوم فترة في تاريخ آل جفنة انتقل فيها حكم هؤلاء من أبناء الحارث ابن جبلة إلى أحفاده. وهذه الحقائق مجتمعة توفر أساسا قويا للاعتقاد بأن الحارث الأصغر هو حفيد للحارث الأكبر، وأن اسمه الحارث الأصغر بن عمرو أبي شمر بن الحارث الأكبر بن جبلة.

وهكذا، أصبح واضحا الآن أن "محرقا" هو الملك الغساني الحارث الأصغر، الذي حكم عشية الإسلام، وأن هذا الحارث الأصغر هو، على الأرجح، الحارث بن عمرو أبي شمر بن الحارث الأكبر بن جبلة. وهذا النسب يعيدنا إلى الرواية التي تقول إن "محرقا" لقب أطلق على أول ملوك آل جفنة في الشام، وهو الحارث بن عمرو بن جفنة بن عمرو بن عامر مزيقياء. فهذه الرواية تشتمل على بعض الحقيقة، من جانب، وتعبر عن فهم لاحق، من جانب آخر. أي أن الرواة، بسبب ظهور لقب "محرق" في الشعر الجاهلي مسبوقا بكلمة "آل"، فهموا أن صاحب هذا اللقب هو الحارث بن عمرو مؤسس العائلة الغسانية المالكة، وليس الحارث بن عمرو، أحد الملوك المتأخرين من آل جفنة(150).

هذه النتيجة، في حين تتطلب إجراء مراجعة للأحكام المتعلقة بالجوانب القبلية في تاريخ الملوك المتأخرين من اللخميين والغساسنة على حد سواء، فإنها تحتم إعادة النظر في الارتباط السياسي لكثير من القصائد الجاهلية.

"Muharriq": From Historians' Interpretations to Poetic Renderings

Irsan Ramini, *Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

This article questions the common belief that the royal nickname "muharriq", which widely occurs in pre-Islamic poems, was used for different kings from different royal Arab families. It argues that as far as poetry is concerned, "muharriq" belonged to one and sole king, and that this king was the Ghassanid al-Harith the junior (al-asghar), who ruled towards the end of the sixth century. To prove this assumption, the article first

examines the poetic materials where muharriq appears in a context that may encourage readers to identify him as a Lakhmid king. It, then, examines the rest of poetic materials where commentators identify muharriq as a Lakhmid king but on no basis whatsoever. In both cases, the examination illustrates that muharriq was not possibly a Lakhmid but a Ghassanid king. Subsequently, the article clarifies the very identity of this Ghassanid muharriq and concludes that he is al-Harith alAsghar b. 'Amr Abi Shamir b. al-Harith al-Akbar b. Jabala. In view of this conclusion, the political connection of many pre-Islamic poems is to be reconsidered, let alone long standing concepts of the tribes' relations with both Lakhmid and Ghassanid kingdoms in the last phases of their history.

قدم البحث للنشر في 2007/12/23 وقبل في 2008/4/10

الهوامش

1- انظر راميني، "عمرو بن هند في الشعر الجاهلي"، حيث يثبت الباحث أن عمرو ابن هند هذا ليس ابن المنذر بن ماء السماء، بل اسما لملكين، أحدهما لخمي والآخر غساني، نشطا في أواخر القرن السادس وأوائل السابع.

2- ابن حمدون 7: 391.

3- ابن منظور، "حرق".

4- 2: 334.

5- "جفنة الأكبر بن النعمان الأكبر بن الحارث بن مارية، وهو المعروف بـ "محرق"، وهو الذي أحرق الحيرة وبه سموا "آل محرق" (1: 22). أصل الرواية في الطبري (1: 1021) مسندة إلى أبي عبيدة لكن دون ذكر لقب "محرق".

6- مقتبسة في .Olinder 73

7- حول هذا النقش، انظر علي، جواد 3: 189- 194.

8- Ryckmans 275ff.

9- مقتبس في .Shahid, *Byzantium* 554, 557

10- أبو البقاء 1: 115.

11- ابن منظور "حرق".

12- طبري 1: 1021.

13- 5- 6.

14- 46f.

15- مفضليات 3: 212.

16- 3: 188.

17- في الواقع، يرى Wellhausen، في تفسير تصوري، أن محرقا اسم لصنم في مكان يدعى "سلمان" في الصحراء العراقية، كانت تتعبد له قبائل ربيعة، وأن اللقب، على هذا الأساس، قد يكون لملك درج على التقرب لذلك الصنم بذبح القرابين، فسمي "محرقا" لهذا السبب، لأنه لو كان للأمر صلة بالنار والإحراق لجاء اللقب مقترنا بـ "أل" التعريف (مقتبس في علي، جواد 3: 189).

18- أوس بن حجر ق22: 2.

19- لباب الآداب 114.

20- مثلا: ابن قتيبة، معارف 146؛ أبو البقاء 1: 116.

21- مثلا: Massignon, "Mission en Mesopotamie;" Bassete, "Les Alixares de Grenade et le Chateau de Khawarnaq;" Meissner, "Eine Reise von Babylon nach den Ruinen von Hira und Huarnaq."

22- حموي، "الخورنق".

23- ق 33: 14.

24- "أنقرة".

25- 86.

26- 11.

27- ورد ذلك في ص 238 س4 من كتابه.

28- مدخل "خورنق"

29- ق 34: 33.

30- انظر حموي "أنقرة".

31- ق 26ب: 8- 9.

32- مثلا: ابن سلام، 1: 124؛ إصفهاني 5: 6.

33- Rothstien, *Lahmiden*.

34- 3: 178. في مقال عنه في الموسوعة الإسلامية، لا يشك Arazi في أن هذه هي الرواية الصحيحة.

35- حول هذه الأرقام ومناقشتها، انظر Nallino 167-73

36- سجستاني 75، 31، على التوالي.

37- أصبهاني، تاريخ أصبهان 73. تقدير الأصمعي، حسب Nallino (167-8) هو 230 سنة، لكنNallino لا يشير إلى مصدره.

38- قارن الجعدي ق93: 2.

39- 172.

40- *EI*. "al-Nabigha al-Ja'di"

41- لعل المنذر هذا هو من بعث إليه النبي أحد رسله يدعوه إلى الإسلام في رواية ابن إسحق عبر الطبري (1: 1568) "قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب، أخا بني أسد بن خزيمة إلى المنذر ابن الحارث بن أبي شمر الغساني، صاحب دمشق."

42- ق26ب: 12- 14.

43- انظر راميني، ارتباط (304- 306) حيث نوقشت ورفضت الرواية الخاصة بتعاون بني عامر مع النعمان بن المنذر لحماية طريق القوافل بين الحيرة ومكة، وهي الرواية التي تذكر في مقدمات الحديث عن حرب الفجار.

44- ق26ب: 77- 78.

45- رقم 58.

46- انظرها، مثلا، في ابن عبد ربه 2: 263.

47- زبيدي، "أكل"

48- بصري 1: 369.

49- شعر 1: 399.

50- أصمعي 165 هامش 9.

51- حموي، "جو".

52- ق 11: 17.

53- ابن الكلبي 2: 3.

54- ق 77: 1- 7.

55- راميني، ارتباط.

56- ق22: 11- 15.

57- بيت 63.

58- أنباري 44: 8.

59- السابق 9: 40.

60- حموي، "الوريعة".

61- أنباري، ق 12.

62- قارن ابن رشيق 967، حيث يرى أن الدروع "تنسب إلى فرعون... وداود وسليمان وتبع ومحرق، يريدون بها القدم وجودة الصنعة."

63- ق: 9، 26.

64- ق 3: 43.

65- 19: 26

66- 2: 53.

67- *EI*., "Zuhayr b. Djanab"

68- سجستاني 31.

69- إصفهاني 19: 17.

70- أعلاه، هامش 8.

71- *EI*, "Zuhayr b. Djanab".

72- 4: 481 يوردها البكري (معجم، "الطائف") منسوبة إلى الأجش بن مرداس، ويورد بعدها لكنانة مقطوعة أخرى؛ وكلا الشاعرين من ثقيف.

73- راميني، ارتباط.

74- رقم 7735.

75- رقم 549.

76- إصفهاني 12: 9- 15.

77- .159

78- 10: 40.

79- 12: 14- 15.

80- انظر: .Ramini, *Origins* ch. 2; Shahid 154ff

81- راميني، ارتباط.

82- معيني 131.

83- لفك هذه الرموز في ظل شعر المخبل، انظر راميني، حلقة مفقودة 63- 8؛ Kister, Campaign 432ff.

84- ابن معصوم، أنوار 4: 324.

85- ق 459: 27.

86- ق 3: 43.

87- Ramini, *Origins* 41- 42, 45

88- ق 2: 27-28.

89- ق 371: 4- 9.

90- .Rothstein 119f

91- ابن أعثم 48. ولهذا السبب يختم ابن الكلبي قائمته الخاصة بملوك الحيرة باسم المنذر بن النعمان (طبري 1: 1039).

92- ق 4: 12.

93- مع عدم استثناء كندة، التي مزقتها النزاعات الداخلية بعد انتقالها من البحرين إلى اليمن في أواخر القرن السادس للميلاد (Lecker, Kinda 334-6).

94- ق 4: 12- 16.

95- 1: 86.

96- 5: 212.

97- 22: 86.

98- 1: 542.

99- 91.

100- ق25: 1.

101- جاحظ، بيان 1: 180.

102- حموي "الرسيس".

103- ق 10: 5- 6.

104- راميني، حجر.

105- يذكر حاتم الطائي، متحسرا، مقتل من يسميه "ابن مسعود" في مكان يدعوه "المعزاء" (ق 63)؛ فإذا كان حاتم يقصد عمرو بن مسعود نفسه، ففي هذه الإشارة دليل آخر على الصلة الغسانية للحادثة، نظرا لعلاقة قوم حاتم المتردية بالغساسنة (انظر راميني، ارتباط).

106- نقائض 66، 298-9.

107- Ramini, *Origins* 42ff

108- Rothstein 113

109- 918.

110- السابق.

111- ق 28: 58.

112- ق 47: 31.

113- ق 48: 54.

114- Ramini, Early composition 870

115- راميني، ارتباط.

116- بلاذري 830.

117- بلاذري 832. وهو غير اليوم الذي انتصر فيه خالد بن الوليد على مرتدي أسد وغطفان والذي يحمل الاسم نفسه.

118- ق 456: 38- 39.

119- جاحظ، بيان 3: 21.

120- ق16: 40.

121- 1: 539.

122- مفضليات 116: 11- 15.

123- مدخل 6334

124- ق 40: 31.

125- جمال 187.

126- ابن عبد ربه 5: 195.

127- قد يضاف إلى هذه القبائل الأخيرة بنو الغوث الطائيين، قوم حاتم الطائي (انظر راميني، ارتباط.

128- Ramini, *Origins* 39.

129- اعتمادا على ما توصل إليه نولدكه (43) من أن النعمان بن الحارث الأصغر، الذي خلف أباه على الغساسنة، حكم في العقد الأول من القرن السابع.

130- Shahid, *Byzantium* 554-7.

131- راميني، نابغة 144-5.

132- ربما إلى ذلك يلمح حسان بن ثابت حين يذكر مقتل "عمرو وحجر" في البيت 8 من القصيدة 73.

133- ق 22: 23.

134- ق 153: 8.

135- ق 459: 27.

136- ق 48: 54.

137- ابن المبارك ق367: 25.

138- 91.

139- ق 25: 4-5.

140- يرى نولدكه، في المقابل، أن مملكة الغساسنة كانت قد تلاشت أو تفككت عراها بعد الاجتياح الفارسي لسوريا؛ لكن هناك ما يدعو إلى التحفظ حول هذا الرأي، إذ بعث النبي عليه السلام رسولا إلى "المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني، صاحب دمشق" (انظر أعلاه، هامش 41)، وظهر الغساسنة أيام الفتح الإسلامي قوة كبيرة تقاتل إلى جانب الروم تحت راية جبلة بن الأيهم (انظر الطبري، مستعينا بالفهارس)

141- ق 22: 11- 15.

142- 11: 22. رواية البيت الأول في الديوان (ق 75: 30) تختلف، إذ تجري على هذا النحو: "تأوبني بيعملة اللواتي منعن النوم إذ هدأت عيون"؛ وتبدو لغتها غير مقنعة وصلتها بما بعدها ضعيفة. أضف إلى ذلك أن القصيدة في الديوان تقدم على أنها في النعمان بن المنذر اللخمي.

143- راميني، نابغة 146-7.

144- راميني، نابغة 135-6.

145- حيوان 2: 246.

146- 38.

147- جمال 185.

148- 372.

149- ابن منظور، "حجر".

150- فإذا كان ما يقال، في إطار الرواية السابقة، من أن الحارث بن عمرو هو "أول من حرق العرب في ديارهم (ابن منظور "حرق") ليس إضافة لاحقة، فإنه يعني نفي لقب "محرق" عن أي ملك آخر من ملوك العرب قبل الإسلام، غير الحارث بن عمرو الذي حكم في نهاية القرن السادس للميلاد.

الأعمال المقتبسة

العربية

الأسود بن يعفر. (1970). **الديوان**. تحقيق نوري حمودي القيسي. بغداد: مديرية الثقافة العامة.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله. (1931). **تاريخ أصبهان**. تحقيق سفن ديدرنج. ليدن: بريل.

الإصفهاني. أبو الفرج علي بن الحسين. (1974). **الأغاني**. القاهرة: دار إحياء التراث العربي.

الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب. (1955). **الأصمعيات**. تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون. بيروت: د ن.

الأعشى، ميمون بن قيس. (1983). **الديوان.** تحقيق محمد محمد حسين. ط7. بيروت: مؤسسة الرسالة،.

ابن أعثم، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي. (1968- 1975). **كتاب الفتوح.** حيدرأباد: دائرة المارف.

امرؤ القيس بن حجر. (1984). **الديوان.** تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار المعارف.

الأنباري، أبو محمد القاسم بن محمد. (1920). **المفضليات.** تحقيق تشارلز ليال. بيروت: مطبعة الآباء اليسوعية.

أوس بن حجر التميمي. (1967). **الديوان.** ط2. تحقيق محمد يوسف نجم. بيروت: دار صادر.

البصري، صدر الدين علي بن أبي الفرج. (1999). **الحماسة البصرية.** تحقيق عادل سليمان. القاهرة: مكتبة الخانجي.

أبو البقاء، هبة الله الحلي. (2000). **المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية.** تحقيق صالح درادكة ومحمد خريسات. عمان: مكتبة الرسالة الحديثة.

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز. (1951). **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع.** القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد. (1997). **لباب الآداب.** تحقيق أحمد حسن بسج. بيروت: دار الكتب العلمية.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (1985). **البيان والتبيين.** تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (1969). **الحيوان.** تحقيق عبد السلام هارون. ط3. بيروت: المجمع العلمي العربي الإسلامي.

جرير بن عطية. (1996). **الديوان.** تحقيق نعمان طه. القاهرة: دار المعارف.

جمال، عادل سليمان. (1990). **ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره.** ط2. القاهرة: مكتبة الخانجي.

الجمحي، أبو عبد الله محمد بن سلام. (1974). **طبقات فحول الشعراء**. تحقيق محمود محمد شاكر. القاهرة: مطبعة المدني.

الحارث بن حلزة اليشكري. (1991). **الديوان**. تحقيق إميل يعقوب. بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن حجر، أحمد بن علي. (2002). **الإصابة في تمييز الصحابة**. اعتناء حسان عبد المنان. عمان: بيت الأفكار الدولية.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد. (1982). **جمهرة أنساب العرب**. تحقيق عبد السلام هارون. ط5. القاهرة: دار المعارف.

حسان بن ثابت. (1971). **الديوان**. تحقيق وليد عرفات. كيمبرج: أمناء سلسلة جب التذكارية.

ابن حمدون، محمد بن حسن. (1996). **التذكرة الحمدونية**. تحقيق إحسان عباس وبكر عباس. بيروت دار صادر.

الحموي، ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله. (1957). **معجم البلدان**. بيروت: دار صادر.

الخالديان، أبو بكر محمد بن هاشم وأبو عثمان، سعيد بن هاشم. (1965). **الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين**. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.

ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله. (1967). **المسالك والممالك**. ليدن: بريل.

الخزرجي، علي بن الحسين. (1911). **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**. تصحيح وتنقيح محمد عسل. القاهرة: مطبعة الهلال.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (1981). **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**. بيروت: دار الفكر.

دعبل الخزاعي. (1997). **وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان ابن هود**. تحقيق نزار أباظة. بيروت: دار صادر،.

الذهبي، شمس الدين محمد بن محمد. (1985). **سير أعلام النبلاء**. ج3. تحقيق العرقسوسي وصاغرجي. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ذو الرمة، غيلان بن عقبة العدوي. (1993). **الديوان**. تحقيق عبد القدوس أبو صالح. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الراميني، عرسان حسين. "الارتباط السياسي لشعر بشر بن أبي خازم الأسدي". "**دراسات**"، الجامعة الأردنية. 36: 2: 298- 318.

الراميني، عرسان حسين. "حجر بن أم قطام: قراءة تاريخية في ديوان عبيد ابن الأبرص". مرسل للنشر في "**المجلة العربية للعلوم الإنسانية**".

الراميني، عرسان حسين. (1999). "حلقة مفقودة في تاريخ مملكة كندة". **المنارة**. 4: 1: 53-77.

الراميني، عرسان حسين. (2004). "النابغة الذبياني: في علاقته باللخميين وشعره في الغساسنة". **المجلة العربية للعلوم الإنسانية** 85: 125- 161.

ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني. (2000). **العمدة في صناعة الشعر ونقده**. تحقيق النبوي شعلان. القاهرة: مكتبة الخانجي.

زبيدي، مرتضى أبو الفيض محمد. (1986). **تاج العروس من جواهر القاموس**. الكويت: وزارة الإعلام.

زهير بن أبي سلمى. (-199). **الديوان**. تحقيق عمر فاروق الطباع. بيروت: دار الأرقم.

السجستاني، أبو حاتم سهل بن محمد. (1961). **المعمرون والوصايا**. تحقيق عبد المنعم عامر. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

الطبري، محمد بن جرير. (1879- 1901). **تاريخ الرسل والملوك**. تحقيق دي غوي وآخرين. ليدن: بريل.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله. (1960). **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**. تحقيق علي البجاوي. القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.

ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد. (1983). **العقد الفريد**. ط2. تحقيق أحمد أمين وآخرين. بيروت: دار الكتاب العربي.

عدي بن زيد العبادي. (1965). **الديوان**. تحقيق محمد المعيبد. بغداد: دار الجمهورية.

علي، جواد. (1976). **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**. بيروت وبغداد: دار العلم للملايين ومكتبة النهضة.

الفرزدق، همام بن غالب التميمي. (1992). **الديوان**. تحقيق مجيد طراد. بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. (1966). **الشعر والشعراء**. تحقيق أحمد محمد شاكر. القاهرة: دار المعارف.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. (1960).**المعارف**. تحقيق ثروت عكاشة. القاهرة: مطبعة دار الكتب.

ابن الكلبي، هشام بن محمد. (-198). **نسب معد واليمن الكبير**. تحقيق محمود العظم ورياض مراد. دمشق: دار اليقظة العربية.

العامري، لبيد بن ربيعة. (1993). **الديوان**. تحقيق حنا الحتي. بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن المبارك، محمد بن المبارك. (1999). **منتهى الطلب من أشعار العرب**. تحقيق محمد طريفي. بيروت: دار صادر.

المتلمس، جرير بن عبد العزى الضبعي. (1970). **الديوان**. تحقيق حسن الصيرفي. القاهرة: معهد المخطوطات العربية.

ابن معصوم، صدر الدين علي بن أحمد المدني. (1968). **أنوار الربيع في أنواع البديع**. النجف: مطبعة النعمان.

المعيني، عبد الحميد محمود. (1982). **شعر بني تميم في العصر الجاهلي**. بريدة: نادي القصيم الأدبي،.

ابن منظور. جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم. (1968). **لسان العرب**. بيروت: دار صادر.

الميمني، عبد العزيز. (1936). **سمط اللآلئ** (معه إضافة "الذيل"). القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.

النابغة الجعدي. (1998). **الديوان**. تحقيق واضح الصمد. بيروت: دار صادر.

النابغة الذبياني. (1985). **الديوان**. ط2. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار المعارف.

نولدكه، تيودور. (1933). **أمراء غسان من آل جفنة**. ترجمة بندلي جوزي وقسطنطين زريق. بيروت: المطبعة الكاثوليكية.

ابن هشام، أبو محمد جمال الدين عبد الملك. (2001). **السيرة النبوية**. تحقيق مصطفى السقا وآخرين. بيروت: المكتبة العلمية.

الأجنبية

Basset, R. (1906). "Les Alixares de Grenade et le Chateau de Khawarnaq". *Revue Africaine*, cclx,

The Encyclopaedia of Islam (*EI*). New ed. Leiden and London, (1960-).

Kister, M. J. (1965). The Campaign of Huluban: a new light on the expedition of Abraha. *Le Museon (Revue D'etudes Orientals Tijdschrift Voor Orientalisme)*, (78): 425-436.

Lecker, M. (1994). "Kinda on the eve of Islam and during the Ridda". *Journal of the Royal Asiatic Society,* 4 iii: 333-356.

Lyall, Ch. (1913). *The Diwans of ´Abid Ibn al-Abras, of Asad, and ´Amir Ibn at-Tufail, of ´Amir Ibn Sa´sa´ah*. Leyden: Brill.

Massignon, L. (1910). "Mission en Mesopotamie". *MIFAO* xxviii: 36-7.

Meissner, B. (1901). "Eine Reise von Babylon nach den Ruinen von Hira und Huarnaq". Syndschriften der Deutschen Orient-Gesellschaft, no. 2, 19.

Nallino, C.A. (1934). "Al-Nabighah al-Ga'di e le sue poesi". *Rivista degli studi orientali,* 14: 135-190.

Olinder, G. (1927). "The Kings of Kinda". *Lunds UniversitetsArsskrift*, 23.

Ramini, I.H. (1989). *The Tribe of Tamim and the Origins of the Early Crisis in the Caliphate*. Ph.D. thesis. Cambridge University.

Ramini, I.H. (2001). "The Early composition of the Muslim army at Basra". *Dirasat*. 28: supplement: 869- 872.

Rothstien, G. (1899). Die Dynastie der Lahmiden in al-Hira: Ein Versuch zur arabisch-persischen Geschichte zur Zeit der Sasaniden. Berlin: Reuther u. Reichard,.

Ryckmans, G. (1953). "Inscriptions sud-Arabes". *Le Museon (Revue D'etudes Orientals Tijdschrift Voor Orientalisme)* 66: 163-187.

Shahid, I. (1989). *Byzantium and the Arabs in the sixth century*. Washington, D.C.: Dumbarton Oaks Research Library and Collection,.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 6 العدد 2، 2009، ص ص 371- 408

الفضائيات العربية الإسلامية .... تقريب أم تغريب

حاتم علاونة* و عزت حجاب **

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على دور الفضائيات العربية الإسلامية في التقريب أو زيادة الفرقة بين المسلمين من وجهة نظر النقابيين في محافظة إربد، والتعرف على حجم التعرض لهذه الفضائيات ودوافع هذا التعرض والإشباعات المتحققة منه.

وتعد هذه الدراسة من الدراسات الوصفية التي استخدمت المنهج المسحي، الذي تم تطبيقه على عينة تكونت من (376) نقابياً يمثلون النقابات السبع الأعضاء في مجمع النقابات المهنية بإربد.

ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة أن غالبية النقابيين يتعرضون للفضائيات الإسلامية، وأن الذين ينتمون للأحزاب الإسلامية جاءوا في مقدمة النقابيين الذين يتعرضون لهذه الفضائيات.

وأعرب غالبية النقابيين عن رضاهم عن مستوى البرامج والموضوعات التي تقدمها هذه الفضائيات، وأن غالبيتهم يرون أن مستوى المصداقية فيما تطرحه مرتفع، وبالتالي فإنها حظيت بثقة 92.7% من النقابيين.

وأكدت النتائج أن النقابيين يرون أن الفضائيات الإسلامية ساهمت في خدمة قضايا المسلمين، وكان لها دور في التقريب بينهم، وأنها عملت على عرض صورة إيجابية عن الإسلام والمسلمين، من خلال خطابها الإعلامي الذي حظي بالقبول والاستحسان.

المقدمة:

حرصت العقيدة الإسلامية على أن تكون العلاقات المقامة بين أفراد المجتمع المسلم مبنية على أسس دينية، ليكون هذا المجتمع اهلاً لخلافة الله في الأرض، وليكون لهذا البناء الفاعلية في تقدم المجتمع ورقيه في مختلف مناحي الحياة الإنسانية، ويبعث فيه روح العمل للسمو بالإنسان، في معارفه ومداركه وجوهر حياته إلى ما يقربه من هذه العقيدة.

فقد أراد الله سبحانه وتعالى أن تكون العلاقة عقدية حتى بين الأب والإبن، رغم قوة هذه العلاقة من حيث الأبوة والبنوة، ويتضح ذلك عندما طلب نوح عليه السلام من الله سبحانه وتعالى

---

* قسم الصحافة، كلية الاعلام، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

** قسم الاذاعة والتلفزيون، كلية الاعلام، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

أن ينقذ ابنه من الغرق "ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وأن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح". [1]

ولا بد من وجود عوامل جذب لتثقيف المسلم وتوعيته بأموره الحياتية والدينية، سيما وأن مجتمعاتنا الإسلامية تعيش في حالة من القلق والتوتر، نظراً لوجود تيارات فكرية واجتماعية واقتصادية، تهدد الإنسان وتعصف بأفكاره، وتسعى للتأثير عليه لاجتثاث المسلم من واقعه وتغريبه عن هويته الإسلامية، لذلك فإن الأمة الإسلامية وهي تحاول النهوض تحتاج إلى مجموعة من المقومات والأدوات.

ويأتي الإعلام ليمثل ركناً أساسياً في قضية الاصلاح والتطوير والتغيير التي تشهدها المجتمعات الإسلامية، ووسيلة ضرورية في التوعية والتثقيف والتربية بأمور الدين والحياة.

وقد تزايد الوعي بأهمية الإعلام الإسلامي خلال العقود الثلاثة الماضية، فصدرت العديد من الصحف الدينية، وانطلقت العديد من القنوات الفضائية المتخصصة في الإعلام الاسلامي، كقناة "إقرأ" الفضائية التي تعد أول فضائية عربية إسلامية تأسست في عام (1998)، حتى وصل عددها اليوم إلى أكثر من (40) فضائية عربية إسلامية.

إن وجود قنوات فضائية إسلامية قد مثَّل مصدراً بديلاً للمعرفة الإسلامية والفتوى الدينية، وهي مدعوة لتقديم إعلام عربي هادف ومميز، يلبي حاجة المشاهد من خلال مجموعة من البرامج الجادة التي تلامس حياة الناس، وتتناول اهتماماتهم الروحية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وتشبع رغباتهم من منظور اسلامي، وتقدمها برؤية عصرية.

ولا يجب أن يقتصر دور الفضائيات الإسلامية على قضايا معينة تحققها لهذا المجتمع أو ذاك، لأنها كرافد من روافد الإعلام العربي، يجب أن يكون لها دورها في كل قضية من قضايا الإنسان المسلم، سواء كانت هذه القضايا عقائدية أو اقتصادية أو سياسية وما إلى ذلك.

ويرى العاني أن أهداف الإعلام الإسلامي تتمثل بالسعي إلى تحقيق ما يلي: [2]

1- التفسير والتوضيح والإرشاد والتوجيه وفق القيم والمبادئ الإسلامية.

2- هدف عقائدي: فقد انتشرت عقائد مذهبية وأيديولوجيات متباينة، الأمر الذي يتطلب من وسائل الإعلام أن تفسر وتوضح للناس ما يجب أن تكون عليه حياتهم السياسية والأخلاقية واعتقادهم في شؤون الدين والحياة.

3- التثقيف والتعليم: وذلك من خلال نشر وتأهيل الثقافة الإسلامية فكراً وسلوكاً، ونشر المبادئ الإسلامية والأخلاق الرفيعة ومحاربة الثقافات المنافية لقيم وتعاليم نظم الإسلام.

4- خلق مجتمع متعارف من خلال ما تقدمه من قضايا اجتماعية وأنشطة إنسانية وخبرات فكرية وسلوكية شريفة، وذلك من خلال تكريم ما كرم الله ورسوله ونبذ ما نبذ الله ورسوله.

5- الإسهام في إرساء قواعد التقويم على أساس تكريم المخلصين والمنتجين ونبذ الكسالى والمفسدين، وقبول الأعمال الصالحة واحتكار الفاسدة.

6- الإسهام في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

7- الإسهام في تحقيق عوامل الاستقرار والأمن والرخاء للمجتمع.

والسؤال الذي يطرح نفسه يتمثل بهذا الكم الكبير من الفضائيات العربية الإسلامية، التي تعود في مرجعياتها إلى أفراد، أو شركات، أو أحزاب إسلامية، أو حركات إسلامية، أو مذاهب إسلامية، وما إلى ذلك من جهات وأطراف تعرض أفكارها ومعتقداتها ومواقفها من خلال هذه الفضائيات.

ومع أن العديد من الدراسات الإعلامية المتخصصة أشارت إلى أن البرامج الدينية لا تحظى بنسبة عالية من المشاهدين. فالمشاهد العربي يقبل على مشاهدة الاخبار والبرامج الحوارية والمسلسلات والأفلام والبرامج السياسية أكثر من إقباله على مشاهد البرامج الدينية(3)، إلا أن الملاحظ أن هناك وفرة في المحطات الفضائية الإسلامية التي تبث البرامج الدينية وغير الدينية، مما يخلق نوعاً من التشويش لدى المتلقي العربي والمسلم، لكثرة هذه الفضائيات وتباين مواقفها ومعتقداتها من القضايا العربية الإسلامية سواء كانت جوهرية أو ثانوية.

إن وجود قنوات فضائية متخصصة أمر مرغوب فيه، ومطلوب إعلامياً واجتماعياً وثقافياً، فهناك القنوات الإخبارية والقنوات الاقتصادية والرياضية والفنية والنسائية وما إلى ذلك من قنوات، مما يحتم وجود قنوات إسلامية متخصصة لأهميتها في حياة الفرد والمجتمع، قنوات تحمل رسالة الاسلام، وتكون محافظة وجريئة في الطرح والحوار في الحدود الدنيا التي صانها الاسلام وباركها المجتمع، لأن وجودها أصبح من الضروريات بسبب الأوضاع التي تعيشها المجتمعات العربية والإسلامية.

الإطار النظري للدراسة

تعتمد هذه الدراسة على نظرية الاستخدامات والإشباعات التي تهتم بدراسة الاتصال الجماهيري دراسة وظيفية منظمة. ويرجع استخدام هذه النظرية إلى ثلاثينيات القرن الماضي عندما أجريت دراسات على قراءة الكتب وقراءة المجلات، للتعرف على أسباب استخدام الناس لوسائل الإعلام، والنتائج التي تترتب على ذلك.

إلا أن الدراسات التي أجريت في الثلاثينيات والأربعينيات تعرضت إلى انتقادات تمثلت في أنها تشابهت في استخدام نفس المنهج، الذي اعتمد على الأسئلة المفتوحة للمبحوثين حول الإشباعات التي تقدمها وسائل الإعلام، وأنها جميعاً اشتركت في استخدام المنهج الكيفي لجمع بيانات الاشباع من الجمهور، ولم تحاول أن تكتشف الروابط بين الإشباعات، وفشلت في بحث العلاقات المتداخلة بين الوظائف المتنوعة التي تقدمها وسائل الإعلام.[4]

وتعتمد هذه النظرية على أن الجمهور المتلقي يقوم باستمرار باختيار الرسائل الإعلامية من بين الرسائل الكثيرة التي يريد هو أن يتلقاها، مما يؤكد على فاعلية الجمهور المتلقي الذي يقرر بنفسه ماذا سيأخذ من الإعلام بدلاً من أن يفتح المجال أمام وسائل الإعلام لتوجهه كما تشاء.[5]

ويقوم نموذج الاستخدامات والإشباعات على مجموعة من الإفتراضات هي: [6]

1- الجمهور نشط.
2- يترتب على ذلك أن كثيراً من استخدامات الوسيلة الإعلامية يمكن إدراكها كهدف.
3- وبناء على ذلك فإن الجمهور المتلقي يربط الحاجات بالوسيلة.
4- إن استخدام الوسيلة يمكن أن يرضي نسبة عالية من الإشباعات.
5- لا يمكن الاعتماد على محتوى الرسالة الإعلامية فقط كمؤشر للتنبؤ بدرجة الإشباع.
6- الإشباعات التي يتم تحقيقها يمكن أن ترجع أصولها إلى محتوى الرسالة، أو إلى التعرض نفسه.

ويرى شرام أن استخدامات وسائل الإعلام على مستوى جماهيري تتمثل في المساهمة بالشعور للإنتماء للأمة، وتكون صوتاً للتخطيط القومي، ومعبراً لهذا الصوت، ولمساعدة الناس في تعليم المهارات للأفراد، وتهيئة الناس لتأدية أدوار جديدة تتلاءم مع خطوات الخطة القومية، وتهيئة الناس للعب دورهم كأمة بين الأمم الأخرى.[7]

لذلك فإن رغبة الفرد في إشباع حاجات معينة من التعرض لوسائل الإعلام، تمثل الاطار العام للعلاقة بين تعرض الفرد لوسائل الإعلام ومحتوى هذه الوسائل، ومدى ما يحققه هذا التعرض من اشباع للحاجات المتعددة وتلبية لهذه الحاجات. [8]

وقد توصلت الدراسات إلى أن الإشباعات التي يبحث عنها الفرد ترتبط بطبيعة الإشباعات التي يحصل عليها، وذلك لأنه ليس من الضروري أن يحصل الإنسان على الاشباع نفسه الذي يبحث عنه، لأنه قد يحصل أحياناً على إشباعات بالصدفة لم يكن يبحث عنها. [9]

ويحقق منظور الاستخدامات والإشباعات ثلاثة أهداف رئيسة هي: (10)

1- السعي إلى اكتشاف كيفية استخدام الأفراد لوسائل الإعلام.
2- شرح دوافع التعرض لوسيلة معينة من وسائل الإعلام.
3- التفاعل الذي يتم نتيجة هذا التعرض.

واستناداً إلى هذه النظرية فإن وسائل الإعلام تلبي عدداً من الحاجات التي يبحث الجمهور عن إشباعها، وهذه الحاجات هي: (11)

1- حاجات معرفية.
2- حاجات عاطفية.
3- حاجات الاندماج الشخصي.
4- حاجات الاندماج الاجتماعي.
5- حاجات هروبية.

كما أن هذه الدراسة ترتكز على نموذج الاعتماد على وسائل الإعلام الذي يقوم على أن الجمهور يعتمد على المعلومات التي تقدمها وسائل الإعلام، ليحقق من خلالها حاجاته، ويحصل بالتالي على أهداف معينة، وهو بذلك يلتقي مع نموذج الاستخدامات والإشباعات، لكنه يختلف عنه لأنه يفترض أن هناك تفاعلاً وتأثيراً بين وسائل الإعلام والجمهور، وذلك من خلال ثلاثة أنماط من التأثيرات هي تأثيرات معرفية وعاطفة وسلوكية. (12)

ولعل الجانب الأهم في هذا النموذج مفاده بأن تأثير وسائل الإعلام على الجمهور يرتبط بدرجة اعتماد هذا الجمهور على المعلومات التي تقدمها وسائل الإعلام.

وتأسيساً على ما سبق فقد تم تصميم استبانة البحث في ضوء المعطيات التي تقوم عليها هذه النظرية.

الدراسات السابقة:

1- دراسة الشامي (2006)

تناولت هذه الدراسة دور الخطاب الديني في وسائل الإتصال في تشكيل اتجاهات الشباب المصري نحو القضايا السياسية، وخلصت إلى أن الإعلام الديني لا يمثل خطاباً واحداً، فهناك أنواع مختلفة من هذا الخطاب، سببها اختلاف المرجعيات الدينية والفكرية لمنتجي الخطاب الديني.

وأشارت الدراسة إلى كثرة اعتماد الخطاب الديني الصحفي على المضمون التنظيري لا التحريضي، واعتماده في اقناع المخاطبين على كل من الأطر المرجعية الدينية والحياتية.

وتوصلت الدراسة إلى رؤية لتجديد الخطاب الديني تقوم على خمسة مرتكزات رئيسة هي تجديد لغة الخطاب، وإعمال العقل في فهم النص والواقع، والانطلاق إلى الحاضر لا الماضي، وتغليب المصالح الإنسانية، والتعامل مع الاسلام كرسالة عالمية. [13]

-2 دراسة دسوقي (2006)

هدفت الدراسة إلى التعرف على رؤية كل من الخبراء والقائمين بالاتصال في القنوات الفضائية العربية، لأساليب تطوير الخطاب الديني في تلك القنوات.

وأظهرت الدراسة أن جميع أفراد العينة يشاهدون القنوات الفضائية بنسبة 100% وأن 76.7% من أفراد العينة يشعرون بالرضا عن الخطاب الديني في القنوات الفضائية العربية.

وأوضحت الدراسة أن عدم قدرة الخطاب الديني على اظهار جوهر الدين الاسلامي الصحيح شكّل أبرز أوجه القصور التي يعاني منها الخطاب الديني، وأشارت إلى أن أهم ضوابط تطوير الخطاب الديني من وجهة نظر الخبراء والقائمين بالاتصال في القنوات الفضائية العربية هو أن ينطلق فكر التطوير من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أولاً، ثم اجتهاد العلماء والمفكرين، على ألا يؤدي التطوير إلى التصادم مع النصوص الشرعية أو الاخلال بها، مع مراعاة التطوير للقواعد العامة في الافتاء. [14]

-3 دراسة سليم (2006)

توصلت الدراسة إلى وجود اهتمامات بارزة لقضايا الاصلاح السياسي في كل من الفضائيات الإخبارية والصحف، مما يشير إلى وجود ارتباط مباشر بين التوجهات السياسية وتحديد الإهتمامات البارزة لقضايا الاصلاح السياسي في وسائل الإعلام، حيث تصدرت أولويات اهتمامات قناتي الجزيرة والعربية ثلاث قضايا هي احترام حقوق الإنسان وتعديل الدستور وإلغاء القوانين السالبة للحرية.

وأبرزت الدراسة قدرة الفضائيات الإخبارية والصحف على توفير مدى واسع من المعلومات والقضايا بما يمثل قاعدة معرفية للرأي العام، كما أوضحت هذه الدراسة أن كثافة التعرض للمضمون الاخباري في الفضائيات الإخبارية يمثل متغيراً مهماً في تدعيم تأثيرات تلك الوسائل في تشكيل اهتمامات الرأي العام المصري. [15]

4- دراسة أنور (2006)

خلصت هذه الدراسة إلى أن الصحافة الدينية في إسرائيل تتبع أهواء الحاخامات عند معالجتها للقضايا الداخلية، وأن هذه الصحف تحض على فرض احترام قدسية السبت، وأنها تعمل على بث الخوف من العلمانيين، وتحذر من الاختلاط بهم، وتساوي بينهم وبين الكفرة والزنادقة.

وكشفت الدراسة أنه وعلى الرغم أن القوة الدينية والصحافة المعبرة عنها في إسرائيل ترفض الديمقراطية، على اعتبار أنها تتعارض مع الشريعة اليهودية، إلا أنها لا تتورع عن استخدام الديمقراطية والمطالبة بها إذا كانت تحقق مصالحها، من خلال الهجوم على من ترى أنهم لا يلتزمون بالديمقراطية من القوى العلمانية.

وأوضحت الدراسة أن الصحافة الدينية الإسرائيلية تعتبر أن الفلسطينيين غير جادين في المضي قدماً في طريق السلام، وأن هدفهم الحقيقي هو تدمير إسرائيل، وأن هذه الصحافة تتمسك بترديد مزاعم الحقوق التاريخية اليهودية في القدس، وتسعى لنزع السيادة والسيطرة الإسلامية عن الحرم القدسي. [16]

5- دراسة المزروعي (2007)

تناولت هذه الدراسة الموضوعات الدينية في صحافة الأقليات المسيحية والصابئية واليزيدية، للوقوف على طريقة تناولها للموضوعات الدينية، وكيفية تفاعلها مع الأحداث الجارية، وتحديد دور هذه الصحف في نشر الوعي الديني لدى هذه الأقليات.

واستخدم الباحث منهج تحليل المضمون للصحف الصادرة عن هذه الأقليات قبل احتلال العراق 2003 وبعده، من حيث الشكل والفنون الصحفية واتجاهات الموضوعات. [17]

6- دراسة الشماس (2005)

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن عادات مشاهدة الشباب للفضائيات الأجنبية وجوانب تأثيراتها الثقافية والاجتماعية باستخدام المنهج الوصفي التحليلي، على عينة من طلبة السنة الرابعة في كلية التربية بجامعة دمشق.

وأظهرت هذه الدراسة أن نسبة كبيرة من الشباب يشاهدون الفضائيات ما بين (2-4) ساعات، حيث بلغت النسبة (43.4%) عند الذكور و(36.9%) عند الإناث، و(39.2%) عند أبناء المدينة و(57.2%) عند أبناء الريف، وأن (48%) من الشباب يشاهدون الفضائيات الأجنبية في فترة السهرة، وأن 70% منهم يفضلون مشاهدة البرامج الاجتماعية.

وأوضحت الدراسة أن الذكور يتأثرون بالفضائيات أكثر من تأثر الاناث، ويعود السبب إلى انفتاح الشباب وإتاحة المجال أمامهم لمشاهدة الفضائيات أكثر مما يتاح للاناث. (18)

7- دراسة عمارة (2005)

هدفت هذه الدراسة إلى قياس حجم تعرض الجمهور العام في مصر وقطر للقنوات الفضائية، وقياس مستوى معرفة الجمهور في كلا البلدين بمفهوم وقضايا العولمة.

وأشارت الدراسة إلى أن أكثر من 70% من العينة يشاهدون القنوات الفضائية بشكل مرتفع، كما أشارت إلى تباين مستويات المعرفة والاتجاه نحو العولمة، وأوضحت أن هناك علاقة ارتباطية بين حجم التعرض للقنوات الفضائية ومستوى المعرفة بالعولمة، وأن عينة الدراسة من القطريين أكثر معرفة وأشد ايجابية نحو العولمة وأنها أكثر مشاهدة للقنوات الفضائية مقارنة بالمصريين. (19)

8- دراسة الدواوسة (2002)

توصلت هذه الدراسة التي أجريت على عينة من مواطني قطاع غزة في فلسطين، إلى أن أكثر من 75% من عينة الدراسة يشاهدون القنوات الفضائية بشكل منتظم، وأن أهم دوافع المشاهدة هي متابعة الأخبار، وأوضحت الدراسة أن القنوات المفضلة لدى الجمهور الفلسطيني تتمثل بقناة الجزيرة والقطرية تلتها قناة أبو ظبي ثم قناة MBC، فالقناة المصرية والمنار. (20)

9- دراسة خرينو (2001)

خلصت هذه الدراسة إلى أن الصحف الإسلامية في الأردن تمثل التيار الاسلامي في كافة أنحاء العالم باستثناء الأردن، وأن هذه الصحف أقرب إلى الجهوية (الحزبية أو الشخصية) منها إلى تمثيل شرائح واسعة من الشعب، على الرغم أنها تعلن استقلاليتها وعدم تبعيتها لأي جهة أو حزب، سعياً منها لتمثيل التيار الإسلامي على اتساعه، أو لتمثيل كافة المسلمين، أو لتمثيل كافة القوى المعارضة في الأردن.

وتوصلت هذه الدراسة إلى أن الصحف الإسلامية في الأردن لا تتبنى التعددية السياسية نهجاً ثابتاً، فثبات النهج يعني التمسك به وهو ما لم تفعله هذه الصحف. (21)

أهمية الدراسة:

تناولت الدراسات الإعلامية موضوع القنوات الفضائية في العديد من المجالات، وأجرى الباحثون عشرات الدراسات عن أدوارها وتأثيراتها في المجتمعات العربية، وهناك العديد من الدراسات التي تناولت الفضائيات المتخصصة في مجالات معينة، إلا أن الملاحظ هو قلة الدراسات

الإعلامية التي تناولت القنوات الفضائية العربية الإسلامية كفضائيات متخصصة، ويمكن أن يعود السبب في ذلك إلى أن تزايد أعداد هذه الفضائيات جاء متأخراً نسبياً، حيث أن أعدادها تضاعفت كثيراً خلال السنوات الخمس الماضية عما كانت عليه في أواخر القرن الماضي.

إن تعدد الفضائيات العربية الإسلامية (أكثر من 40 فضائية) قضية إعلامية تستوجب البحث والتحليل للوقوف على جماهيريتها، وعلى الدور الذي يمكن أن تقوم به في المجتمعات العربية والإسلامية، ومن هنا فإن أهمية هذه الدراسة تزداد في كونها غير مسبوقة على الصعيد الأردني، وقليلة جداً على الصعيد العربي، وذلك لمعرفة الدوافع والإشباعات التي تتحقق من مشاهدة هذه الفضائيات لدى شريحة اجتماعية أردنية على درجة عالية من التعليم والثقافة ممثلة بالنقابيين في محافظة إربد.

مشكلة الدراسة:

شهدت السنوات القليلة الماضية زيادة ملحوظة في أعداد الفضائيات الإسلامية التي تنتمي إلى خلفيات ومرجعيات متعددة، انعكس بالضرورة على ما تقدمه من موضوعات وقضايا، لذلك فإن مشكلة هذه الدراسة تتحدد في الوقوف على دور هذه الفضائيات في التقريب بين المسلمين، أو زيادة الاختلاف والفرقة بينهم، لذلك فهي تركز على جمهور الفضائيات الإسلامية من النقابيين، للوقوف على مدى تعرضهم لهذه الفضائيات، ودوافع هذا التعرض، والإشباعات المتحققة من تعرضهم لهذه الفضائيات.

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة للوصول إلى الأهداف التالية:

1- التعرف على مدى تعرض النقابيين للفضائيات الإسلامية.
2- التعرف على دوافع النقابيين في مشاهدة الفضائيات الإسلامية.
3- التعرف على الموضوعات والقضايا الأكثر مشاهدة لدى النقابيين.
4- التعرف على آراء النقابيين بمستوى ما تقدمه الفضائيات الإسلامية من برامج وموضوعات.
5- التعرف على تقييم النقابيين لحاجة المتلقي العربي لهذا الكم الكبير من الفضائيات الإسلامية.
6- الوقوف على مستوى المصداقية التي تحظى بها هذه الفضائيات لدى النقابيين.
7- التعرف على دور الفضائيات الإسلامية في التأثير على آراء ومواقف النقابيين من القضايا الدينية والحياتية.
8- تحديد الإشباعات التي يحققها النقابيون من مشاهدتهم للفضائيات الإسلامية.

9- التعرف على دور هذه الفضائيات في عكس صورة ايجابية أو سلبية من واقع الإسلام والمسلمين.

10- التعرف على دور الفضائيات الإسلامية في التقريب بين المسلمين.

11- التعرف على دور الفضائيات الإسلامية في زيادة الخلافات والفرقة بين المسلمين لدى النقابيين في إربد.

تساؤلات الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن التساؤلات التالية:

1- ما حجم مشاهدة النقابيين للفضائيات الإسلامية؟

2- ما الفضائيات الإسلامية التي يشاهدها النقابيون؟

3- ما مدى حرص النقابيين على متابعة الفضائيات الإسلامية؟

4- ما حاجة المجتمعات العربية إلى هذا الكم من الفضائيات الإسلامية؟

5- ما دور هذه الفضائيات في تشكيل آراء ومواقف النقابيين من القضايا الدينية والحياتية؟

6- هل ساهمت الفضائيات الإسلامية في تغيير قناعات النقابيين في المجالات الدينية والحياتية؟

7- ما مستوى مصداقية الفضائيات الإسلامية؟

8- ما مدى الفائدة التي يحققها النقابيون من مشاهدة الفضائيات الإسلامية؟

9- ما دور الفضائيات في خدمة الإسلام والمسلمين؟

10- هل تعكس الفضائيات الإسلامية صورة ايجابية عن الإسلام والمسلمين؟

11- ما الإشباعات التي يحققها النقابيون من مشاهدتهم للفضائيات الإسلامية؟

12- هل ساهمت الفضائيات الإسلامية في التقريب بين المسلمين؟

13- هل ساهمت الفضائيات الإسلامية في زيادة الخلاف والانقسام بين المسلمين؟

فرضيات الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى التحقق من الفرضيات التالية:

الفرض الأول: كثرة الفضائيات العربية والإسلامية يساعد النقابيين في تشكيل آرائهم ومواقفهم من القضايا الدينية والحياتية.

الفرض الثاني: إن زيادة أعداد الفضائيات وتعدد ولاءاتها ومرجعياتها السياسية والدينية يؤثر سلبياً على حجم الإشباعات التي يحققها النقابيون من موضوعاتها.

الفرض الثالث: إن تعدد وتنوع انتماءات وولاءات الفضائيات العربية الإسلامية يساهم في التقريب بين المسلمين.

التعريفات الإجرائية:

1- **الفضائيات الإسلامية:** وهي الفضائيات العربية المتخصصة التي تطرح برامجها وموادها الإعلامية وفق منظور إسلامي معين، وهي المتمثلة بالفضائيات التي تعود ملكيتها لأفراد أو شركات أو تتبع أحزاباً إسلامية أو حركات إسلامية، أو توجهات إسلامية معينة.

2- **النقابيون:** هم أعضاء النقابات التي يتكون منها مجمع النقابات المهنية في إربد، وهذه النقابات هي (الأطباء، أطباء الأسنان، الصيادلة، المهندسين، المحامين، الأطباء البيطريين، المهندسين الزراعيين)، ولا يشمل أي نقابيين من نقابات أخرى.

3- **الحزب الوطني:** ويقصد به كل حزب لم يكن له أي وجود في الحياة السياسية الأردنية قبل عام 1992، الذي صدر فيه قانون الأحزاب، والذي تأسست استناداً له أحزاب كانت تعمل بشكل سري، كالأحزاب الإسلامية والقومية واليسارية، وأحزاب لم يكن لها أي وجود قبل 1992، فتم تسميتها في هذه الدراسة بالأحزاب الوطنية لتمييزها عن غيرها.

4- **صديق لأحد الأحزاب:** هم النقابيون الذين يميلون إلى تأييد أحزاب معينة بأفكارها ومواقفها، لكنهم غير مرتبطين بهذه الأحزاب تنظيمياً.

نوع الدراسة ومنهجها:

تنتمي هذه الدراسة إلى الدراسات الوصفية. التي تركز على وصف طبيعة وسمات وخصائص ظاهرة أو مجتمع أو جماعة وتكرارات حدوث الظواهر المختلفة،[22] ودراسة المواقف والآراء وتحليلها وتفسيرها لفهم الحاضر وتوجيه المستقبل،[23] وتهتم بتحديد الممارسات السائدة والتعرف على اتجاهات الأفراد والجماعات عن طريق المعلومات والتعبير عنها كماً وكيفاً أو بكليهما معاً للوصول إلى نتائج علمية.[24]

واعتمدت هذه الدراسة على المنهج المسحي الذي يعتبر من أبرز المناهج المستخدمة في مجال الدراسات الإعلامية وخاصة في البحوث الوصفية. ويعد المنهج الرئيسي لدراسة جمهور وسائل الإعلام وخاصة فيما يتعلق بتصنيف الدوافع والحاجات ومستويات الإهتمام والتفضيل، ويتضمن الكثير من التقصي ومعرفة الأسباب والمسببات لما هو ظاهر للعيان[25]، كما يساعد في التنبؤ بالتغيرات المستقبلية فضلاً عن ايضاح التحولات والتغيرات الماضية[26].

مجتمع الدراسة وعينتها:

يتكون مجتمع الدراسة من جميع النقابيين الأعضاء في مجمع النقابات المهنية في إربد، والذي يضم نقابات (الأطباء، أطباء الاسنان، الصيادلة، المهندسين، المحامين، الأطباء البيطريين، المهندسين الزراعيين).

وقد تم اختيار مجتمع الدراسة نظراً لتجانس أفراده الذين يمثلون شريحة اجتماعية على درجة عالية من التعليم، كما أن أعضاء النقابات المهنية يتميزون بالحضور الفاعل في المشهد الثقافي والسياسي في إربد، وذلك من خلال تنظيم مجمع النقابات المهنية المؤتمرات والندوات والمحاضرات الدورية المتعددة والمتنوعة في الشؤون الداخلية والخارجية، الأمر يفيد الدراسة ويغنيها، لأن مجتمعها يقوم على أفراد يتصفون بالوعي والثقافة ومتابعة الأحداث، علاوة على التجانس فيما بينهم.

الجدول رقم (1): أعداد النقابيين في إربد حتى نهاية كأول أول من عام 2008[27]

النقابة	عدد الأعضاء	عينة الدراسة
الأطباء	1520	39
أطباء الأسنان	880	22
الصيادلة	1000	25
المهندسين	8600	214
المحامين	1120	28
الأطباء البيطريين	160	004
المهندسين الزراعيين	1760	044
المجموع	15040	376

أما عينة الدراسة فقد اعتمد الباحثان على أسلوب العينة الحصصية في اختيار مفردات العينة. وذلك لأن من شأن هذا النوع من العينات تأمين تمثيل أفضل لمجتمع الدراسة، وأنها تكون دائما قابلة للتنفيذ مهما كان مجتمع الدراسة.[28]

وبذلك فإن مجتمع الدراسة يتكون من (15040) نقابياً موزعين على النقابات السبع كما هو مبين في الجدول رقم (1)، واختار الباحثان ما نسبته 2.5% كعينة حصصية من كل نقابة من هذه النقابات، ليصل حجم العينة إلى (376) مفردة يمثلون بالتساوي جميع اعضاء النقابات المهنية في مجمع النقابات في إربد.

الجدول رقم (2): توصيف مجتمع الدراسة

عينة الدراسة		التكرار	النسبة
الجنس	ذكر	240	63.8
	انثى	136	36.2
	المجموع	376	100.0
العمر	اقل من 25 سنة	52	13.8
	25-35سنة	125	33.2
	36-45سنة	100	26.6
	46-55 سنة	69	18.4
	اكثر من 56 سنة	30	8.0
المستوى التعليمي	بكالوريوس	206	54.8
	ماجستير	89	23.7
	دبلوم عالي	33	8.8
	دكتوراه	48	12.8
المهنة	الطب البشري	39	10.4
	الهندسة	214	56.9
	الصيدلة	25	6.6
	طب الاسنان	22	5.9
	المحاماة	28	7.4
	الطب البيطري	4	1.1
	الهندسة الزراعية	44	11.7
الدخل الشهري	اقل من 500 دينار	100	26.6
	501-1000دينار	118	31.4
	1001-1500دينار	77	20.5
	1501-2000دينار	40	10.6
	اكثر من 2000 دينار	41	10.9
الحالة الاجتماعية	متزوج	214	56.9
	مطلق	30	8.0
	أرمل	21	5.6
	أعزب	111	29.5

عينة الدراسة		التكرار	النسبة
الانتماء الحزبي	عضو في حزب قومي	17	4.5
	عضو في حزب وطني	21	5.6
	عضو في حزب اسلامي	49	13.0
	صديق لأحد الأحزاب	51	13.6
	عضو في حزب يساري	16	4.3
	ليس لي أية علاقة بالأحزاب	222	59.0
	المجموع	376	100.0

أداة الدراسة:(29)

اعتمد الباحثان في جمع بيانات الدراسة على الإستبانة بهدف الحصول على البيانات والمعلومات المطلوبة من أفراد العينة، وقد اشتملت الإستبانة على المحاور التالية:

1- معدل مشاهدة القنوات الفضائية الإسلامية لدى النقابين في إربد.

2- القنوات الفضائية الإسلامية المفضلة لدى النقابيين.

3- كيفية التعرض للقنوات الفضائية الإسلامية.

4- دوافع التعرض لدى النقابيين.

5- الإشباعات المتحققة من التعرض للفضائيات الإسلامية.

اختبار الصدق والثبات:

تم اجراء الصدق والثبات من خلال:

1- وضع الإستبانة في ضوء أهداف الدراسة.

2- عرض الإستبانة على مجموعة من المحكمين من المتخصصين في مجالات الصحافة والإعلام وعلم الاجتماع، وأجرى الباحثان التعديلات اللازمة لجعل الإستبانة صالحة للتطبيق بناء على توجيهاتهم.

3- قام الباحثان بإجراء اختبار قبلي للاستبانة على عينة قوامها (25) مفردة، بما نسبته 6.7% من إجمالي العينة، وقد بلغت نسبة الثبات 94% مما يشير إلى صلاحية الإستبانة للقياس.

تحليل النتائج ومناقشتها:

جدول رقم (3): تعرض النقابيين للقنوات الفضائية العربية الإسلامية

مشاهدة النقابيين	التكرار	النسبة
دائما	99	26.3
احيانا	140	37.2
نادرا	78	20.7
لا أشاهد	59	15.7
المجموع	376	100.0

تشير بيانات الجدول رقم (3) إلى أن (84.3%) من النقابيين يشاهدون القنوات الفضائية العربية الإسلامية، وتوضح النتائج أن (26.3%) يشاهدونها دائماً، و(37.2%) أحياناً، و(20.7%) نادراً بينما لا يشاهدها (15.7%).

ويتضح من خلال هذه النتائج أن غالبية النقابيين في محافظة إربد يشاهدون القنوات الإسلامية، وذلك لأنهم على درجة عالية من العلم والوعي والثقافة والاهتمام، مما يدفعهم إلى التعرض لمثل هذه الوسائل الاتصالية، التي تزيد من معرفتهم ومتابعتهم للشؤون الدينية والدنيوية.

جدول رقم (4): تعرض النقابيين للقنوات الإسلامية حسب الجنس

الجنس		مشاهدة القنوات				المجموع
		دائما	احيانا	نادرا	لا أشاهد	
ذكر	العدد	63	98	50	29	240
	النسبة	26.3%	40.8%	20.8%	12.1%	100.0%
انثى	العدد	36	42	28	30	136
	النسبة	26.5%	30.9%	20.6%	22.1%	100.0%
المجموع	العدد	99	140	78	59	376
	النسبة	26.3%	37.2%	20.7%	15.7%	100.0%

أوضحت نتائج الجدول رقم (4) أن حجم التعرض للفضائيات الإسلامية بين الجنسين جاء متقارباً إلى حد كبير، فقد بلغت نسبة الذين يشاهدون الفضائيات الإسلامية دائماً من الإناث (26.5%) مقابل (26.3%) من الذكور، وما نسبته (40.8%) من الذكور يشاهدونها أحياناً، مقابل (30.9%) من الإناث، فيما جاءت نسبة الذين يشاهدونها نادراً من الذكور (20.8%)

ومن الإناث (20.6%)، أما الذين لا يشاهدونها فقد بلغت نسبتهم بين الذكور (12.1%)، وبين الإناث (22.1%) ويمكن أن يعزى ذلك إلى أن الجنسين من النقابيين يتقاربون بمدى الوعي والتعليم كونهم فئة اجتماعية على درجة من الثقافة والمتابعة.

جدول رقم (5): تعرض النقابيين للقنوات الإسلامية حسب المهنة

المهنة		مشاهدة القنوات				المجموع
		دائما	احيانا	نادرا	لا أشاهد	
الطب البشري	العدد	5	9	11	14	39
	النسبة	12.8%	23.1%	28.2%	35.9%	100.0%
الهندسة	العدد	59	87	45	23	214
	النسبة	27.6%	40.7%	21.0%	10.7%	100.0%
الصيدلة	العدد	7	14	4	0	25
	النسبة	28.0%	56.0%	16.0%	.0%	100.0%
طب الاسنان	العدد	2	4	7	9	22
	النسبة	9.1%	18.2%	31.8%	40.9%	100.0%
المحاماة	العدد	8	9	5	6	28
	النسبة	28.6%	32.1%	17.9%	21.4%	100.0%
الطب البيطري	العدد	2	2	0	0	4
	النسبة	50.0%	50.0%	.0%	.0%	100.0%
الهندسة الزراعية	العدد	16	15	6	7	44
	النسبة	36.4%	34.1%	13.6%	15.9%	100.0%
المجموع	العدد	99	140	78	59	376
	النسبة	26.3%	37.2%	20.7%	15.7%	100.0%

وعن تعرض النقابيين للقنوات الفضائية الإسلامية حسب المهنة فقد أشارت بيانات الجدول رقم (5) إلى أن الأطباء البيطريين جاءوا في مقدمة الذين يشاهدونها دائماً، إذ بلغت نسبتهم 50%، تلاهم المهندسون الزراعيون بنسبة (36.4%)، ثم المحامون بنسبة (28.6%) فالصيادلة بنسبة (28%)، والمهندسون بنسبة (27.6%)، والأطباء بنسبة (12.8%) وأخيراً أطباء الأسنان بنسبة (9.1%).

وأظهرت النتائج أن الصيادلة تقدموا النقابيين في مشاهدتهم للقنوات الإسلامية (أحياناً ونادراً)، فبلغت نسبتهم (66%) تلاهم المهندسون بنسبة (61.7%) فالأطباء بنسبة (51.3%)

ثم أطباء الأسنان والمحامون والأطباء البيطريين بنسبة (50%) لكل منهم فالمهندسون الزراعيون بنسبة (47.7%).

وبينت النتائج أن الصيادلة والأطباء البيطريين جميعهم يشاهدون الفضائيات الإسلامية، فلا يوجد بينهم من لا يشاهدها، في حين جاءت نسبة الذين لا يشاهدونها من أطباء الأسنان والأطباء مرتفعة، إذ بلغت بين أطباء الأسنان (40.9%) وما نسبته (35.9%) بين الأطباء، تلاهم المهندسون الزراعيون بنسبة (15.9%) ثم المهندسون بنسبة (10.7%).

وبتحليل هذه النتائج يمكن أن يعزى تقدم الأطباء البيطريين على غيرهم في مشاهدة القنوات الإسلامية، إلى أن عددهم في إربد قليل وحجم العينة بينهم لم يتجاوز أربعة أطباء بيطريين شكلوا ما نسبته (2.5%) من العدد الكلي، كما أن ارتفاع نسبة الذين لا يتعرضون لهذه الفضائيات من الأطباء وأطباء الأسنان يمكن أن يكون مرده طبيعة العمل في عياداتهم الطبية وكثرة انشغالهم قياساً لغيرهم من المهن الأخرى.

جدول رقم (6): تعرض النقابيين للقنوات الإسلامية حسب الانتماء الحزبي

الانتماء الحزبي		مشاهدة القنوات				المجموع
		دائما	احيانا	نادرا	لا أشاهد	
عضو في حزب قومي	العدد	3	6	5	3	17
	النسبة	17.6%	35.3%	29.4%	17.6%	100.0%
عضو في حزب وطني	العدد	7	5	6	3	21
	النسبة	33.3%	23.8%	28.6%	14.3%	100.0%
عضو في حزب اسلامي	العدد	23	21	4	1	49
	النسبة	46.9%	42.9%	8.2%	2.0%	100.0%
عضو في حزب يساري	العدد	3	2	6	5	16
	النسبة	18.8%	12.5%	37.5%	31.3%	100.0%
صديق لأحد الأحزاب	العدد	11	15	11	14	51
	النسبة	21.6%	29.4%	21.6%	27.5%	100.0%
ليس لي أية علاقة بالأحزاب		52	91	46	33	222
	النسبة	23.4%	41.0%	20.7%	14.9%	100.0%
المجموع	العدد	99	140	78	59	376
	النسبة	26.3%	37.2%	20.7%	15.7%	100.0%

تشير بيانات الجدول رقم (6) إلى أن النقابيين الذين لا تربطهم اية علاقة تنظيمية في الأحزاب الأردنية بلغ (222) نقابياً شكلوا ما نسبته (59%) من أفراد العينة، تلاهم النقابيون من أصدقاء الأحزاب في المرتبة الثانية وبما نسبته (13.6%) فالنقابيون الأعضاء في أحزاب إسلامية بنسبة (13%) في المرتبة الثالثة، ثم الأعضاء في أحزاب وطنية بنسبة (5.6%) في المرتبة الرابعة، والأعضاء في أحزاب قومية بنسبة (4.5%) في المرتبة الخامسة، وأخيراً أعضاء الأحزاب اليسارية بنسبة (4.3%).

كما تشير بيانات الجدول رقم (6) إلى أن النقابيين الذين ينتمون للأحزاب الإسلامية هم أكثر النقابيين الذين يتعرضون للقنوات الإسلامية حيث بلغت نسبتهم (98%)، توزعوا على ما نسبته (46.9) يتعرضون لها بشكل دائم، و(42.9%) احياناً، و(8.2%) نادراً، تلاهم في المرتبة الثانية النقابيون الذي ينتمون إلى أحزاب وطنية بما نسبته (85.7%) ثم النقابيون الذين ليست لهم أية علاقة بالأحزاب في المرتبة الثالثة بما نسبته (85.1%)، فالنقابيون الذين ينتمون لأحزاب قومية في المرتبة الرابعة بنسبة (82.4%)، وأصدقاء الأحزاب بنسبة (72.5%) في المرتبة الخامسة، وأخيراً الذين ينتمون لأحزاب يسارية بنسبة (68.7%) في المرتبة السادسة.

ويتبين من هذه النتائج أن النقابيين الذين ينتمون لأحزاب إسلامية احتلوا مرتبة متقدمة على غيرهم في مشاهدتهم للقنوات الإسلامية، وتبدو نتيجة واقعية وموضوعية، لأنهم يبحثون عما يعزز أفكارهم وانتماءاتهم، على خلاف النقابيين اليساريين الذين جاءوا في المرتبة الأولى للذين لا يشاهدون هذه الفضائيات. ويمكن أن يعزى ذلك لانتماءاتهم السياسية والفكرية التي قد تتعارض مع المنطلقات العقائدية والفكرية لهذه الفضائيات.

جدول رقم (7): الفضائيات الإسلامية التي يتعرض لها النقابيون

الفضائيات الإسلامية	التكرار	النسبة
المجد	209	13.6
الحكمة	36	2.3
الفرات	8	.5
المشكاة	23	1.5
فتوى	12	.8
اقرأ	196	12.7
الأمة	13	.8
العفاسي	105	6.8
المختلف	7	.5

الفضائيات الإسلامية	التكرار	النسبة
البركة	21	1.4
المنار	100	6.5
الرحمة	56	3.6
الحافظ	19	1.2
المعارف	8	.5
محمد السادس للقرآن الكريم	11	.7
الناس	122	7.9
المسار	11	.7
البدر	13	.8
الروح	4	.3
القرآن	21	1.4
الحقيقة	40	2.6
الأنوار	16	1.0
آفاق	7	.5
التواصل	12	.8
البشرى	8	.5
الرسالة	153	9.9
أهل البيت	11	.7
الفرقان	11	.7
نجاح	18	1.2
الحبيب	5	.3
الصفوة	8	.5
الحياة	12	.8
الحافظ	16	1.0
الفردوس	2	.1
الخليجية	15	1.0
الهداية	19	1.2
مكة	34	2.2
صدى الاسلام	10	.6

الفضائيات الإسلامية	التكرار	النسبة
الدعوى	12	.8
كربلاء	34	2.2
السلام	8	.5
الهدى	6	.4
الفجر	19	1.2
الأقصى	35	2.3
بداية	35	2.3
المجموع	1541	100.0

وفيما يتعلق بالفضائيات الإسلامية التي يشاهدها النقابيون في إربد، أوضحت بيانات الجدول رقم (7) أن فضائية المجد احتلت المرتبة الأولى بين (45) فضائية إسلامية تمكن الباحثان من رصدها بين الفضائيات العربية التي تبث على القمرين Arabsat, Nilesat وتعرض لها (209) نقابياً من أصل 317 نقابياً، بما نسبته 13.6% من مجموع اجابات النقابيين، وذلك لأن الباحثين أتاحا المجال أمام النقابيين لاختيار أكثر من فضائية عند الإجابة على هذا السؤال.

وتشير هذه النتائج إلى أن فضائية إقرأ احتلت المرتبة الثانية بنسبة 12.7%، تلتها الرسالة بنسبة 9.9% ثم الناس بنسبة 3.6% والحقيقة بنسبة 2.6% والأقصى والحكمة وبداية بنسبة 2.3% لكل منها، ثم فضائية الفردوس بنسبة 0.1% في المرتبة الخامسة والأربعين والأخيرة بين الفضائيّات كافة، حيث تعرض لها نقابيان اثنان من أصل 317 نقابياً.

ويتضح من خلال هذه النتائج أن الفضائيات الإسلامية التي يشاهدها النقابيون تكاد تكون محدودة، ويأتي في مقدّمتها فضائيّات المجد واقرأ والرسالة، ويمكن أن يعود السبب وراء جماهيريتها المرتفعة إلى أنها من أقدم القنوات الإسلامية، وإلى تنوع برامجها وطرحها الإسلامي المعتدل الذي يحظى بالقبول بين النقابيين.

وتبين هذه النتائج أن (22) فضائية إسلامية تراوحت نسبة مشاهدتها ما بين 0.1% و0.8% من مجموع 1541 إجابة، الأمر الذي يعني محدودية انتشارها وقلة أو انعدام الإقبال على مشاهدة برامجها، لاعتبارات قد تكون متعلقة بطبيعة واتجاه الطروحات التي تعرضها على المشاهدين أو لحداثة بثها الفضائي.

جدول رقم (8): حجم التعرض للفضائيات الإسلامية

حجم التعرض	التكرار	النسبة
اقل من ساعة	92	29.0
1-2ساعة	119	37.5
2-4ساعات	62	19.6
اكثر من 4 ساعات	44	13.9
المجموع	317	100.0

وعن حجم تعرض النقابيين للفضائيات الإسلامية أوضحت بيانات الجدول رقم (8) أن 37.5% من أفراد العينة يشاهدون الفضائيات من ساعة واحدة إلى ساعتين و29% يشاهدونها بأقل من ساعة و19.6% يشاهدونها من ساعتين إلى أربع ساعات، فيما يشاهدها 13.9% لأكثر من أربع ساعات. مما يعني أن الفضائيات الإسلامية حظيت بمستوى جيد من تعرض النقابيين في إربد وذلك بما يتوافق مع معدلات التعرض للفضائيات بشكل عام، والتي أشارت إليها العديد من الدراسات السابقة.

جدول رقم (9): فترات التعرض لدى النقابيين (*)

الفترات	التكرار	النسبة
فترة الصباح	46	12.8
فترة الظهيرة	52	14.4
فترة المساء والسهرة	262	72.8
المجموع	360	100.0

(*) أتاح الباحثان للنقابيين فرصة اختيار أكثر من إجابة في الجداول (9، 10، 11، 12)

أما عن فترات التعرض لهذه الفضائيات فقد أظهرت بيانات الجدول رقم (9) أن فترة المساء والسهرة استحوذت على أكثر نسبة تعرض فبلغت 72.8%، تلتها فترة الظهيرة بنسبة 14.4% ثم الفترة الصباحية بنسبة 12.8%، وتبدو هذه النتيجة طبيعية وتأتي متوافقة مع العديد من الدراسات السابقة التي تشير إلى أن فترة المساء والسهرة تحظى بنسب مشاهدة عالية وخاصة لدى مثل هذه العينة التي غالباً ما تكون منشغلة بأعمالها ووظائفها في فترتي الصباح والظهيرة، فتتعرض لمشاهدة القنوات الفضائية في الفترة المسائية.

جدول رقم (10): الأيام التي يتعرض بها النقابيون للقنوات الإسلامية

الأيام	التكرار	النسبة
السبت	110	15.3
الأحد	47	6.5
الاثنين	57	7.9
الثلاثاء	48	6.7
الاربعاء	37	5.1
الخميس	161	22.3
الجمعة	261	36.2
المجموع	721	100.0

ويتبين من بيانات الجدول رقم (10) أن يوم الجمعة حظي بأعلى نسبة مشاهدة بين النقابيين، فبلغت نسبته 36.2%، تلاه يوم الخميس بنسبة 22.3%، ثم يوم السبت بنسبة 15.3% فيما تراوحت لبقية أيام الأسبوع ما بين 5% و7%، الأمر الذي يعني أن عطلة نهاية الاسبوع تستقطب النقابيين لمشاهدة هذه الفضائيات، كما هو الحال بالنسبة لكافة المشاهدين الذين ترتفع معدلات التعرض لديهم في مثل هذه الأيام.

جدول رقم (11): كيفية مشاهدة النقابيين للفضائيات الإسلامية

كيفية المشاهدة	التكرار	النسبة
لوحدي	94	23.0
مع افراد الأسرة	235	57.6
عند الأقارب او الاصدقاء	33	8.1
عند الجيران	7	1.7
في مكان العمل	27	6.6
في النوادي والأماكن العامة والمقاهي	12	2.9
المجموع	408	100.0

أوضحت بيانات الجدول رقم (11) أن أكثر من نصف أفراد العينة يشاهدون الفضائيات مع أفراد الأسرة، وذلك بما نسبته 57.6%، فيما 23% منهم يشاهدونها لوحدهم دون مصاحبة أحد، وقد يعزى ذلك إلى حرص النقابيين على ترسيخ القيم الدينية وزيادة المعرفة والثقافة الدينية لدى أفراد أسرهم، بالإضافة إلى أن 56.9% من أفراد العينة هم من المتزوجين، الذين يبدو أنهم يحرصون لأن يكون التعرض جماعياً مع أفراد أسرهم.

جدول رقم (12): المجالات التي يفضل النقابيون مشاهدتها في الفضائيات الإسلامية

المجالات	التكرار	النسبة
القران الكريم والحديث النبويَ الشريف	169	21.9
القضايا الفقهية	140	18.1
قضايا الوعظ والإرشاد	155	20.1
المعاملات	77	10.0
الفتاوى	147	19.0
الأناشيد الإسلامية	85	11.0
المجموع	773	100.0

وتشير بيانات الجدول رقم (12) إلى أن موضوعات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف كانت من أكثر المجالات التي يتعرض لها النقابيون، إذ بلغت نسبتها 21.9%، تلتها قضايا الوعظ والإرشاد بنسبة 20.1% ثم الفتاوى بنسبة 19%، فالقضايا الفقهية بنسبة 18.1% فالأناشيد الإسلامية بنسبة 11% وأخيراً قضايا المعاملات بما نسبته 10%.

وتوضح هذه النتائج مدى التقارب في اهتمامات النقابيين لتحقيق الإفادة في مجالات دينية وحياتية متعددة، وإشباع رغباتهم من الموضوعات التي تمس حياتهم وتكسبهم معارف جديدة، علماً بأن المبحوثين توفرت لديهم حرية اختيار أكثر من مجال.

جدول رقم (13): حرص النقابيين على مشاهدة الفضائيات الإسلامية

الحرص	التكرار	النسبة
دائما	93	29.3
احيانا	149	47.0
نادرا	55	17.4
لا احرص	20	6.3
المجموع	317	100.0

وفيما يتعلق بحرص النقابيين على مشاهدة الفضائيات الإسلامية تشير بيانات الجدول رقم (13) إلى أن الغالبية من أفراد العينة يحرصون على متابعة هذه الفضائيات، إذ بلغت نسبتهم 93.7% يتوزعون على 47% يحرصون أحياناً و29.3% دائماً و17.4 نادراً، فيما لا يحرص على متابعتها 6.3%، الأمر الذي يعني أن الفضائيات الإسلامية لها جمهورها النقابي الذي يحرص

على متابعة البرامج والموضوعات التي تبثها هذه الفضائيات. وتبين للباحثين من خلال إجابة النقابيين على اسئلة الإستبانة أن نسبة لا بأس بها يحرصون على متابعة برامج وموضوعات محددة.

جدول رقم (14): تقييم النقابيين لمستوى البرامج والموضوعات التي تقدمها الفضائيات الإسلامية

المستوى	التكرار	النسبة
جيدة	143	45.1
متوسطة	148	46.7
رديئة	26	8.2
المجموع	317	100.0

أما عن تقييم النقابيين لمستوى البرامج والموضوعات التي تقدمها الفضائيات الإسلامية فقد أوضحت بيانات الجدول رقم (14) أن 91.8% من النقابيين يرون أن مستواها يتقارب ما بين الجيدة والمتوسطة، فبلغت للجيدة 45.1% وللمتوسطة 46.7%، فيما يرى 8.2% أنها رديئة.

ويرى الباحثان أن هذه النتيجة تتوافق مع سابقتها، لذلك فإن النقابيين يحرصون على مشاهدة هذه الفضائيات لأن غالبيتها تقدم برامج ذات مستوى جيد ومتوسط.

جدول رقم (15): تقييم النقابيين لكفاءة المذيعين ومقدمي البرامج في الفضائيات الإسلامية

كفاءة المذيعين والمقدمين	التكرار	النسبة
جيدة	120	37.9
متوسطة	153	48.3
رديئة	44	13.9
المجموع	317	100.0

وتبين من خلال الجدول رقم (15) أن مستوى الرضى بين النقابيين لكفاءة مذيعي ومقدمي برامج الفضائيات الإسلامية كان مرتفعاً، إذ بلغت نسبته 86.1% منها 48.3% بدرجة متوسط و37.9% بدرجة جيد، فيما أجاب 13.9% بأن كفاءتهم رديئة. مما يساهم في دفع النقابيين إلى التعرض لما يقدمه هؤلاء المذيعون من برامج وموضوعات.

جدول رقم (16): دوافع تعرض النقابيين للفضائيات الإسلامية

الدوافع	التكرار	النسبة
زيادة الثقافة الدينية	233	25.7
ترسيخ القيم والمبادئ الإسلامية	133	14.7
الإطلاع على مواقف المذاهب الأخرى	76	8.4
اكتساب معلومات جديدة	205	22.6
التخلص من الشعور بالوحدة	39	4.3
نسيان هموم الحياة اليومية ومشاكلها	58	6.4
التخلص من الملل	47	5.2
القضاء على وقت الفراغ	57	6.3
تشعرني بالسعادة	58	6.4
المجموع	906	100.0

وعن دوافع التعرض لدى النقابيين للفضائيات الإسلامية جاء الدافع المتعلق بزيادة الثقافة الإسلامية بالمرتبة الأولى بما نسبته 25.7% تلاه اكتساب معلومات جديدة بما نسبته 22.6% ثمّ ترسيخ القيم والمبادئ الإسلامية في المرتبة الثالثة بنسبة 14.7% ثم دافع الاطلاع على مواقف المذاهب الإسلامية في المرتبة الرابعة وبما نسبته 8.4%.

وأظهرت بيانات الجدول رقم (16) أن 6.4% من النقابيين يتعرضون لهذه الفضائيات لنسيان هموم الحياة اليومية ومشاكلها، ولأنها تشعرهم بالسعادة، فيما يدفع القضاء على وقت الفراغ ما نسبته 6.3% من النقابيين لمشاهدة هذه الفضائيات، و5.2% للتخلص من الملل، وأخيراً 3.4% للتخلص من الشعور بالوحدة.

ويتضح من خلال هذه النتائج أن زيادة الثقافة بأمور الدين الإسلامي واكتساب معلومات دينية وحياتية جديدة كانت الأبرز بين الدوافع، نظراً لأهميتها في حياة النقابيين، الذين يحرصون على تدعيم هذه الجوانب لديهم، لأنهم يمثلون شريحة اجتماعية تسعى لأن تتواصل مع ما تعرضه وسائل الإعلام، التي تساهم في زيادة المعرفة وتدعيم الثقافة في العديد من المجالات، وخاصة في المجالات الدينية والدنيوية، التي يحتاج إليها كل فرد في المجتمع.

جدول رقم (17): مدى الحاجة إلى هذا الكم من الفضائيات الإسلامية

مدى الحاجة	التكرار	النسبة
نعم	115	36.3
لا	139	43.8
لا ادري	63	19.9
المجموع	317	100.0

ويوضح الجدول رقم (17) التفاوت في آراء النقابيين حول مدى الحاجة إلى هذا الكم من الفضائيات الإسلامية، فقد أجاب 43.8% أن مجتمعاتنا العربية ليست بحاجة إلى هذا العدد من الفضائيات، فيما يرى 36.3% أننا بحاجة إلى هذا العدد من هذه الفضائيات، بينما أجاب 19.9% أنهم لا يدرون عما إذا كنا بحاجة لهذا الكم من الفضائيات أم لا. ويجدر أن الباحثين تمكنا من رصد 45 فضائية عربية إسلامية تبث إرسالها عبر الاقمار الصناعية العربية، وأن نسبة كبيرة منها تحظى بإقبال متواضع من النقابيين، الأمر الذي يعني أن وجود 45 قناة متخصصة في مجال محدد قد ينعكس على جماهيريتها ويقلل من مشاهدتها. وهو ما توصلت إليه هذه الدراسة، وذلك لأن عدداً غير قليل من هذه الفضائيات لا تحظى بإقبال النقابيين على مشاهدتها، الأمر الذي يعني محدودية جماهيريتها، وبالتالي صعوبة استمراريتها في أداء رسالتها الإعلامية.

جدول رقم (18): تقييم النقابيين لمستوى المصداقية في الفضائيات الإسلامية

مستوى المصداقية	التكرار	النسبة
عالية	93	29.3
متوسطة	190	59.9
متدنية	18	5.7
معدومة	16	5.0
المجموع	317	100.0

أما عن تقييم النقابيين لمستوى المصداقية فيما تطرحه الفضائيات الإسلامية من موضوعات وقضايا، أفادت بيانات الجدول رقم (18) أن 59.9% من النقابيين يرون أن مصداقيتها متوسطة و29.3% يرون أن مصداقيتها جيدة، فيما يرى 5.7% أن مصداقيتها متدنية و5% يرون أنها معدومة. الأمر الذي يعني أن تقييم النقابيين لمستوى المصداقية جاء مرتفعاً، مما يدفعهم إلى الحرص على مشاهدة برامجها.

جدول رقم (19): مدى ثقة النقابيين بالمعلومات والآراء التي تقدمها الفضائيات الإسلامية

الثقة	التكرار	النسبة
دائما	82	25.9
احيانا	175	55.2
نادرا	37	11.7
لا اثق	23	7.3
المجموع	317	100.0

وفيما يتعلق بثقة النقابيين في المعلومات والآراء التي تقدمها هذه الفضائيات، تشير بيانات الجدول رقم (19) إلى أن هذه الفضائيات حظيت بثقة عالية من النقابيين لما تقدمه من معلومات وآراء، فقد توزّعت هذه النسبة ما بين (أحياناً) بنسبة 55.2% ودائماً بما نسبته 25.9% ونادراً بما نسبته 11.7%، فيما أجاب 7.3% أنهم لا يثقون في المعلومات والآراء التي تقدمها هذه الفضائيات.

وتؤكد هذه النتائج ما ورد في الجدول رقم (18) أيضاً، وهذا يعني أن النقابيين يتعرضون للقنوات الإسلامية التي تلبي رغباتهم وتتوافق مع أفكارهم ومعتقداتهم، خاصة إذا ما علمنا أن هناك فضائيات إسلامية تطرح أفكاراً ومعتقدات قد لا يتقبلها المشاهدين.

جدول رقم (20): مدى اعتماد النقابيين على هذه الفضائيات في تشكيل مواقفهم وآرائهم

الاعتماد	التكرار	النسبة
دائما	32	10.1
احيانا	147	46.4
نادرا	78	24.6
لا اعتمد	60	18.9
المجموع	317	100.0

وتفيد بيانات الجدول رقم (20) أن 46.4% من النقابيين يعتمدون أحياناً على هذه الفضائيات في تشكيل مواقفهم وآرائهم من خلال ما تعرضه من قضايا وموضوعات إسلامية وحياتية، و24.6% نادراً ما يعتمدون عليها و10.1% يعتمدون عليها دائماً، فيما لا يعتمد عليها 18.9% من أفراد العينة. الأمر الذي يعني أن القضايا والموضوعات التي تطرحها هذه الفضائيات تلقى قبولاً واقتناعاً من النقابيين، مما يساهم في اعتمادهم عليها في تشكيل آرائهم ومواقفهم من خلال ما تقدمه لهم.

جدول رقم (21): مدى تأثير هذه الفضائيات في تغيير قناعات النقابيين

مدى التأثير	التكرار	النسبة
دائما	37	11.7
احيانا	137	43.2
نادرا	92	29.0
لا	51	16.1
المجموع	317	100.0

وعن دور هذه الفضائيات في تغيير قناعات النقابيين في مجالات دينية وحياتية معينة، تشير بيانات الجدول رقم (21) إلى أن الفضائيات الإسلامية ساهمت أحياناً بتغيير قناعات ما نسبته 43.2% من النقابيين في قضايا دينية وحياتية محددة، و29% نادراً 11.7% دائماً، فيما بلغت نسبة الذين لم يغيروا قناعاتهم 16.1%، الأمر الذي قد يعني أن هذه الفضائيات تطرح آراء موضوعية وعقلانية تستقطب النقابيين فتؤثر في قناعاتهم ومواقفهم.

جدول رقم (22): الفائدة المتحققة من تعرض النقابيين لهذه الفضائيات

الفائدة	التكرار	النسبة
فائدة كاملة	72	22.7
فائدة جزئية	227	71.6
لا توجد اي فائدة	18	5.7
المجموع	317	100.0

وفيما يتعلق بالفائدة التي يحققها النقابيون من تعرضهم لهذه الفضائيات توضح بيانات الجدول رقم (22) أن 71.6% من النقابيين حصلوا على فائدة جزئية مما تعرضه هذه الفضائيات، فيما يرى 22.7% أنهم حصلوا على فائدة كاملة، بينما يرى 5.7% أنهم لم يحققوا أية فائدة منها. وهذا يعني أن هذه الفضائيات تقدم برامج وموضوعات قيمة تحظى بإقبال النقابيين وتنعكس بالفائدة عليهم.

جدول رقم (23): دور الفضائيات في زيادة المعرفة بالمذاهب والفرق الإسلامية

زيادة المعرفة	التكرار	النسبة
كثيرا	75	23.7
متوسطا	110	34.7
قليلا	108	34.1
لم تزد	24	7.6
المجموع	317	100.0

تشير بيانات الجدول رقم (23) إلى أن دور الفضائيات الإسلامية في تعريف النقابيين بالمذاهب والفرق الإسلامية كان مرتفعاً، حيث بلغت نسبة الذين زادت هذه الفضائيات من معرفتهم زيادة متوسطة مانسبته 34.7% وقليلاً بما نسبته 34.1% وكثيراً بما نسبته 23.7%، أما الذين لم تزد من معرفتهم بالمذاهب والفرق الإسلامية فبلغت نسبتهم 7.6% وهذا يعني أن الغالبية العظمى من النقابيين استفادوا من هذا الدور الذي لعبته الفضائيات في زيادة معارفهم من مواقف واجتهادات المذاهب والفرق الإسلامية في القضايا الدينية والحياتية المتعددة، الأمر الذي يعني أن هذه الفضائيات تلعب دوراً مؤثراً في حياة النقابيين في إربد.

جدول رقم (24): مساهمة الفضائيات الإسلامية باتخاذ النقابيين مواقف إيجابية من المذاهب والفرق الإسلامية

مدى المساهمة	التكرار	النسبة
كثيرا	52	16.4
متوسطا	112	35.3
قليلا	102	32.2
لم تساهم	51	16.1
المجموع	317	100.0

وتبين من خلال بيانات الجدول رقم (24) أن 35.3% من النقابيين يرون أن الفضائيات الإسلامية ساهمت بشكلٍ متوسط باتخاذهم مواقف إيجابية من المذاهب والفرق الإسلامية، فيما يرى 32.2% أن مساهمتها كانت قليلة و16.4% كانت كثيرة، فيما أجاب 16.1% أنها لم تساهم باتخاذ مواقف إيجابيّة من المذاهب والفرق الإسلاميّة، الأمر الذي يعني أن ما تطرحه الفضائيات الإسلامية يحظى بالقبول والقناعة لأن غالبية النقابيين يتخذونه منطلقاً لهم في اتخاذ مواقف ايجابية من المذاهب والفرق الإسلامية.

جدول رقم (25): مناقشة الآخرين في مضامين البرامج التي تبثها للفضائيات الإسلامية

مناقشة المضامين	التكرار	النسبة
دائما	46	14.5
احيانا	126	39.7
نادرا	89	28.1
لا	56	17.7
المجموع	317	100.0

وأوضحت بيانات الجدول رقم (25) أن 39.7% من النقابيين يحاورون الآخرين ويناقشونهم (أحياناً) في مضامين البرامج التي يشاهدونها على هذه الفضائيات وأن 28.1% نادراً ما يتحاورون مع غيرهم في هذه المضامين وأن 14.5% يتحاورون مع غيرهم في مضامينها بشكل دائم، فيما أجاب 17.7% أنهم لا يلجأون إلى ذلك.

ويتضح من خلال هذه النتائج أن النقابيين يتحاورون مع الآخرين فيما تقدمه الفضائيات من مضامين، مما يعني أن هذه الفضائيات تقدم برامج وموضوعات على درجة من الأهمية بحيث تفتح مجالات من الحوار والنقاش حولها.

جدول رقم (26): الموضوعات التي يناقشها النقابيون مع الآخرين

الموضوعات	التكرار	النسبة
موضوعات في العقيدة	129	20.2
موضوعات مذهبية	77	12.1
شخصيات إسلامية	76	11.9
أحداث في التاريخ الإسلامي	75	11.8
موضوعات وعظية وإرشادية	129	20.2
أناشيد ومدائح إسلامية	44	6.9
موضوعات في التربية الاسلامية	93	14.6
اخرى اذكرها	15	2.4
المجموع	638	100.0

وأظهرت بيانات الجدول رقم (26) أن الموضوعات الوعظية والإرشادية وموضوعات العقيدة تقدمت كثيراً على غيرها من الموضوعات التي يتم الحوار بين النقابيين حولها، إذ حصل كل منها على 20.2%، تلاها في المرتبة الثالثة الموضوعات التي تتناول قضايا التربية الإسلامية بما نسبته 14.6%، ثم الموضوعات المذهبية في المرتبة الرابعة بنسبة 12.1% فالشخصيات الإسلامية بنسبة 11.9% في المرتبة الخامسة، والحوادث التاريخية بنسبة 11.8% في المرتبة السادسة والأناشيد والمدائح الإسلامية في المرتبة السابعة بنسبة 6.9% وغير ذلك بما نسبته 2.4%.

جدول رقم (27): اتجاهات الأفكار والآراء التي تطرحها الفضائيات الإسلامية

الاتجاهات	التكرار	النسبة
معتدل	188	59.3
متطرف	35	11.0
لا ادري	94	29.7
المجموع	317	100.0

وعن اتجاهات الآراء والأفكار التي تطرحها الفضائيات الإسلامية في موضوعاتها وبرامجها، أوضحت بيانات الجدول رقم (27) أن 59.3% من النقابيين يرون أنها تطرح أفكارها وآراءها بشكل معتدل، فيما يرى 11% أنها تطرحها بشكل متطرف، بينما أجاب 29.7% أنهم لا يدرون عما إذا كانت معتدلة أم متطرفة.

ويتبين من هذه النتائج أن الخطاب الإعلامي لهذه الفضائيات يغلب عليه روح الاعتدال، وهي بالتالي تنطلق من المرتكزات التي يقوم عليها الدين الإسلامي والمتمثلة بالوسطية والاعتدال.

جدول رقم (28): دور الفضائيات في خدمة القضايا الإسلامية

مدى الخدمة	التكرار	النسبة
دائما	87	27.4
احيانا	140	44.2
نادرا	61	19.2
لم تساهم	29	9.1
المجموع	317	100.0

أما عن دور الفضائيات الإسلامية في المساهمة في خدمة القضايا الإسلامية، أشارت بيانات الجدول رقم (28) إلى أن 44.2% من النقابيين يرون أن هذه الفضائيات ساهمت أحياناً في خدمة قضايا المسلمين، فيما يرى 27.4% أنّها كثيراً ما قامت بمثل هذا الدور، و19.2% يرون أنّ مساهمتها كانت نادرة في خدمة القضايا الإسلاميّة، أما الذين لا يرون أنها ساهمت في خدمة هذه القضايا فبلغت نسبتهم 9.1% .

ويتضح من خلال هذه النتائج أن النقابيين يقدرون الدور الذي تلعبه الفضائيات الإسلامية في خدمة قضايا المسلمين.

جدول رقم (29): دور الفضائيات في التقريب بين المسلمين

التقريب بين المسلمين	التكرار	النسبة
كثيرا	66	20.8
متوسطا	113	35.6
قليلا	87	27.4
لم تقرب	51	16.1
المجموع	317	100.0

وتشير بيانات الجدول رقم (29) إلى أن 35.6% من النقابيين يرون أن الفضائيات الإسلامية ساهمت بشكلٍ متوسط في التقريب بين المسلمين، فيما يرى 27.4% أنّ مساهمتها كانت قليلة، و20.8% يرون أنّ مساهمتها كانت كثيرة، وأنّ 16.1% يرون أنّ الفضائيات الإسلاميّة لم يكن لها أي دور في التقريب بين المسلمين. وهذا يعني أن غالبية الموضوعات والقضايا التي تطرحها الفضائيات الإسلامية تقوم على ما يجمع بين المسلمين، وتبتعد عما يفرق بينهم، مما يعني أنها تنحى عن إثارة الموضوعات الخلافية والجدلية، الأمر الذي يقود للإشارة إلى رسالة الإسلام التي تحض على الوحدة والتضامن والتكافل بين المسلمين، والذي يبدو أن موضوعات هذه الفضائيات اتخذت منها مرتكزاً في خطابها الإعلامي.

جدول رقم (30): دور الفضائيات الإسلامية في عكس صورة إيجابية عن الإسلام والمسلمين

عكس الصورة	التكرار	النسبة
دائما	83	26.2
احيانا	155	48.9
نادرا	51	16.1
لم تعكس	28	8.8
المجموع	317	100.0

أما عن دور الفضائيات الإسلامية في عكس صورة إيجابية عن الإسلام والمسلمين فقد جاءت النتائج التي تضمنها الجدول رقم (30) مؤكدة للنتائج التي وردت في الجدول رقم (29) وغيرها من النتائج السابقة، فقد أجاب ما نسبته 48.9% من النقابيين أن هذه الفضائيات ساهمت أحياناً في عكس صورة ايجابية عن الإسلام والمسلمين، فيما يرى 26.2% أنّ هذه الفضائيات تساهم دائماً في عكس صورةٍ إيجابية، و16.1% يرون أنّها نادراً ما تقوم بهذا الدور، في حين أنّ 8.8% يرون أنّها لم تقم بمثل هذا الدور.

ويتبين من هذه النتائج أهمية مثل هذه الفضائيات وبالتالي حاجة المجتمع الإسلامي لطبيعة الأدوار التي تقدمها هذه الفضائيات في خدمة قضايا المسلمين وفي عكس صورة إيجابية عن رسالة الإسلام السمحة.

الخلاصة:

- أوضحت نتائج الدراسة أن غالبية النقابيين في محافظة إربد يتعرضون للفضائيات الإسلامية، وأن حجم التعرض متقارب بين الجنسين (الذكور والإناث)، وأن الأطباء البيطريين جاءوا في طليعة النقابيين الذين يشاهدون هذه الفضائيات فيما ارتفعت نسبة الذين لا يشاهدونها بين الأطباء وأطباء الأسنان.
- جاء النقابيون الذين ينتمون لأحزاب إسلامية في مقدمة الذين يتعرضون للفضائيات الإسلامية، تلاهم الأعضاء في أحزاب وطنية، ثم النقابيون الذين لا تربطهم أية علاقة بالأحزاب في المرتبة الثالثة، فالنقابيون الذين ينتمون لأحزاب قومية في المرتبة الرابعة.
- أكدت النتائج أن عدداً من الفضائيات الإسلامية لم تحظ إلا بنسبة قليلة جداً من المشاهدة، مما يفرض عليها إعادة النظر في الاستمرار من عدمه، وذلك لأن وجود أكثر من 45 فضائية متخصصة في القضايا الإسلامية قد يبدو كثيراً وبالتالي يقلل من فرص الإقبال على هذه الفضائيات.
- أعرب غالبية النقابيين عن رضاهم عن مستوى البرامج والموضوعات التي تقدمها الفضائيات الإسلامية، بحيث أجاب 45.1% بأنّ مستواها جيِّد، و46.7% بأنّ مستواها متوسِّط.
- حظيت أيام الجمعة والخميس والسبت بأعلى نسبة تعرض قياساً لأيام الأسبوع الأخرى، إذ حصلت مجتمعة على 73.8%، فيما جاءت فترة المساء والسهرة في مقدمة الفترات التي يشاهد بها النقابيون القنوات الإسلامية.
- توزعت اهتمامات النقابيين في التعرض على عدد من المجالات التي تبثها القنوات الإسلامية، وكانت النسب المئوية لهذه الاهتمامات متقاربة، وجاءت في طليعتها موضوعات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بنسبة 21.9%، تلتها قضايا الوعظ والإرشاد بنسبة 20.1% ثم الفتاوى بنسبة 19% فالقضايا الفقهية بنسبة 18.1%.
- أكدت النتائج أن زيادة الثقافة الإسلامية جاء في مقدمة دوافع التعرض للفضائيات الإسلامية، تلاه اكتساب معلومات جديدة ثم ترسيخ القيم والمبادئ الإسلامية.
- أشارت النتائج إلى أن 92.7% من النقابين أوضحوا أنهم يثقون بما تقدم هذه الفضائيات من معلومات وآراء في مجالات دينية ودنيوية.

- أوضحت النتائج أن 89.3% من النقابيين يرون أن مستوى المصداقية فيما تطرحه الفضائيات تراوح ما بين جيد ومتوسط وأن نسبة قليلة (5%) يرون أنها معدومة، الأمر الذي انعكس على ثقة النقابيين بما تطرحه هذه الفضائيات من معلومات وآراء والتي جاءت أيضاً مرتفعة (92.7%)، مما ساهم في اعتماد نسبة كبيرة منهم (81.1%) في تشكيل مواقفهم وآرائهم على ما تبثه هذه الفضائيات.
- أكدت النتائج أن غالبية النقابيين يرون أن الفضائيات الإسلامية ساهمت في خدمة قضايا الإسلام والمسلمين، وأن غالبيتهم أيضاً يرون أنها ساهمت في التقريب بين المسلمين من خلال ما تعرضه من موضوعات وقضايا، وأنها عملت على عرض صورة ايجابية عن الاسلام والمسلمين، الأمر الذي يعني أن خطابها الإعلامي حظي بالقبول والاستحسان لدى النقابيين.

توصيات الدراسة:

وفي ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة فإن الباحثين يوصيان بما يلي:

- ضرورة استمرار الفضائيات الإسلامية بعرض القضايا والموضوعات الحساسة دينياً بموضوعية واعتدال، بعيداً عن التشنج والتزمت وأساليب احتكار الحقيقة، لأن مثل هذا التشنج والتطرف الذي تمارسه نسبة قليلة من هذه الفضائيات لا يخدم القضايا الإسلامية.
- تطوير قدرات الكوادر الإعلامية العاملة في هذه الفضائيات من خلال الدورات التدريبية، وإطلاعهم على أحدث المستجدات في مجال العمل التلفزيوني.
- ضرورة التنسيق بين القنوات الإسلامية بإقامة اتحاد أو نقابة بين هذه القنوات، للخروج بخطاب إعلامي يقوم على إشاعة المحبة والسلام بين المسلمين.
- زيادة عرض النشرات الإخبارية والبرامج السياسية والحوارية لأهميتها بالنسبة للمشاهدين من جهة، وعدم تعارضها مع كونها فضائيات إسلامية متخصصة من جهة أخرى.
- أن تعمل الفضائيات الإسلامية على ايلاء موضوعات التسلية والترفيه أهمية أكثر مما هي عليه الآن في برامجها، شريطة أن تكون برامج الترفيه ملتزمة بأخلاقيات المجتمع وتقاليده.
- العمل على التصدي لحملات التشويه المستمرة ضد الدين الإسلامي.
- الاعتماد على كوادر إعلامية من الرجال والنساء تمتاز بالحضور التلفزيوني.

Islamic Media Satellite Channels... Appeasement or fragmentation

Hatem Al Alawneh, *Department of Journalism, Faculty of Mass Communication, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Ezzat Hijab, *Department of Radio and Television, Faculty of Mass Communication, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

The study aims at drawing attention to the role Islamic Media saelite Channels play in either bridging the gaps of understanding or further its fragmentation from the viewpoint of syndicates members in the province of Irbid. It further sheds light on the magnitude and scope of exposure that such media outlets constitute and the incentives behind their follower's loyalty and the needs it feeds.

Considered a first initiative of its kind, a survey method using a questionnaire was employed to collect the data. A total sample of 376 syndicates represent the seven unions that constitute Irbid province's Union/Syndicates.

Results came out to prove that the majority of the study's subjects receive constant exposure to Islamic media outlets and that they are represented by those who are registered affiliates in various Islamic movements.

The study further shows that the majority of syndicates expressed satisfaction for the topics and programs presented by such outlets and that their level of credibility proved to be one of a high level, peaking to around 92.7% of the syndicates' confidence.

Results confirmed that syndicates members see Islamic Media outlets, through their popular support, as contributing to Islamic issues, bridging the gaps among them, as well as portraying a positive image about Islam and Muslims in general.

قدم البحث للنشر في 2009/2/2 وقبل في 2009/6/16

الهوامش:

1- **القرآن الكريم**، سورة هود، الآيتان 45-46.

2- العاني، فؤاد، **الصحافة الإسلامية ودورها في الدعوة**، بيروت مؤسسة الرسالة، 1993، ص ص 68-72.

3- إمام، سلوى، **تأثير مشاهدة الجمهور المصري للقنوات الفضائية على وسائل الاتصال في الفضائيات العربية ومتغيرات العصر**/ أعمال المؤتمر العلمي الأول للأكاديمية الدولية لعلوم الإعلام، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2005، والعلي، فوزية، **عادات وأنماط تعرض الجالية الإماراتية في بريطانيا للقنوات الفضائية في**: الفضائيات العربية ومتغيرات العصر/ أعمال المؤتمر العلمي الأول للأكاديمية الدولية لعلوم الإعلام، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2005، وخضور، أديب، **بحوث إعلامية ميدانية**، دمشق، بدون دار نشر، 1999، وفتح الله، وليد، **تعرض الصفوة المصرية لبرامج الرأي في القنوات التلفزيونية العربية**، مجلة بحوث الرأي العام، القاهرة، العدد المزدوج (1+2)، 2003.

4- الحديدي، محمد فضل، **نظريات الإعلام**، دمياط، مكتبة نانسي دمياط، 2006، ص11.

5- الموسى، عصام سليمان، **المدخل في الاتصال الجماهيري**، عمان، دار ومكتبة الكتاني، ط3، 1995، ص155.

6- الحديدي، محمد فضل، مصدر سابق، ص16.

7- أبو أصبع، صالح خليل، **الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة**، عمان، دار آرام للدراسات والنشر، 1995، ص 110.

8- نجوش، أحمد، **الاتصال والعولمة**، الجزائر، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2008، ص 100.

9- عبده، سلام احمد، **استخدامات أعضاء النقابات المهنية للمجلات النقابية والإشباعات المتحققة منها**، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، العدد الثاني والعشرون، يناير - يونيه، 2004، ص 217.

10- مكاوي، حسين عماد، والسيد، ليلى حسين، **الاتصال ونظرياته المعاصرة**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1998، ص 241.

11- أبو أصبع، صالح خليل، مصدر سابق، ص 111.

12- المصدر السابق، الطبعة الرابعة، 2004، ص ص 162-163.

13- الشامي، علاء، **دور الخطاب الديني في وسائل الاتصال في تشكيل اتجاهات الشباب المصري نحو القضايا السياسية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، القاهرة، جامعة القاهرة، كلية الإعلام، 2006.

14- دسوقي، صالح السيد، **أساليب تطوير الخطاب الديني في القنوات الفضائية العربية**، منشورات المؤتمر العلمي السنوي الثاني عشر - الإعلام وتحديث المجتمعات العربية، الجزء الثالث، القاهرة، كلية الإعلام، مايو، 2006.

15- سليم، حنان احمد، **علاقة الفضائيات الإخبارية والصحف والجماعات بتشكيل الاهتمامات نحو قضايا الإصلاح السياسي لدى الرأي العام المصري**، منشورات المؤتمر العلمي السنوي الثاني عشر - الإعلام وتحديث المجتمعات العربية، الجزء الأول، القاهرة، كلية الإعلام، مايو، 2006.

16- أنور، احمد فؤاد، **الصحافة الدينية في إسرائيل بين قضايا الصراع مع العرب والتناحر الداخلي**، القاهرة، عالم الكتب، 2006.

17- المزروعي، عيسى عيال مجيد، **صحافة الأقليات الدينية في العراق**، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، جامعة بغداد، كلية الإعلام، 2007.

18- الشماس، عيسى، **تأثير الفضائيات التلفزيونية الأجنبية في الشباب** - دراسة ميدانية على طلبة كلية التربية بجامعة دمشق، مجلة جامعة دمشق، المجلد 21، العدد الثاني، 2005.

19- عمارة، نائلة، **دور القنوات الفضائية في تشكيل معارف واتجاهات الجمهور العربي نحو العولمة**، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، جامعة القاهرة، كلية الإعلام، العدد 25، يوليه - ديسمبر، 2005.

20- الدواوسة، سلاح، **استخدامات الجمهور الفلسطيني للقنوات الفضائية العربية والإشباعات المتحققة**، رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، 2002.

21- خرينو، سامر، **الصحافة الإسلامية، والتعددية السياسية في الأردن 1990-2000**، عمان، دار الينابيع للنشر والتوزيع، 2001.

22- حسين، سمير محمد، **دراسات في مناهج البحث العلمي- بحوث الإعلام**، القاهرة، عالم الكتب، ط3، 1999، ص 123.

23- عمر، السيد احمد مصطفى، **البحث الإعلامي - مفهومه وإجراءاته ومناهجه**، بيروت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ط2 - 2002، ص 210.

24- عليان، ربحي وغنيم، عثمان، **مناهج وأساليب البحث العلمي - النظرية والتطبيق**، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع، 2000، ص 43.

25- العتابي، جبر مجيد، **طرق البحث الاجتماعي**، الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، 1991، ص 54.

26- قنديلجي، عامر، **البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات**، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1992، ص 86.

27- غيغلون، رودولف وماتالون، بنيامين، **البحث الاجتماعي المعاصر - مناهج وتطبيقات،** ترجمة علي سالم، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط2، 1986، ص 38.

28- حصل الباحثان من إدارة مجمع النقابات المهنية في إربد على قائمة بإعداد النقابيين في النقابات السبع المكونة للمجمع بتاريخ 2008/12/5.

29- عرض الباحثان الإستبانة على عدد من المختصين من بينهم الاستاذ الدكتور عبد الخالق ختاتنة من قسم علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية بجامعة اليرموك، والدكتور علي نجادات من قسم الصحافة بكلية الإعلام والأستاذ محمد جهاد الشريدة من قسم العلاقات العامة بكلية الإعلام والأستاذ محمد أنيس المحتسب من قسم الإذاعة والتلفزيون بكلية الإعلام - وأخذ الباحثان بآرائهم واقتراحاتهم لتصبح الإستبانة جاهزة للتوزيع على عينة الدراسة.

تطوير مقياس لرأس المال الاجتماعي عبر الإنترنت في المجتمع الأردني

محمد الحوراني*

ملخص

سعت هذه الدراسة إلى تطوير مقياس لرأس المال الاجتماعي عبر الإنترنت في المجتمع الأردني، وبيان محتوى رأس المال الاجتماعي الترابطي والتجسيري لدى مستخدمي الإنترنت، لقد تمت ترجمة مقياس دمتري وليامز (Williams: 2006) ومن ثم تم تطبيقه على عينة مكونة من (281) مستخدماً للإنترنت في مقاهي الإنترنت بشارع الجامعة في مدينة اربد والمسجل في موسوعة غينس للأرقام القياسية. طبق التحليل العاملي على فقرات المقياس الأصلي (51 فقرة) واعتبر مستوى التشبع (0.500) فأكثر محكاً لاحتساب الفقرات. وكانت النتيجة أن تشبعت (31) فقرة منها (13) فقرة لمقياس الترابط الفرعي، و(18) فقرة لمقياس التجسير الفرعي، كما قد كشف التحليل العاملي بطريقة المكونات الأساسية عن (10) عوامل. أما ثبات المقياس فقد كان باستخدام كرونباخ ألفا وكانت قيمته (0.91). وهو مؤشر عال للثبات الإتساق الداخلي للفقرات. لقد أظهرت الدراسة وجود رأس مال اجتماعي تجسيري وترابطي لدى مستخدمي الإنترنت، كما لم تظهر فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى متغيرات الجنس، أو مكان الإقامة، أو المستوى التعليمي، أو الحالة العملية أو الديانة، أو العمر، أو الدخل الشهري للأسرة.

مقدمة:

لقد أصبحت التأثيرات الاجتماعية للإنترنت سؤالاً مركزياً في الدراسات السوسيولوجية المعاصرة، فقضاء وقت معين على الإنترنت كوجبة يومية أو أسبوعية، قد لا يمر دون تغيير في بعض أنماط السلوك، ولذلك فقد يكون متعذراً إيجاد أي باحث يؤكد حيادية الإنترنت أو خلوها من أي آثار اجتماعية. ولذلك يوصي بول ديماجيو Dimaggio أن علماء الاجتماع يحتاجون إلى دراسة الإنترنت بصورة أكثر فاعلية، وبشكل خاص يحتاجون إلى توليف نتائج البحث بين مستوى سلوك الفرد المستخدم للإنترنت والتحليل بعيد المدى للمؤسسات والعوامل السياسية – الاقتصادية التي تقيد ذلك السلوك (Dimaggio, et al, 2001:307).

هناك خلاف كبير حول أي نوع من التأثيرات تولدها الإنترنت، وعلى أي نواحي الحياة الشخصية والاجتماعية يقع التأثير، وأي نوع من الاستعمال يؤثر في حياة الأفراد، كما دار الجدل حول ما إذا كانت الإنترنت تعمل على زيادة رأس المال الاجتماعي أو تعزيزه، أو ما إذا كانت

* قسم علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

تعمل اختزاله وتقليله. لقد ذهب المتفائلون مثل دي كيرتشوف De kerchhove إلى أن الإنترنت تقدم طرق جديدة وأفضل للاتصال (De kerchhove: 1997). كما ذهب ولمان Wellman إلى أن الإنترنت تخلق أشكالاً جديدة من التفاعل والعلاقات الاجتماعية وتعمل على إعادة إنتاج المجتمع من خلال تزويد الأفراد بفضاء للقاء يتجاوز حدود الزمان والمكان، وأكد سبرول Sproull أن الإنترنت تتيح فرصة توليد وفتح خطاب ديموقراطي، وبالمثل يذهب كابور Kapor إلى أن الإنترنت تسمح بتفاعل منظورات وتوجهات متعددة، كما يجادل تارو Tarrou أن الإنترنت تمكن من تجميع وتحريك فعل جمعي. (See: Haase et al: 2002:p3)

ويذهب المتفائلون أبعد من ذلك إلى نواحي مجتمعية مختلفة فيؤكد آن ماري سلوتر: أن الشبكات القائمة تعزز الجسور بين الحضارات وتجمع أعضاء الهيئات التشريعية من الأرجنتين حتى زيمبابوي، والمسؤولون الماليين من اليابان حتى العربية السعودية (سلوتر: 1998:9).

وتوضح جانيت موراي، أنه في المجال التربوي، يمكن للمدرسين تجاوز عزلتهم المهنية عن طريق الاتصال بزملائهم ويمكن للطلبة تجاوز عزلتهم الجغرافية والاجتماعية عن طريق المراسلة الإلكترونية، وربما يستطيع الأطفال الذين يشاركون نظرائهم من ثقافات أخرى في أحداث الحياة اليومية أن يكتشفوا نوعاً من الجماعية يتجاوز أطر السياسة والأنماط التقليدية محولاً العالم إلى قرية عالمية حقيقية. (موراي: 1996:58)

وبالمقابل يذهب المتشائمون مثل ستول Stoll إلى أن الإنترنت تأخذ الأفراد بعيداً عن محيطهم الاجتماعي، وتؤدي إلى تفكك علائقي. (Stoll: 1995)، ويعلق كلود مويس على ما يعرف بِ "شبكات الأخبار" على شبكة الإنترنت بقوله: إنه نادراً ما يتم تبادل آراء جدية حول الأخبار وقلما صدق أحد هؤلاء بأنهم أسهموا في انفتاح عقل أي شخص، فهم يميلون إلى تشجيع طرح أجوبة مبسطة على قضايا معقدة، كما أن الإنترنت أصبحت ملاذاً لعدد وافر من الجوقات الأحادية الاهتمامات والمنعزلة عن بقية العالم، أما صحف الإنترنت التي تعد وفقاً لطلب الزبون فهي بدعة أخرى من البدع التي تحمل في طياتها الكثير من الوعود فيما يتعلق بانتشار الأخبار الدولية وبناء القرية الكونية (مويس: 1998:26).

على المستوى العربي يلاحظ نبيل علي في **كتابه الثقافة العربية وعصر المعلومات**: أن الجنس كالوباء عبر الإنترنت وهو ما يمثل خطورة على جميع الأعمال، فهو يقحم الأطفال في الأمور الجنسية قبل أوان نضجهم ويستغل في المراهقين غريزة حب الاستطلاع الجنسي لديهم وهو ما يمكن استغلاله تجارياً، وكل ما نخشاه أن تستغل التجارة الإلكترونية وتجارة الجنس الخائلي، هذه القيمة الجنسية، لكي يوقعوا شبابنا في شباكهم. إن ذلك يحتاج منا إلى تطوير

أدوات برمجية لغوية وغير لغوية لترشيح مضمون المعلومات من المعلومات الضارة، وكذلك اتخاذ إجراءات تشريعية وتكنولوجية لحماية مجتمعنا من هذا الوباء الرمزي. (علي: 415:2001)

وهكذا فإن الإنترنت تنطوي على الكثير من المنافع والإيجابيات، وبالمقابل فإنها تحمل مثالب وسلبيات، ولكن إصدار الحكم يُتْرك موضوعياً للواقع الامبريقي، إذا يتوقف الأمر على طبيعة المستخدمين واهتماماتهم، ولذلك يمثل الفاعل الإنساني مركز عملية التحكم والاختيار، وتوجيه عملية الاستخدام. ومهما امتلكت الإنترنت من منافع وإيجابيات، تصبح هدامة دون شك، عندما لا يدرك المستخدمون قيمتها، وطرق استثمارها ويستخدمونها بطريقة سلبية. فكما قال صاحب النيويورك تايمز آي. اتشي سالزييررغر: **"لا جدوى من النبع ما دام الحصان يرفض الشرب"**. (أنظر: مويس: 24:1998) كما يذهب جول سويردلو: إن تلك المخترعات التكنولوجية لا تكتسب الطابع الاجتماعي إلاَ عندما يستفيد منها أحد. (سويردلو: 82:1996)

تستمد الإنترنت طباعها الاجتماعي عندما يضفي عليها الفاعل الإنساني معنى ويكسبها قيمة وبطبيعة الحال فإن اكتسباها قيمة يعني أنه يترتب على استخدامها مكاسب ومنافع يجنيها الفاعل، ولذلك فإن الإنترنت كشبكة تتيح من خلالها فرصة تدفق التفاعلات والعلاقات الاجتماعية والثقة والمكاسب المادية، والدعم الوجداني والسيكولوجي، والنواحي المعلوماتية والتنظيمية وغيرها، تستحق متابعتها بالبحث والدراسة للتعرف على مستويات استثمارها وجني المكاسب من خلالها، وبالتالي مقدار رأس المال الاجتماعي المتدفق عبرها، وهذا ما تحاول الدراسة الراهنة التعرف عليه.

مشكلة الدراسة:

لم تنبثق الإنترنت حتى عام 1982، وبدأت بالانتشار السريع تقريباً عام 1990 بعد أن أصبحت السطوح البينية البيانية متوفرة على نطاق واسع، وأمكن للمصالح التجارية المشاركة في هذا الوسط المنتشر عالمياً. إن عدد الأمريكيين الذين يستخدمون الشبكة نما من 25 مليون عام 1995 إلى 83 مليون عام 1999 إلى 55 مليون يستخدمون الإنترنت يومياً في منتصف عام 2000 كما أن كمية المعلومات المتوفرة على الشبكة قد تصاعد باطراد من أقل من 20.000 صفحة إلكترونية Website في عام 1995 إلى أكثر من 10 مليون في عام 2000 مع زيادة عدد صفحات يقدر عددها بـ 2 مليون يتم إضافتها يومياً (Dimaggio, et al; 2001:308).

إن عدد المواقع العربية على شبكة الإنترنت يقدر بـ 6% من مجموع المواقع، وبالنسبة لعدد مستخدمي الإنترنت فهو لا يزيد عن 4% من السكان حالياً بينما تصل النسبة في الدول الصناعية المتقدمة إلى 27%، وفيما يتعلق بعدد مستخدمي الإنترنت لكل ألف في بعض الدول العربية،

يستخدم الإنترنت في الأردن 19 لكل ألف، وفي الإمارات 150، وفي قطر 61، وفي لبنان 57، وفي الكويت 50، وفي عمان 20، وفي السعودية 14، وفي تونس 12، وفي مصر 6.[1]

دخلت الإنترنت السوق الأردنية في منتصف التسعينات من القرن الماضي، وخلال السنوات الماضية شهدت السوق تطورات ضخمة في هذا المجال، ولكن الأردن من بين الدول العربية وحتى العالمية تمتلك رقماً عالمياً فريداً في شارع "شفيق إرشيدات" أو ما يعرف بـ شارع الجامعة في مدينة اربد، حيث وصل عدد مقاهي الإنترنت في هذا الشارع إلى (49)[2] وهو مسجل في كتاب غينس للأرقام القياسية.

إن انتشار وتزايد استخدام شبكة الإنترنت يعني أن كماً متزايداً من المحتوى يتدفق عبرها، مما يستحق التعرف على ارتباط هذا الاستخدام برأس المال الاجتماعي، الذي يرتكز على تنوع واسع لمنافع معينة تتدفق من خلال الثقة، والتبادل، والمعلومات، والتعاون المؤسسي في الشبكات الاجتماعية، ولكن يبدو أن هناك ندرة في الأدوات اللازمة لاختبار التفاعلات عبر الإنترنت ومدى قيمتها وشمولية أبعادها، بالوقت الذي يقضي فيه الأفراد بصورة متزايدة أوقات طويلة على الإنترنت. ومن هنا، يلاحظ كوان هاس و ولمان Hasse and Wellman إن الباحثين يحتاجون إلى تطوير وإثبات مصداقية سلسلة من المقاييس لقياس رأس المال الاجتماعي في المحتوى المتدفق عبر الإنترنت. (Quan Hasse and Wellman: 2004) وإذا كان هاس وولمان يقصدان ندرة المقاييس في الولايات المتحدة، فإن مجتمعاتنا بطبيعة الحال مشمولة في هذه الملاحظة، حيث تفتقد بالفعل إلى مقاييس صادقة لقياس رأس المال الاجتماعي عبر الإنترنت.

وهكذا تتحدد مشكلة الدراسة في تطوير مقياس لرأس المال الاجتماعي عبر الإنترنت في المجتمع الأردني Internet Social Capital Scale (ISCS) وهو المقياس الذي طوره دمتري وليامز في البيئة الأمريكية Dmitri Williams (2006) من خلال تحديد أبعاد إضافية لنوعي رأس المال الاجتماعي عند روبرت بوتنام Putnam وهما: التجسير Bridging والترابط Bonding وبذلك تساهم الدراسة الراهنة في الجدل الدائر حول رأس المال الاجتماعي عبر الإنترنت من خلال التساؤل التالي: هل تعمل الإنترنت على إنتاج وتدعيم رأس المال الاجتماعي لدى مستخدميها في المجتمع الأردني؟

أهمية الدراسة:

إن رأس المال الاجتماعي عبر الإنترنت يعكس إلى حد كبير ثقافة مستخدمي الإنترنت ومستوى استثمارهم للشبكة، واستفادتهم منها، وتأثيراتها الاجتماعية عليهم، ولكن علاوة على قلة[3] الدراسات السوسيولوجية حول الإنترنت في المجتمع الأردني، مقارنة باتساع نطاق

استخدام الإنترنت، فإن أي من الدراسات لم تحاول كشف العلاقة بين استخدام الإنترنت ورأس المال الاجتماعي.

ومن هنا، تبرز أهمية الدراسة الراهنة باعتبارها المحاولة الأولى لإظهار العلاقة بين استخدام الإنترنت ورأس المال الاجتماعي، وذلك من خلال تطوير أحد المقاييس الهامة والشاملة لرأس المال الاجتماعي عبر الإنترنت، مما يساعد في إرساء المرتكزات الأساسية لبناء مقياس أردني صادق وثابت، ومن ثم تعميمه على مجتمعات عربية مختلفة. إن الدراسة الراهنة توفر، بأقل تقدير، أداة يمكن استخدامها في قياس رأس المال الاجتماعي عبر الإنترنت وربطها بمتغيرات وبيئات وفئات اجتماعية مختلفة، بالإضافة إلى استخدامها بشكل مقارن من خلال مقارنة رأس المال الاجتماعي لدى مستخدمي الإنترنت، وغير المستخدمين لها.

الإطار النظري:

1- النظريات المفسرة لرأس المال الاجتماعي:

بوجه عام، يمكن فهم رأس المال الاجتماعي من خلال مقاربته برأس المال الاقتصادي، وذلك باعتبار أن استخدامه ينتج كمية أكبر منه، ولكن بدلاً من البضائع والخدمات، فإن الأشياء المستخدمة والمنتجة هي العلاقات الشخصية والمنافع التي تأتي معها. يشكل بعض الفاعلين الاجتماعيين أثناء تفاعلهم شبكة اجتماعية Social Network تنتج روابط اجتماعية فعالة، وهي تقود بدورها إلى مخرجات إيجابية مثل الدعم العاطفي، أو القدرة على استثمار الآخرين، والاستفادة منهم. لكن ثمة جدل في أدبيات رأس المال الاجتماعي ما إذا كان رأس المال الاجتماعي سبب أو نتيجة، إذ يمثل بالنسبة لبعض الباحثين، الجماعات الاجتماعية، والشبكات التي تنتج مخرجات إيجابية، بينما بالنسبة لآخرين فإنه يمثل المخرجات بذاتها. ورغم أن الدراسة الراهنة تحاول قياس المخرجات[4] إلاّ أنه يمكن عرض الطروحات النظرية لرأس المال الاجتماعي وفق المستويات التحليلية التالية، والتي تركز على المخرجات مع إظهار أهمية الشبكات كذلك.

المستوى قصير المدى: (الأنا المندمجة Embedded Ego's)

يركز هذا المستوى التحليلي على قدرة الأنا الفردية على حشد المصادر عبر شبكة اجتماعية تندمج فيها، وبذلك يلقي الضوء على النتائج التي يحققها الفرد مع الأخذ بعين الاعتبار محتوى البناء الاجتماعي الذي يوجد فيه، من أبرز أعلام هذا المنظور جمس كولمان والجاندرو بورتزPortes.

لقد عالج كولمان Coleman رأس المال الاجتماعي في إطار نقده لنظرية الاختيار العقلاني مركزاً على ضرورة ارتباطها بالسياق الاجتماعي. وأوضح أن البناء الاجتماعي الذي ينبثق نتيجة

سعي الأفراد لمضاعفة مصالحهم الذاتية، يعمل على تقييد الفعل العقلاني، ومن ثم بدلاً من التركيز على المنهجية الفردية لا بد من التركيز على شبكات العلاقات بين الناس. ولذلك فإن الإشكالية الأساسية التي وضعها كولمان أمام نظرية الاختيار العقلاني هي مسألة الثقة Trust، مؤكداً أن رأس المال الاجتماعي يتشكل عن طريق الفعل العقلاني الذي يخلق الثقة، والالتزامات كمصادر يمكن استثمارها وقت الحاجة، وعندما يتم التفاعل باستمرار في ضوء الالتزامات عبر المجتمع، فإنه يمكن الحصول على رأس مال اجتماعي معمم، ولذلك ينظر كولمان إلى رأس المال الاجتماعي في ضوء وظيفته، فيوضح: أن رأس المال الاجتماعي بطبيعته إنتاجي Productive يجعل من الممكن تحقيق غايات معينة، لا تكون في غيابه ممكنة. (Coleman: 1988:98)

وهكذا، يفتح كولمان الباب أمام تفسيرات معيارية وثقافية لتشكيل رأس المال الاجتماعي من منظور عقلاني حيث أن وجود شبكات رأس المال الاجتماعي يمكن أن يفسر كنتيجة لنشر الثقة وتعميم توقعات التبادل.

وبالمثل، يجادل بورتز أن رأس المال الاجتماعي يشير إلى مقدرة الأفراد السيطرة على المصادر النادرة بواسطة عضويتهم في شبكات أو بناءات اجتماعية واسعة، وبهذا فإن مقدرة الحصول على رأس مال اجتماعي، ليست مقدرة كامنة في داخل الفرد، ولكنها تمثل خاصية كامنة في منظومة علاقات الفرد مع الآخرين، ولذلك فإن رأس المال الاجتماعي يمثل نتيجة للاندماجية Embeddedness. (Portes: 1995:12-13)

ورغم أن هذا الطرح متمركز حول الأنا، إلاّ أن بورتز حاول توسيع نطاق مفهوم رأس المال الاجتماعي ليشمل خصائص الشبكة نفسها مميزاً بين الاندماجية العلائقية Relational والاندماجية البنائية Structural. فالاندماجية العلائقية تصف توقعات ثنائية متبادلة ترتكز على قدرة متوقعة للفاعل أن يعزز الجزاء للآخر. أما البنائية فإنها تصف اندماج الأفراد في شبكة واسعة وهنا يتسع نطاق التوقعات وتتسع الثقة، وقد وصف بورتز الثقة في الشبكات بـ **"الثقة القابلة للتعزيز"** Enforceable trust. (Portes: 1995:14)

ويقدم بورتز نوعين آخرين من رأس المال الاجتماعي يتحركان ما وراء تفسيرات الاختيار العقلاني ويتضمنان الأخذ بالاعتبار الدافعية الثقافية المعيارية وهما. **أولاً:** إن القيمة المستدمجة (Value Introjection) يمكن أن تدفع المرء ليؤسس روابط اجتماعية أو لينقل المصادر للآخرين بموجب الأخلاقيات العامة. **ثانياً:** إن التضامن الملزم Bounded Solidarity، يدفع الأفراد إلى تشكيل رابطة اجتماعية أو نقل المصادر إلى الآخرين بموجب التطابق مع حاجات وأهداف الجماعة (Portes: 1995:15)

المستوى متوسط المدى (المنظور البنائي Structural Perspective)

يتم التركيز في هذا المستوى التحليلي على تنشيط العلاقات والروابط بين الذوات الفاعلة في الشبكات الاجتماعية، والطرق التي تتدفق بموجبها المصادر خلال الشبكة، وبذلك فإن وحدة التحليل الأساسية في هذا المنظور هي عملية تشكيل الشبكة ونتاجاتها التوزيعية أكثر من الفرد الذي يشترك في الشبكة.

وأبرز أعلام هذا المنظور رون بيرتز Burts صاحب أطروحة الثغرات البنائية Structural holes التي تركزت حول إيضاح لماذا تنحصر المصادر في شبكات معينة لرأس المال الاجتماعي بينما تستبعد أخرى؟. إن بعض الشبكات تعاني من ثغرات بنائية أو تفتقد إلى العدالة التوزيعية، ويرى بيرتز أن رأس المال الاجتماعي يمثل الدرجة التي يقترب عندها بناء الشبكة من المصادر ويسيطر عليها بالنسبة لمختلف المتعاقدين في الشبكة، وبذلك فإن النتائج بالنسبة لأي مشترك يمكن أن تُعزى كوظيفة لبناء الشبكة الكلي. (Burts: 1993:68)

ولذلك يؤكد بيرتز أن **"مَنْ"** Who يستفيد من الشبكة يعد أمراً ثانوياً بالنسبة إلى **"كيف"** How يستفيد من تلك المصادر في بناء الشبكة، ولذلك فإن اتخاذ الشبكة كوحدة تحليل بذاتها يساعد في فهم الثغرات البنائية، وتمايزات الاستحواذ على المصادر بين الشبكات. (Burts: 1993:68)

المستوى بعيد المدى: (منظور البنية المندمجة The Embedded Structure)

يركز هذا المستوى على اندماج شبكة رأس المال الاجتماعي في الأنساق الكبرى للاقتصاد السياسي أو الأنساق الثقافية المعيارية، وضمن هذا المنظور يأخذ بعين الاعتبار ما يلي:

1) تحديد أنواع وكميات المصادر المتوفرة للشبكة عبر الوقت.
2) تحديد أي نوع من الفاعلين هم الذين يكونون الروابط.
3) طرق إضفاء للشرعية على الإجراءات وتنظيمها.
4) طرق بناء وتطبيق الجزاءات بالاستجابة إلى انتهاك نظامية النسق.
5) طرق وصف وتنظيم المكانة الاجتماعية في الشبكة.
6) طبيعة الدوافع التي تضع إجراءات الشبكة.
7) آليات تنظيم المنافسة بين الشبكات.

وضمن هذا المنظور قدم ثوماس براون Brown نظرية حول تأثير العوامل الثقافية في شبكات رأس المال الاجتماعي، وبشكل خاص التشكيلات الصناعية تأثرها من جانب الطلب بالعوامل الثقافية. (Brown: 1997)

كما قدم كل من زكن وديماجيو Zukin and Dimaggio مفاهيم ضمن هذا الإطار مثل 1) الاندماجية السياسية: والتي تشدد على ارتباط الفعل الاقتصادي لشبكات رأس المال الاجتماعي بالمحتوى السياسي الأوسع. 2) الاندماجية الثقافية، والتي تشدد على أن الديناميات الاقتصادية، والأدوار العلائقية تحدد وتشكل من قبل الثقافة (Zukin and Dimaggio: 1990:17)

وضمن طروحات هذا المنظور فقد ارتبط مفهوم رأس المال الاجتماعي لدى بيار بورديو Pierre Bourdieu بأفكاره حول الطبقة، ولذلك فإن فهمه لرأس المال الاجتماعي يؤكد على الصراعات، ووظيفة القوة (العلاقات التي تزيد قدرة الفاعل ليحقق مصالحه)، والمواقع الاجتماعية، والانقسامات الاقتصادية، والثقافية، وبهذا يصبح رأس المال الاجتماعي أحد مصادر النضال الاجتماعي الذي ينفذ في معظم الحقول الاجتماعية المختلفة. (Siisianen: 2000:1)

عمل بورديو على توسيع فكرة رأس المال الاجتماعي لتشمل جميع أشكال القوة سواء كانت مادية، أم ثقافية، أم اجتماعية، أم رمزية، فالأفراد يستحضرون مصادر ثقافية واجتماعية ورمزية مختلفة من أجل المحافظة على مواقعهم ووضعهم في النظام الاجتماعي ويوضح بورديو أن مثل هذه المصادر تمثل رأس مال عندما تقترن بعلاقة قوة اجتماعية بحيث تصبح موضوعات ذات قيمة يناضل الأفراد من أجلها (Swartz: 1997:74)، ولذلك يعرف بورديو رأس المال الاجتماعي بأنه "تجميع مصادر فعلية أو ممكنة ترتبط بشبكة قوية متينة قائمة على العلاقات الممأسسة للمعارف الشخصية التبادلية، والوعي، وبمعنى آخر، عضوية جماعة تقدم لكل واحد من أعضائها عائد من رأس المال الممتلك للمجموعة" (Flora: 1998:488) إن رأس المال الاجتماعي لدى بورديو يمثل شبكة علاقات تجسد رصيداً من المصالح والقوة والهيبة، والتي تتفاعل مع ما أطلق عليه بورديو الحقل والآبيتوس Field and Habitus، فالحقل يمثل شبكة علاقات موضوعية تتخلل أوضاع اجتماعية متمايزة، وهي تعرف موضوعياً من خلال التحديدات المفروضة على من يحتلونها وشكل بناء توزيع القوة أو رأس المال، بمعنى آخر، يمثل الحقل جملة أوضاع متمايزة يواكب بعضها بعضاً ويحدد بعضها بعضاً من حيث سمتها الخارجية المتبادلة وعلاقات القرب أو الجوار أو البعد وكذلك بعلاقات ترتيب مثل فوق وتحت وبين. (بورديو: 61:2000)

أما الآبيتوس فهو يمثل الثقافة التي ينتجها الأفراد ديالكتيكياً من خلال تفاعلهم مع مواقعهم والموضوعات المفروضة عليهم، ولذلك فهو ينعكس في تمايزات القوة والطبقة ويعتمد على موقع

الفرد في العالم الاجتماعي، ويحدد طرق التفكير وأسس الاختيار لدى الأفراد. (Ritzer: 1992:483)

من الملاحظ أن المستويات التحليلية المختلفة لرأس المال الاجتماعي ترتكز على أربع مسائل مشتركة وهي: أ) شبكة اجتماعية يؤسسها الأفراد المنخرطين في تحقيق مصالح معينة. ب) دافعية الأفراد للانخراط في الشبكة. ج) وعي الفاعلين بضرورة هذه الشبكة وأهميتها. د) صيانة الشبكة من خلال الثقة والتعاون والتوقعات المتبادلة. ولكن سحب هذه الاعتبارات على شبكة الإنترنت يتطلب الحذر، فالإنترنت بالنسبة لمعظم مستخدميها تمثل شبكة جاهزة، ولكنها تتضمن مصادر متنوعة، غير أن جاهزيتها قد تحول دون إدراك أهميتها والمصادر التي تنطوي عليها، بالمقارنة مع الشبكات الاجتماعية التي يؤسسها الأفراد ويدركون ما يترتب على الانخراط فيها.

2- رأس المال الاجتماعي عند روبرت بوتنام (التجسير والترابط) Bonding and Bridging

يوضح روبرت بوتنام Putnam في كتابه لعب البولنج وحيداً Bowling alone أن رأس المال هو: "الشبكات الاجتماعية ومعايير التبادل الممأسسة فيها والمرافقة لها وعوائدها" مشيراً إلى أن رأس المال الاجتماعي يتضمن كل من الشبكة ونتاجها. (Putnam: 2002)

وتحدد أطروحة بوتنام ثلاثة مكونات أساسية لرأس المال الاجتماعي هي: 1) الالتزامات الأخلاقية والمعايير. 2) القيم الاجتماعية وبشكل خاص الثقة. 3) الشبكات الاجتماعية وبشكل خاص الجمعيات التطوعية، ويترتب على ذلك حسب بوتنام، أن المجتمع إذا حقق نظاماً اقتصادياً يعمل بصورة فعالة ومستوى عال من التكامل السياسي، فإن ذلك نتيجة لنجاح المجتمع في تجميع رأس مال اجتماعي. (Putnam: 2000)

بمعنى آخر، فإن بوتنام ينظر إلى رأس المال الاجتماعي من خلال تحديد الخصائص أو السمات التي تكون رصيد داخل التنظيم الاجتماعي، وأن امتلاك الجوانب الإيجابية من هذه الخصائص مثل الثقة البناءة، والمعايير الإيجابية، والشبكات الاجتماعية البناءة، تمكن المجتمع من أن يؤدي وظائفه على نحو أكفأ وأفضل، كما أنها تسهل التنسيق بين الأفعال الاجتماعية المختلفة. (أنظر، زايد، 6:2006)

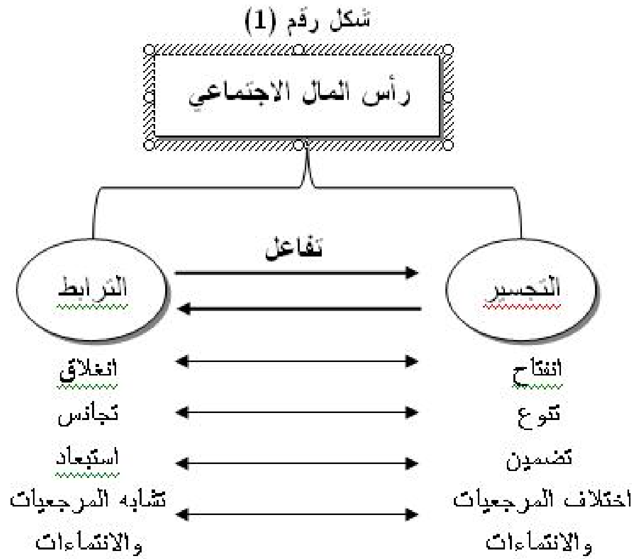
إن الشبكات الاجتماعية وما يتخللها من تفاعلات تختلف كيفياً عن بعضها، مما يقود إلى إنتاج أنماط ومستويات مختلفة من رأس المال الاجتماعي، ولذلك فقد أسس بوتنام نموذجاً نظرياً يسمح بمناقشة أنواع مختلفة من رأس المال الاجتماعي عندما يكون هناك شبكات ومعايير مختلفة في المكان، وأبرز أنواع رأس المال الاجتماعي المقترحة هي: التجسير Bridging والترابط

Bonding. وبالنسبة لبوتنام فإن هذان النوعان من رأس المال الاجتماعي مترابطان ويكملان بعضهما، ولكنهما ليسا متطابقين أو متكافئين. (Putnam: 2000)

يتخذ رأس المال الاجتماعي التجسيري صيغة امتدادية تجاوزية، ولذلك – حسب تعبير بوتنام – فإنه شمولياً وتضمينياً Inclusive، وهو يتشكل عندما يتصل أفراد من مرجعيات، وانتماءات ومستويات اجتماعية مختلفة عبر الشبكة مع بعضهم، ولذلك فإن التجسير، رغم ما يبنيه من علاقات مؤقتة، يوسع الأفق الاجتماعي، ووجهات النظر العالمية، ويفتح الفرص لمعلومات ومصادر جديدة وبمستوى منخفض يقدم القليل من الدعم العاطفي والوجداني، وهكذا فإن رأس المال الاجتماعي التجسيري يتضمن دافعية التواصل رغم الاختلافات ويبني الجسور العلائقية والمعرفية والمادية عبر المسافات ويكرس وجود المرونة والانفتاح في التفاعلات. (Putnam: 2000)

وبالمقابل فإن رأس المال الاجتماعي الترابطي يتخذ صيغة إنغلاقية، ولذلك فهو استبعادياً وحصرياً Exclusive، وهو يتشكل عندما يتصل أفراد روابط قوية مع بعضهم مثل: أبناء عائلة واحدة أو أصدقاء، ولذلك فإن رأس المال الترابطي يُبنى على قاعدة اتصالات شخصية قوية تتضمن تبادلية مستمرة Reciprocity، تزود الأفراد بالدعم العاطفي والوجداني، والتضامن، والعوائد المادية، والاجتماعية، وهكذا فإن رأس المال الاجتماعي الترابطي يستبعد الاختلافات في الانتماءات والمرجعيات الاجتماعية والعقائدية، ويكرس التشابه والتجانسية ويحفز النفور من التنوع والاختلاف. (Putnam: 2000)

شكل رقم (1)



الدراسات ذات الصلة:

تفتقد المنطقة العربية عموماً، والأردن بصفة خاصة إلى الدراسات العلمية حول رأس المال الاجتماعي عبر الإنترنت وفق رؤية نظرية محددة، وتركزت معظم الدراسات الأردنية بوجه محدد على استخدام الإنترنت في المجال التربوي وكذلك على أنواع الاستخدام ودوافعه، وبعضها تناول قضايا اجتماعية جزئية، كتأثير استخدام الإنترنت في العلاقات الاجتماعية، غير أن الموضوع لاقى اهتماماً بالغاً في الدول الغربية بشكل خاص في الولايات المتحدة الأمريكية، ولذلك سوف يتم عرض الدراسات الأمريكية أولاً، ثم بعد ذلك الدراسات الأردنية والعربية ذات الصلة.

درس دمتري وليامز Dimitry Williams رأس المال الاجتماعي عبر الإنترنت بهدف تطوير أداة قادرة على قياس رأس المال الاجتماعي عبر الإنترنت لدى مستخدمي الشبكة، ومن ثم لمقارنة رأس المال الاجتماعي لدى المستخدمين عبر الشبكة وخارج الشبكة، أجريت الدراسة على عينة تتألف من (884) متطوعاً من الولايات المتحدة عبر الشبكة وذلك من خلال البريد الإلكتروني E-mail. خلص دمتري إلى تطوير مقياس عام لرأس المال الاجتماعي يتكون من مقياسين فرعيين، أحدهما يتعلق بالتجسير Bridging، والآخر يتعلق بالترابط Bonding، وذلك باستخدام أسلوب لكرت Likert والتحليل العاملي Factor analysis، حيث صيغت أبعاد كل مقياس اشتقاقاً من طروحات روبرت بوتنام حول رأس المال الاجتماعي، وتم تطويرها بطرح تساؤلات إضافية تتناسب مع أبعاد كل مقياس فرعي. وقد كانت النتيجة النهائية لاختبار المقياس المطور أن تشبعت (10) فقرات لمقياس التجسير من أصل (27) فقرة، كما تشبعت (10) فقرات لمقياس الترابط من أصل (22) فقرة. أما العوامل المتشبعة في مقياس التجسير فقد تمثلت في الحصول على معلومات نافعة من الخارج، والتفاعل مع العالم الخارجي. والتواصل مع عدد أكبر من الناس، ومشاهدة المرء نفسه جزءاً من مجتمع أوسع، وكانت أكثر التشبعات مركزة في العامل الثاني وهو التفاعل مع العالم الخارجي، أما بالنسبة للعوامل المتشبعة في مقياس الترابط فقد كانت، الدعم العاطفي، والحصول على المصادر النادرة والقدرة على حشد التضامن، والتجانسية، وكانت أكثر الفقرات تشبعاً في عامل الدعم العاطفي وكذلك الحصول على المصادر النادرة، ولم تتشبع الفقرات التي جسدت عامل العداء الموجه خارج الجماعة. (Williams: 2006)

وقد سعت دراسة كفانوف Kavanaugh وزملاؤه إلى اختبار العلاقة بين استخدام الإنترنت ورأس المال التجسيري لدى المشاركين في الجماعات المدنية في قرية بلاكسبرغ الإلكترونية (BEV) في مدينة بلاكسبرغ. حيث أظهرت الدراسة أن الإنترنت تقدم قنوات إضافية للاتصال بين أعضاء الشبكات الاجتماعية، وبين التنظيمات التي ينتمون إليها، كما تدعم وتسهل تدفق رأس المال الاجتماعي في المجتمع وتدفع للانخراط في التنظيمات المدنية. كما أظهرت الدراسة أن

الإنترنت تسمح بتدفق المعلومات فتنمي الوعي بالقضايا العامة وتعمل على حشد الأفراد والجماعات في فعل جمعي وتنمي العلاقات الاجتماعية والانخراط في لقاءات محلية. وخلصت الدراسة إلى أن هذه الفوائد تتحقق لدى مستخدمي الإنترنت الذي يمتلكون روابط تجسيرية من خلال عضويتهم في الشبكات المدنية أصلاً أكثر من آخرين يفتقدون لها ويستخدمون الإنترنت. (Kavanough et al, 2005)

وقد توصلت دراسة جفري بواس Jeffrey Boase وزملاؤه الموسومة بـ "قوة روابط الإنترنت"، إلى أن الإنترنت تساعد في بناء رأس المال الاجتماعي، وتدعم الشبكات الاجتماعية، وتعمل على ربط الأصدقاء والأقارب عبر المسافات، ويحصل الأفراد من خلالها على مساعدة فيما يتعلق بالقضايا الهامة لحياتهم. (Boase et al: 2006)

كما أجرى باري ولمان Wellman وزملاؤه دراسة وسمت بـ "هل تزيد الإنترنت أو تقلل أو تدعم رأس المال الاجتماعي، والشبكات الاجتماعية، والمشاركة والالتزام المجتمعي". لقد اعتمدت الدراسة على مسح عام 1998 الذي شمل 39.211 زائر للصفحة الإلكترونية للجمعية الجغرافية القومية منهم (34.839) أمريكي و(4.372) كندي. والذي يمثل أحد المسوحات الإلكترونية بعيدة المدى، وقد بينت الدراسة أن تفاعل الناس عبر الإنترنت يدعم اتصالات الوجه لوجه لديهم عن طريق الهاتف، كما أن استخدام الإنترنت يرافقه زيادة في المشاركة في التنظيمات التطوعية وفي العملية السياسية، وتفاعلاً مع قضايا المجتمع وحساً أكثر بالقرابة. (Wellman et al: 2001)

وفي الدراسة التي أجراها شانيانج زهو Zhao والموسومة بِ (هل يمتلك مستخدموا الإنترنت روابط اجتماعية أكثر؟).. والتي ارتكزت على البيانات المستمدة من المسح الاجتماعي العام GSS لعام 2000 في الولايات المتحدة الأمريكية وتبين أن الإنترنت تتأثر بنمط الاستخدام فيما يتعلق بتنمية الروابط الاجتماعية، فمستخدموا الشات chat يمتلكون روابط اجتماعية أكثر من مستخدمي البريد الإلكتروني، وهناك مؤشر يوضح بأن نمو علاقات مستخدمي البريد الإلكتروني يعود إلى نمو علاقاتهم خارج استخدام الإنترنت، بينما بالنسبة لمستخدمي الشات فإن الأمر يعود إلى ما يمكن تحقيقه عبر الإنترنت. (Zhao: 2001)، وأوضح فلاجان ومتزر Flagan and Metzger في دراستهما "استخدام الإنترنت في البيئة المعاصرة لوسائل الإعلام"، إن الإنترنت تدعم اتصالات الوجه لوجه، وتتكامل مع التكنولوجيا التقليدية في تواصل الأفراد عبر المسافات البعيدة والتنظيمات التي ترتبط بنفس المصالح. (Flagan and Metzger: 2000)

لقد أظهرت دراسات عديدة أن الإنترنت تقوي الروابط الضعيفة وتدعم بناء المجتمعات المحلية وتكرس التفاعل رغم اختلاف المرجعيات. وتدفع الأفراد إلى تجاوز الخطوط السياسية

والدينية والنوع الاجتماعي، والسن، والاعتبارات الإثنية (Hamptong: 2003, Pinkett: 2003, Mandlli: 2002). وفي المقابل فقد أظهرت نتائج الدراسة التي أجراها لاروز Larose وزملاؤه الموسومة بـ "إعادة صياغة متناقضة الإنترنت: تفسيرات الإدراك الاجتماعي والإحباط لاستخدام الإنترنت". أن الاستخدام المكثف للإنترنت يصاحبه قلة اتصال مباشر، وإحباط، وشعور بالعزلة، وتقلل من قوة التفاعلات في الحياة الاجتماعية، وتفضي إلى الاغتراب. (Larose et al, 2001)

وعلى المستوى المحلي أظهرت دراسة حداد الموسومة بـ "المقاهي الإلكترونية ودورها في التحول الثقافي في مدينة اربد" والتي أجريت على عينة حجمها (180) فرداً من مستخدمي الإنترنت في المقاهي، أن الإنترنت عملت على تحقيق الانفصال والاتصال العلائقي في آن معاً، إذ في حين اختزلت الإنترنت العلاقات الاجتماعية المباشرة وأضعفت الروابط الاجتماعية والتضامن الاجتماعي داخل المجتمع الواحد، عملت من ناحية أخرى على تدعيم العلاقات بين الأقارب في مناطق بعيدة جغرافياً. (حداد: 2002)

كما أظهرت دراسة المجالي الموسومة بـ "استخدام الإنترنت وتأثيره على العلاقات الاجتماعية لدى الشباب الجامعي" أن تأثير الإنترنت في العلاقات الاجتماعية على مستوى الأسرة والعلاقات القرابية والأصدقاء لدى الشباب الجامعي محدود، وقد عزت الدراسة الأمر إلى تدني ساعات استعمال الإنترنت اليومي والأسبوعي ومحدودية استخدام الإنترنت لدى أفراد العينة في بيوتهم، كما أشارت الدراسة إلى أن الإنترنت تؤثر على العلاقات الاجتماعية في حالة استخدام الطالب للإنترنت بمفرده ويقل بمشاركة الآخرين. (المجالي: 2007)

وعلى المستوى العربي أظهرت دراسة ساري الموسومة بـ "ثقافة الإنترنت: دراسة في التواصل الاجتماعي"، والتي أجريت على عينة من الشباب القطري حجمها (472)، إن الإنترنت تؤدي إلى العزلة النفسية والاجتماعية المرتبطة بإدمان الإنترنت. ويرافقها تشكل حالة من القلق والتوتر والإحباط، بالإضافة على تذمر الأهل من انشغال أبناءهم، وتناقص علاقات الشباب بعائلاتهم، كما أظهر الشباب تذمراً من زيارات الأقارب في حال استخدام الإنترنت داخل البيت. (ساري: 2005)

كما أظهرت دراسة الخليفي الموسومة بـ "تأثير الإنترنت في المجتمع": أن الإنترنت تساعد في الغزو الثقافي، وتسبب مشاكل اجتماعية وأخلاقية وصحية بكثرة استخدامها، وأن أهم استخدامات الإنترنت تتركز في تبادل المعلومات مع آخرين والترفيه والتسلية. (الخليفي: 2002، موثق في المجالي: 2007)

تطوير المقياس:

أ- تطوير المقياس في البيئة الأمريكية:

لقد تم تطوير المقياس المستخدم في الدراسة الراهنة من قبل دمتري وليامز Dmitri Williams: 2006 من خلال توسيع نطاق طروحات روبرت بوتنام (Putnam: 2000) حول رأس المال الاجتماعي. وذلك باستخدام تساؤلات من دراسات سابقة حول رأس المال الاجتماعي كمؤشرات للأبعاد التي حددها بوتنام – سوف يأتي ذكرها عند تحديد الأبعاد –. لقد تمت صياغة (51) فقرة للمقياس الكلي وفق المعايير النظرية المحدد ضمن أبعاد كل مقياس فرعي. منها (27) فقرة لمقياس التجسير الفرعي، و(24) فقرة لمقياس الترابط الفرعي، حيث وفت كل مجموعة منها بـ (5) أبعاد لكل مقياس تم اختبار المقياس عن طريق توزيعه عبر البريد الإلكتروني على عينة من مستخدمي الإنترنت في أمريكا حجمها (884)، وكانت النتيجة النهائية للمقياس أن تشبعت (10) فقرات لمقياس الترابط الفرعي و(10) فقرات لمقياس التجسير الفرعي، لقد تم تعميم هذا المقياس ليكون أداة قادرة على قياس رأس المال الاجتماعي عبر الإنترنت، وخارج الإنترنت.

ب- تطوير[5] المقياس في البيئة الأردنية:

- تمت ترجمة فقرات المقياس من اللغة الإنجليزية إلى العربية، وتمت إعادة صياغة بعضها لتناسب المجتمع الأردني ثقافياً واجتماعياً.
- تمت الصياغة اللغوية الدقيقة للمقياس من قِبَلْ أحد المتخصصين في اللغة العربية.
- تمت مراجعة المقياس من قِبَلْ أساتذة وطلاب جامعيين لبيان مدى الوضوح.
- تمت ترجمة المقياس من قِبَلْ الباحث، كما تمت مراجعة الترجمة من قِبَلْ أستاذ متخصص في اللغة الإنجليزية وأساتذة في علم الاجتماع يجيدون اللغة العربية والإنجليزية.
- تمت مراعاة فنيات كتابة المقاييس عند كتابة الفقرات بصورتها النهائية مثل:
  - تجنب صياغة الفقرات بلغة الماضي.
  - تجنب الفقرات التي يمكن أن تفهم بأكثر من معنى.
  - تجنب الفقرات غير المناسبة لما يراد قياسه.
  - جعل لغة الفقرات سهلة وبسيطة ومباشرة.
  - أن تكون الفقرات قصيرة، وبسيطة لا مركبة.
  - تجنب الكلمات التي يمكن أن يفهمها المبحوثون (مثل إثنية، وعرقية..).

- تجنب الكلمات التي توحي بالتطرف مثل جميع، غالباً، لا أحد، إطلاقاً.
- أن تحتوي كل فقرة فكرة محددة. (الخليلي ومقابلة: 1990، موثق في البداينة: 2001).

إجراءات الدراسة:

1- مفاهيم الدراسة:

رأس المال الاجتماعي: في ضوء ما تضمنه الإطار النظري من مفاهيم متنوعة لرأس المال الاجتماعي ووفق مقتضيات الدراسة الراهنة فقد تم تعريف رأس المال الاجتماعي (إجرائياً) بأنه: نتاج الشبكات الاجتماعية من روابط واتصال ومكاسب مادية، ومعنوية، ومعلومات ومشاركة مجتمعية وسياسية.

الإنترنت: تتبنى الدراسة تعريف ديماجيو (Dimaggio et al.: 2001) للإنترنت بأنها: الشبكة الإلكترونية التي تربط الناس والمعلومات من خلال كمبيوترات وأجهزة رقمية أخرى تتيح الاتصال البينشخصي وتدفق المعلومات.

2- تحديد الأبعاد[6]:

أ- أبعاد التجسير:

1. **الحصول على معلومات نافعة من الخارج:** يتضمن هذا البعد الاستخدام الأداتي للإنترنت، ومستوى الانتفاع من المعلومات التي تقدمها الشبكة، ولذلك يعكس تساؤلات من قبيل السماع عن فرص عمل، أو أماكن تسوق جديدة، أو بضائع رخيصة أو طبيب جيد، أو كيفية التصويت في الانتخابات.
2. **التفاعل مع العالم الخارجي:** أي تفاعل الفرد خارج وجوده الضيق، وهذا يتطلب أن يكون أقل عزلة وذو عقلية متفتحة. وأكثر ارتياحاً إزاء ما يعارض مبادئه، ولذلك فإنه يعكس تساؤلات تقيس تفاعل الفرد خارج مجتمعه المحلي، وتفاعله مع موضوعات جديدة، وفضوليته إزاء الاختلافات أو الفروقات مع العالم الخارجي.
3. **التفاعل مع مرجعيات وانتماءات مختلفة:** يجسد التواصل مع نطاق أوسع من الناس ذوي تنوع واختلاف ويتضمن تساؤلات تقيس، التواصل مع ديانات أخرى، نوع اجتماعي آخر، طبقات ومهن وأعراف أخرى مختلفة.

4. **مشاهدة المرء نفسه جزءاً من مجتمع أوسع:** أي التفاعل خارج جماعة محددة كالأردنيين مثلاً، ولذلك يتضمن تساؤلات أكثر عمومية بحيث تشمل العالم الخارجي، مثل امتلاك صورة أكبر عن العالم، أو شعور المرء بأنه جزء من عالم ممتد.

5. **التبادل مع مجتمع أكثر اتساعاً:** يعكس معايير معممة للتبادل، أي منح الآخرين دون توقع شيء ما في المقابل، ويعكس تساؤلات تقيس مساعدة الغرباء، قضاء وقت في نشطات المجتمع العامة، وعمل أشياء دون توقع عائد.

ب- أبعاد الترابط:

1. **الدعم الوجداني والعاطفي:** ويتضمن تساؤلات تقيس الثقة بالآخرين في حل المشكلات، أو تلقي النصيحة أو التحدث عن المشكلات الشخصية، والتغلب على العزلة.

2. **الوصول إلى المصادر النادرة:** يجسد الأشياء القيمة بالنسبة للمتلقي والمرسل، ويتضمن تساؤلات تقيس الحصول على المال، المنفعة الاجتماعية (الصداقة)، الحصول على الصيت والسمعة، والوعي بالحقوق.

3. **القدرة على حشد التضامن:** يجسد معرفة الآخرين وإمكانية حشدهم، ويتضمن تساؤلات تقيس دافعية الفرد للقيام بعمل هام، النضال من أجل العدالة، أو المشاركة في احتجاج أو تظاهرة سلمية.

4. **العداء الموجه خارج الجماعة:** يعكس مدى رسوخ الانقسامات والانفصال والوصم عبر الشبكة ويتضمن تساؤلات تقيس الانتماء والخروج من دائرة الأصدقاء، والاختلافات الثقافية والدينية، والثقة بالآخرين من الجماعات الأخرى.

5. **التجانسية:** يعكس الأطر المرجعية والمجموعات الموجهة للارتباط بالآخرين ويتضمن تساؤلات تقيس التشابه في المعتقدات والمصالح.

3- تجريب الفقرات:

تم تجريب فقرات المقياس على عينة استطلاعية من مستخدمي الإنترنت على مرحلتين: المرحلة الأولى جرت فيها مناقشة فقرات المقياس مع (30) مستخدماً للإنترنت (ذكور وإناث)، وقد تم تسجيل ملاحظاتهم على بعض فقرات المقياس من حيث الفهم والوضوح، ثم تمت إعادة صياغة الفقرات وفق الملاحظات المسجلة، أما في المرحلة الثانية فقد تمت مناقشة الفقرات مع

(20) مستخدماً للتأكد من موائمة التعديلات أو الحاجة إلى إعادة صياغة، ثم تمت صياغة المقياس بصورته النهائية.

4- تطبيق المقياس: (مجتمع الدراسة وعينتها)

يتكون مجتمع الدراسة الفعلي من مرتادي مقاهي الإنترنت في شارع شفيق إرشيدات (شارع الجامعة) في مدينة اربد. وقد منح هذا الشارع الأردن صيتاً عالمياً في مجال مقاهي الإنترنت لكثافة تواجدها فيه وهو مسجل في موسوعة غينس للأرقام القياسية، ولذلك فإن ما يبرر اختيار مجتمع الدراسة في هذا الشارع هو كثافة المقاهي وكثافة الاستخدام.

وإذ من الصعب حصر مرتادي المقاهي عددياً لاختيار العينة، فقد تم اختيار (15) مقهى عن طريق استخدام أسلوب العينة العشوائية البسيطة، حيث بين يدي الباحث جدول يضم مواقع المقاهي وعددها تم الحصول عليه من محافظة مدينة اربد، ثم جرى استطلاعاً لوقت الذروة فيما يتعلق بتواجد مستخدمي الإنترنت في المقاهي. لقد تم تسجيل الأرقام التسلسلية للمقاهي على قصاصات ورقيت (1-49). ثم تم سحب (15) قصاصة عشوائيةً. والمقهى الذي كان يقع عليه الاختيار توزع الاستمارة على جميع المتواجدين فيه ممن يبدون تعاوناً. وهكذا حتى استوفت العينة حجمها والذي يبلغ (300) مستخدماً ومستخدمة للإنترنت، وقد تم إتلاف (19) استمارة لعدم ملائمتها فتبقى (281) استمارة وهو العدد الفعلي الذي خضع للتحليل، ويبين الجدل رقم (1) بعض الخصائص الديموغرافية والاجتماعية لعينة الدراسة.

جدول (1): بعض الخصائص الديموغرافية والاجتماعية لعينة الدراسة

المتغير	الفئة	التكرار	النسبة المئوية
الجنس	ذكر	176	62.6
	أنثى	105	37.4
مكان الإقامة	قرية	118	42.0
	مدينة	163	58.0
المستوى التعليمي	أساسي	8	2.8
	ثانوي	24	8.5
	جامعي	248	88.3
	أعلى من جامعي	1	0.4
الحالة العملية	أعمل	33	11.7
	لا أعمل	10	3.6
	طالب	238	84.7

المتغير	الفئة	التكرار	النسبة المئوية
المستوى التعليمي للأب	ما دون الثانوية	63	22.4
	ثانوي	101	35.9
	دبلوم	19	6.8
	بكالوريوس	76	27.0
	ماجستير	13	4.6
	دكتوراه	5	1.8
الحالة الاجتماعية	أعزب	2.68	95.4
	متزوج	13	4.6
الديانة	مسلم	274	97.5
	مسيحي	7	2.5
العمر	<20	179	63.7
	20-25	86	30.6
	26-30	14	5.0
	>30	1	0.4
دخل الأسرة الشهري	<200	78	27.8
	201-500	128	45.6
	501-1000	39	13.9
	1001-1500	5	1.8
	>1500	4	1.4
هل تمتلك جهاز كمبيوتر في البيت	نعم	219	77.9
	لا	62	22.1
هل تمتلك إنترنت في البيت	نعم	123	73.6
	لا	158	56.4

5- التحليل العاملي:

لقد تم استخدام التحليل العاملي الاستكشافي Exploratory Factor Analysis (EFA) من أجل اختزال الفقرات وتشذيبها، ثم تم استخدام التحليل العاملي التثبيتي (CFA) Confirmatory Factor Analysis كإجراء ملائم لاختبار بناء العوامل النهائي، مما يميز هذا النوع من التحليل أنه يوجه بالنظرية أكثر من البيانات، ويسمح للباحث باختبار النموذج السابق للفقرات المقبولة، ومن ثم تحليل البيانات لتحديد كيفية تشبع المعروضة المعروفة وكيف يتوافق النموذج مع البيانات.

الصيغة النهائية للمقياس:

أ- توزيع الفقرات وفق العوامل:

توزعت فقرات المقياس (28 فقرة) على (10) عوامل بصورة غير متكافئة، حيث تشبعت على العامل الأول (4) فقرات وسمي (الانفتاح على العالم الخارجي)، وتشبعت على العامل الثاني فقرتان وسمي (التواصل التعبوي)، كما تشبعت على العامل الثالث (5) فقرات وسمي (الحصول على المصادر النادرة) وتشبعت على العامل الرابع (3) فقرات وسمي (الأنا المعولمة)، وتشبعت على العامل الخامس (3) فقرات وسمي (الدعم العاطفي والوجداني)، وتشبعت على العامل السادس فقرتان وسمي (التواصل الأداتي)، وتشبعت على العامل السابع فقرتان وسمي (التواصل المعرفي). وتشبعت على العمل الثامن فقرتان وسمي (تواصل المساعدة)، وتشبعت على العامل التاسع فقرتان وسمي (تجاوز المرجعيات). كما تشبعت على العامل العاشر (3) فقرات وسمي (التواصل الفكري).

جدول (2): تشبعات الفقرات على العوامل بعد تدويرها

العامل	البند	الفقرة	التشبع
الأول	27	يمكنني استخدام الإنترنت من قضاء وقت أكبر لدعم نشاطات المجتمع الهامة أو المشاركة فيها.	0.716
	26	أقبل باستمرار التواصل مع آخرين جدد عبر الإنترنت.	0.695
	25	توفر لي الإنترنت أصدقاء جدد أتحدث إليهم.	0.684
	48	يساعدني استخدام الإنترنت بأن أثق بالآخرين خارج مجتمعي.	0.560
الثاني	40	تمكنني الإنترنت من تنظيم أصدقائي المقربين للاشتراك في تظاهرة سلمية.	0.829
	42	يمكن للآخرين الذي أتواصل معهم عبر الإنترنت مساعدتي في محاربة الظلم واللاعدالة.	0.598
الثالث	37	تواصلي مع الآخرين عبر الإنترنت يجعلني أكثر وعياً بحقوقي ومصالحي.	0.735
	34	أحظى بالصيت والسمعة الجيدة من خلال تواصلي مع الآخرين عبر الإنترنت.	0.720
	35	توفر لي الإنترنت أشخاص يرشدونني في أعمالي المختلفة.	0.688

العامل	البند	الفقرة	التشبع
	21	تواصلي عبر الإنترنت يجعلني أدرك أن العالم كله على اتصال دائم.	0.624
	36	أتواصل عبر الإنترنت مع آخرين يشاركونني آخر دينار معهم.	0.498
الرابع	18	تواصلي عبر الإنترنت يجعلني أشعر كأني جزء من مجتمع أوسع.	0.818
	19	تواصلي عبر الإنترنت يجعلني أمتلك صورة أكبر عن العالم.	0.686
	8	أحاول التعامل مع أشياء جديدة خلال تواصلي عبر الإنترنت.	0.534
الخامس	28	توفر لي الإنترنت العديد من الأشخاص الذين أثق بهم في حل مشكلاتي.	0.872
	29	هناك شخص ما عبر الإنترنت أطلب نصيحته عندما أريد اتخاذ قرارات هامة.	0.774
	31	عندما أشعر بالوحدة أجد العديد من الأفراد الذين أتحدث إليهم عبر الإنترنت.	0.509
السادس	1	أسمع عن فرص عمل جديدة من خلال تواصلي مع الآخرين عبر الإنترنت.	0.795
	3	أسمع عن أماكن تسوق جديدة من خلال تواصلي مع الآخرين عبر الإنترنت.	0.681
السابع	12	تواصلي عبر الإنترنت يجعلني أكثر تألماً لمشكلات المجتمعات الأخرى.	0.785
	11	تواصلي عبر الإنترنت يزيد معرفتي بأماكن أخرى في العالم.	0.726
الثامن	23	تمكنني الإنترنت من مساعدة آخر غريب في مجتمع آخر.	0.730
	22	استخدام الإنترنت يمكن الناس من مساعدة بعضهم رغم المسافات الشاسعة.	0.726
التاسع	14	أتواصل عبر الإنترنت مع آخرين من مستويات اقتصادية مختلفة.	0.817
	15	أتواصل عبر الإنترنت مع الآخرين من ديانات أخرى.	0.816
العاشر	7	تواصلي مع الآخرين عبر الإنترنت يجعلني أكثر اهتماماً بما يقع خارج مدينتي.	0.678

العامل	البند	الفقرة	التشبع
	10	تواصلي عبر الإنترنت يجعلني أكثر اهتماماً بكيفية تفكير الآخرين.	0.670
	33	إذا احتجت إلى مبلغ من المال فإنني أعرف شخص ما عبر الإنترنت يمكنني الاقتراض منه.	0.549

ملاحظة (1): لقد تم حذف العوامل التي تشبعت عليها فقرة واحدة ولذلك فإن عدد الفقرات المحسوبة في المقياس الكلي أكبر من عدد الفقرات المحوسبة في التشبع على العوامل.

ملاحظة (2): المنهج الاستخلاصي Extraction method المستخدم هو: طريقة المكونات الأساسية Principle Components، والتدوير Rotation: بطريقة فاريماكس Varimax مع توافقية كايزر Kaiser Normalization وجميع الفقرات تمثل مقولات ذات خمس نقاط (موافق بشدة إلى غير موافق بشدة) حسب مقياس لكرت، وقد اعتبرت التشبعات Loadings أكبر من 0.500 وذات معنى وتم إبقاؤها وحذفت التشبعات دون ذلك، ويعتبر التشبع 0.500 محكاً قوياً لقبول الفقرة حيث أعتمد في المقياس الأصلي 0.450 محكاً للتشبع.

ب- توزيع الفقرات على المقاييس الفرعية:

جدول (3): تشبعات الفقرات على المقاييس الفرعية /

مقياس الترابط الفرعي: Bonding Subscale

الرقم	البند	الفقرة	التشبع
1	48	يساعدني استخدام الإنترنت بأن أثق بالآخرين خارج مجتمعي.	0.560
2	40	تمكنني الإنترنت من تنظيم أصدقائي المقربين للاشتراك في تظاهرة سلمية.	0.829
3	42	الآخرين الذين أتواصل معهم عبد الإنترنت يمكن أن يساعدوني في محاربة الظلم واللاعدالة.	0.598
4	37	تواصلي مع الآخرين عبر الإنترنت يجعلني أكثر وعياً بحقوقي ومصالحي.	0.735
5	34	أحظى بالصيت والسمعة الجيدة من خلال تواصلي مع الآخرين عبر الإنترنت.	0.720
6	35	توفر لي الإنترنت أشخاص يرشدونني في أعمالي المختلفة.	0.688

الرقم	البند	الفقرة	التشبع
7	36	أتواصل عبر الإنترنت مع الآخرين يشاركونني آخر دينار معهم.	0.498
8	28	توفر لي الإنترنت العديد من الأشخاص الذين أثق بهم في حل مشكلاتي.	0.872
9	29	هناك شخص ما عبر الإنترنت أطلب نصيحته عندما أريد اتخاذ قرارات هامة.	0.774
10	31	عندما أشعر بالوحدة أجد العديد من الأفراد الذين أتحدث إليهم عبر الإنترنت.	0.509
11	30	لا يوجد عبر الإنترنت من أشعر بالارتياح للحديث معه حول مشكلاتي الخاصة.	0.529
12	33	إذا احتجت إلى مبلغ من المال فإنني أعرف شخصاً ما عبر الإنترنت يمكنني الاقتراض منه.	0.549
13	51	أتواصل عبر الإنترنت مع الآخرين الذين يشاركونني اهتماماتي.	0.680

مقياس التجسير الفرعي: Bridging Subscale

الرقم	البند	الفقرة	التشبع
1	24	لا أساعد الآخرين عبر الإنترنت ما لم أحصل على مقابل للمساعدة.	0.510
2	27	يمكنني استخدام الإنترنت من قضاء وقت أكبر لدعم نشاطات المجتمع الهامة أو المشاركة فيها.	0.710
3	26	أقبل باستمرار التواصل مع آخرين جدد عبر الإنترنت.	0.695
4	25	توفر لي الإنترنت أصدقاء جدد أتحدث إليهم.	0.695
5	21	تواصلي عبر الإنترنت يجعلني أدرك أن العالم كله على اتصال دائم.	0.624
6	18	تواصلي عبر الإنترنت يجعلني أشعر كأني جزء من مجتمع أوسع.	0.818
7	19	تواصلي عبر الإنترنت يجعلني أمتلك صورة أكبر عن العالم.	0.686
8	8	أحاول التعامل مع أشياء جديدة من خلال تواصلي عبر الإنترنت.	0.534
9	1	أسمع عن فرص عمل جديدة من خلال تواصلي مع الآخرين عبر الإنترنت.	0.795

10	3	أسمع عن أماكن تسوق جديدة من خلال تواصلي مع الآخرين عبر الإنترنت.	0.681
11	12	تواصلي عبر الإنترنت يجعلني أكثر تألماً لمشكلات المجتمعات الأخرى.	0.785
12	11	تواصلي عبر الإنترنت يزيد معرفتي بأماكن أخرى في العالم.	0.726
13	23	تمكنني الإنترنت من مساعدة آخر غريب في مجتمع آخر.	0.730
14	22	استخدام الإنترنت يمكن الناس من مساعدة بعضهم رغم المسافات الشاسعة.	0.726
15	14	أتواصل عبر الإنترنت مع الآخرين من مستويات اقتصادية مختلفة.	0.817
16	15	أتواصل عبر الإنترنت مع آخرين من ديانات أخرى.	0.816
17	7	تواصلي مع الآخرين عبر الإنترنت يجعلني أكثر اهتماماً بما يقع خارج مدينتي.	0.678
18	10	تواصلي عبر الإنترنت يجعلني أكثر اهتماماً بكيفية تفكير الآخرين.	0.670

صدق الأداة وثباتها:

صدق الأداة:

يعتبر صدق الأداة أمراً بالغ الأهمية في أي دراسة إمبريقية، حيث لا بد أن تقيس الأداة ما تزعم الدراسة أنها تريد قياسه، وقد تم التأكد من صدق الأداة باستخدام طريقة إجماع المحكمين وعددهم ثمانية محكمين، حيث أجمعوا على (99%) من فقرات المقياس باعتبارها مناسبة للمفاهيم النظرية وتعكس محتواها المعرفي، ويعد هذا مؤشر عال لصدق الأداة.

ثبات الأداة:

لقد تم احتساب الثبات بطريقة الاتساق الذاتي (كرونباخ ألفا)، لتقدير معامل ثبات الأداة وكانت قيمته (0.91). وكانت قيمة (ف = 19.6) عند (ألفا = 0.0001) وتعد هذه القيمة مؤشراً إضافياً لصدق الأداة حيث تبين مدى الاتساق الداخلي بين الفقرات والمجموع الكلي لعلامات المقياس.

جدول (4): نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لاختبار الفروقات العائدة إلى خصائص عينة الدراسة والمقاييس الفرعية (التجسير والترابط)

			مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة
الجنس	التجسير	بين المجموعات	بين المجموعات	1	0.196	1.215	0.271
		داخل المجموعات	داخل المجموعات	276	0.161		
		المجموع	المجموع	277			
	الترابط	بين المجموعات	بين المجموعات	1	0.095	0.253	0.615
		داخل المجموعات	داخل المجموعات	268	0.374		
		المجموع	المجموع	269			
مكان الإقامة	التجسير	بين المجموعات	بين المجموعات	1	0.568	3.556	0.060
		داخل المجموعات	داخل المجموعات	276	0.160		
		المجموع	المجموع	277			
	الترابط	بين المجموعات	بين المجموعات	1	0.189	0.507	0.477
		داخل المجموعات	داخل المجموعات	268	0.374		
		المجموع	المجموع	269			
المستوى التعليمي	التجسير	بين المجموعات	بين المجموعات	3	0.110	0.680	0.565
		داخل المجموعات	داخل المجموعات	274	0.162		
		المجموع	المجموع	277			

			مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة
	الترابط	بين المجموعات	بين المجموعات	3	0.299	0.801	0.494
		داخل المجموعات	داخل المجموعات	266	0.374		
		المجموع	المجموع	269			
الحالة العملية	التجسير	بين المجموعات	بين المجموعات	2	0.036	0.221	0.802
		داخل المجموعات	داخل المجموعات	275	0.162		
		المجموع	المجموع	277			
	الترابط	بين المجموعات	بين المجموعات	2	0.592	1.595	0.205
		داخل المجموعات	داخل المجموعات	267	0.371		
		المجموع	المجموع	269			
الديانة	التجسير	بين المجموعات	بين المجموعات	1	0.217	1.345	0.247
		داخل المجموعات	داخل المجموعات	276	0.161		
		المجموع	المجموع	277			
	الترابط	بين المجموعات	بين المجموعات	1	0.042	0.114	0.736
		داخل المجموعات	داخل المجموعات	268	0.374		
		المجموع	المجموع	269			
العمر	التجسير	بين المجموعات	بين المجموعات	3	0.333	2.081	0.103

			مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة
		داخل المجموعات	داخل المجموعات	273	0.160		
		المجموع	المجموع	276			
	الترابط	بين المجموعات	بين المجموعات	3	1.087	2.986	0.132
		داخل المجموعات	داخل المجموعات	265	0.364		
		المجموع	المجموع	268			
الدخل الشهري للأسرة	التجسير	بين المجموعات	بين المجموعات	4	0.140	0.851	0.494
		داخل المجموعات	داخل المجموعات	247	0.164		
		المجموع	المجموع	251			
	الترابط	بين المجموعات	1.091	4	0.273	0.782	0.538
		داخل المجموعات	83.689	240	0.349		
		المجموع	84.780	244			

مستوى الدلالة = 0.05

مناقشة النتائج:

حاولت هذه الدراسة تطوير مقياس لرأس المال الاجتماعي عبر الإنترنت في البيئة الأردنية، ذو صدق وثبات عاليين، وذلك انطلاقاً من متغيرات وعوامل مشتقة من نظرية واضحة ومحددة حول رأس المال الاجتماعي (نظرية روبرت بوتنام حول رأس المال الاجتماعي التجسيري ورأس المال الاجتماعي الترابطي). ويعد هذا المقياس الأول من نوعه في البيئة الأردنية في مجال تطوير المقاييس لرأس المال الاجتماعي المتدفق عبر الإنترنت، رغم أن هناك بعض الدراسات التي تناولت جزئيات محددة ذات صلة برأس المال الاجتماعي كما أظهرت مراجعة الدراسات السابقة.

لقد تضمنت الصورة الأصل للمقياس (51) فقرة – أنظر الملحق رقم (1) – وبعد مرور المقياس بمراحل تطويره المختلفة تبقى (31) فقرة، (13) فقرة تضمنها مقياس الترابط الفرعي،

و(18) فقرة تضمنها مقياس التجسير الفرعي، وتميز المقياس بثبات عال (كرونباخ ألفا 0.91)، وهذا مدعاة لإجراء دراسات أخرى لتطوير المقياس في بيئات مختلفة وعلى فئات اجتماعية مختلفة. إن اشتراك العينة الأردنية مع العينة الأمريكية على الأقل بعشر فقرات لكل مقياس فرعي ذو دلالة هامة على قابلية المقياس للتعميم، واستخدامه في مجتمعات وثقافات مختلفة.

كما انبثق عن عملية تطوير المقياس (10) عوامل، سمي الأول (الانفتاح على العالم الخارجي)، والثاني (التواصل التعبوي)، والثالث (الحصول على المصادر النادرة)، والرابع (الأنا المعولمة)، والخامس (الدعم العاطفي والوجداني)، والسادس (التواصل الأداتي) والسابع (التواصل المعرفي)، والثامن (تواصل المساعدة)، والتاسع (تجاوز المرجعيات) والعاشر (التواصل الفكري).

أظهرت نتائج الدراسة أن مستخدمي الإنترنت يمتلكون رأس مال اجتماعي تجسيري وترابطي وأن هذين النوعين لرأس المال الاجتماعي ليسا متناقضين، إلى حد بعيد، وهذه النتيجة تتفق مع طروحات نظرية بوتنام أن بعدي رأس المال الاجتماعي (التجسير والترابط) ليسا متناقضين (Putnam: 2000)، كما تتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة دمتري وليامز (Williams: 2007) حول تكامل المقاييس الفرعية لرأس المال الاجتماعي، ومثال ذلك أن المرء لا يكون حاملاً لعداء شديد موجه خارج الجماعة، ومنغلق على معارفه التقليدية وأصدقاءه المقربين، وبذات الوقت منفتح على العالم الخارجي ويقبل التنوع والاختلاف، ولذلك لم تتشبع الفقرات التي تعكس عامل العداء الموجه خارج الجماعة والذي يعكس رفض التواصل مع الآخرين والاقتصار على التواصل مع المقربين، وبالمقابل تشبعت الفقرات التي تعكس التبادل مع مجتمع أكثر اتساعاً، والذي يعكس مؤشرات مثل أن الإنترنت توفر أصدقاء جدد، وقبول التواصل مع آخرين جدد، والثقة بهم.

إن بعض الفقرات المتشبعة في مقياس الترابط الفرعي تظهر ضرورة ممارسة الحذر عند الاقتراب من عمومية مقياس التجسير الفرعي، ومثال ذلك، أنه رغم امتلاك الأفراد لقابلية انفتاحية واضحة إلاّ أنهم لا يميلون إلى الخوض في مشكلاتهم الشخصية الخاصة عبر الإنترنت، وربما ينبع هذا التوجه من الخصوصية الثقافية التي تحرض على إحاطة الأمور الشخصية بالسر والكتمان، والإفصاح بها إلى المقربين والأقارب الخواص فقط. وكذلك تظهر بعض الفقرات أن الأفراد يبدون قدرتهم على تنظيم وحشد أصدقائهم المقربين للاحتجاج أو تظاهره سلمية، ولذلك لم تتشبع الفقرة التي تتضمن القدرة على حشد الآخرين بصرف النظر عن صفة العلاقة، وربما تعكس هذه المسألة جانباً من الثقافة السياسية للمجمع الأردني حيث لا زال هناك تخوف وحذر من الخوض في الأمور السياسية أو الانخراط في التنظيمات المدنية والتظاهرات السلمية، ولهذا قد يدفع المرء صديقه للانضمام في تظاهرة ولكن ليس جميع من يتواصل معهم.

غير أن الفقرات المتشبعة في مقياس التجسير الفرعي تظهر استعداداً واضحاً لدى أفراد العينة للتواصل مع آخرين خارج مجتمعهم من مرجعيات وانتماءات مختلفة، والارتباط بأصدقاء جدد، والحصول على منافع مادية من آخرين والاهتمام أكثر بمشكلات المجتمعات الأخرى عن طريق التواصل عبر الإنترنت، ويمكن في هذا الخصوص تسجيل ملاحظة استمدها الباحث من الميدان أثناء فترة تطبيق المقياس، حيث أفضى بعض أصحاب مقاهي الإنترنت أثناء الحديث معهم أن هناك الكثير من الزيجات وقعت بالفعل سواء من أردنيات أو عربيات أو أجنبيات، وأن تبادل للزيارات الفعلية قد تحقق بين مستخدمي الإنترنت عبر المسافات الشاسعة، وأن دعم الآخرين مادياً أو الاقتراض منهم يحدث بصورة دائمة لدى كثير من مستخدمي الإنترنت.

تتفق نتائج الدراسة مع ما وصلت إليه دراسة بواس (Boase et al: 2006) من أن الإنترنت تعمل على بناء رأس المال الاجتماعي وتدعم الشبكات الاجتماعية وتعمل على ربط الأصدقاء عبر المسافات، كما تقدم فرصة مواتية للحصول على مساعدة. كما تتفق نتيجة الدراسة مع ما توصلت إليه دراسة كل من هامبتون، وبنكيت وماندلي. (Hampton: 2003. pinkett: 2003, Mandlli: 2002)

من أن الإنترنت تقوي الروابط الضعيفة، وتكرس التفاعل رغم اختلاف المرجعيات وتدفع الأفراد إلى تجاوز الخطوط السياسية والدينية، والاعتبارات الإثنية.

كما أن مقياس رأس المال الاجتماعي عبر الإنترنت ببعدية (التجسير والترابط) يتجاوز الفرضيات الجزئية لأثر الإنترنت الاجتماعي في البيئة الأردنية، وخاصة مجال العلاقات الاجتماعية والذي ركزت عليه الدراسات الأردنية (المجالي: 2007، حداد 2002)، حيث يقدم المقياس رؤية أكثر شمولية لجملة العوائد المتدفقة عبر الإنترنت، ويتخطى إشكاليات التعميمات المبسطة. حيث أن من أبرز التطبيقات العملية للمقياس تتمثل في تحديد المستوى الكلي للفائدة التي يجنيها مستخدموا الإنترنت في مستويات مختلفة منها على سبيل المثال، العلاقات الاجتماعية، وما يترتب عليها من عوائد.

يمكن استخدام المقياس للكشف عن علاقة رأس المال الاجتماعي ببعض أنواع استخدام الإنترنت مثل البريد الإلكتروني E-mail أو الشات Chat Room، كما يمكن مقارنة رأس المال الاجتماعي المتشكل من خلال مختلف أنواع الاستخدام، كما يمكن إضافة مؤشرات (فقرات) جديدة لأبعاد المفاهيم النظرية (التجسير والترابط) أو إضافة أبعاد جديدة، وبذلك فإن هذا المقياس يوفر قاعدة انطلاق لدراسات ذات فرضيات مختلفة حول رأس المال الاجتماعي عبر الإنترنت. علاوة على إمكانية استخدام المقياس كأداة للمقارنة بين رأس المال الاجتماعي المتشكل عبر الإنترنت ووسائل الاتصال الأخرى.

Developing Internet Social Capital Scale in Jordanian Society

Mohammed Al-Hourani, *Department of Sociology and Social Work, Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

This study aimed at developing internet social capital scale (ISCS) in Jordanian society, then, to reveal the content of two types of social capital (Bonding and Bridging) for internet users, Dmitri Williams scale's was translated and applied on a sample of (281) internet users in the caves of university street in Irbid city.

Factor analysis was used, and loadings over 0.500 were accepted. (13) Items were in bonding subscale and (18) items were in bridging subscale. Principle components analysis developed (10) factors and reliability was (0.91). The findings of the study showed that internet users have social capital (bonding and bridging), and there are no statistically significance of Gender, place of residence, level of education, working status, religion, age, and household income.

قدم البحث للنشر في 2007/11/26 وقبل في 2008/6/29

الهوامش:

(1) http://www.openarab.net/reports/net2006/Jordan.Html.

(2) هذا الرقم مستمد من كشوفات محافظة اربد، ويشمل المقاهي المسجلة في شارع الجامعة، وشارع شفيق ارشيدات وكلا المسميين يشيران إلى نفس الحيز المكاني.

(3) لقد أجرى الباحث مراجعة شاملة للدراسات الأردنية حول الإنترنت، وقد تبين أن معظم الدراسات مركزة على المجال التربوي، وعدد محدود من الدراسات ركزت على المجال الاجتماعي وبشكل خاص العلاقات الاجتماعية. سوف يرد ذكرها في الدراسات السابقة.

(4) إن الدراسة الراهنة تنظر إلى الشبكات الاجتماعية باعتبارها وسائط سببية لرأس المال الاجتماعي المقاس باستخدام المقاييس.

(5) إن عبارة تطوير المقياس، تشير هنا إلى إعادة الصياغة والموائمة الثقافية والاجتماعية من خلال اللغة أولاً، والاختبار في بيئة مغايرة وما يترتب عليه من تحديد عوامل جديدة ثانياً، وإيجاد مقياس ذو فقرات مختلفة كماً وترتيباً وتشبعاً ثالثاً.

(6) هذه الأبعاد هي ذات الأبعاد التي تضمنها المقياس الأصلي – انظر الملحق رقم (1) – ولذلك فإنها محددة وفق مقتضيات المقياس الأصلي والإطار النظري المستمدة منه.

المراجع:

المراجع باللغة العربية:

البداينة، ذياب. (2001). تطوير مقياس للاتجاهات نحو كبار السن في المجتمع الأردني، **مجلة العلوم الاجتماعية**، المجلد 29، العدد 3،.

بورديو، بيير. (2000). **العقلانية العملية حول الأسباب العملية ونظرياتها**، ط1، ترجمة عادل العوا، دمشق، دار كنعان.

حداد، جيهان. (2002). **المقاهي الإلكترونية ودورها في التحول الثقافي في مدينة اربد، دراسة أنثروبولوجية**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الأنثروبولوجيا، جامعة اليرموك.

زايد، أحمد. (2006). **رأس المال الاجتماعي لدى الشرائح المهنية من الطبقة الوسطى**، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة.

ساري، حلمي. (2005). **ثقافة الإنترنت: دراسة في التواصل الاجتماعي**، عمان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

سلوتر، آن ماري. (1998). **حقيقة النظام العالمي الجديد**، ترجمة فخري لبيب، الثقافة العالمية، العدد 87.

سويردلو، جول. (1996). **ثورة المعلومات**، ترجمة محسن حافظ، الثقافة العالمية، العدد 76.

علي، نبيل. (2001). الثقافة العربية وعصر المعلومات، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، **عالم المعرفة**، العدد 265.

المجالي، فايز. (2007). استخدام الإنترنت وتأثيره على العلاقات الاجتماعية لدى الشباب الجامعي، بحث مقبول للنشر في **مجلة المنارة للبحوث والدراسات**، جامعة آل البيت،.

موراي، جانيت. (1996). **الإنترنت وطلبة المدارس**، ترجمة محمد الديب، الثقافة العالمية، العدد 79.

موسي، كلود. (1998). **أساطير قرية المعلومات الكونية**، ترجمة فؤاد بواية، الثقافة العالمية، العدد 87.

المراجع باللغة الإنجليزية:

Boase, Jeffrey, et al. (2006). *The strength of internet ties*, Washington, DC. Pew internet and American life project, January, http:// www. Pew internet. Org.

Brown, Thomas Ford. (1997). *Consumer demand and the social construction of Industry*, working paper series, program in Comparative and international Development, Johns Hopkins University.

Burt, Ronald. (1993). *The social structure of Competition*, pp 65-103, In Exploration in Economic sociology Richard Swedberg (ed.) New York, Russell Sage foundation.

Coleman, James. (1988). Social capital in the creation of human capital, *American Journal of Sociology*, 95. 5. 95-190.

De Kerchhove, D. (1997). *Connected intelligence, the Arrival of the web society*, Toronto, Somer ville. House Publishing.

Dimaggio, Pawl et al. (2001). Social Implications of the Internet, *Atnnu. Rev. social.* 307-36.

Flagan, A and Metzerm. (2001). Internet use in the contemporary Media environment, *Human Computer Research*, 27, 153-181.

Flora, Jan. L. (1998). Social capital and community of place, *Rural sociology*, 63, 481-506.

Hampton, K. N. (2003). Grieving for a lost network: Collective action in a wire suburb, *The Information Society*, 19, 5, 417-428.

Hasse, Anabel Quany et al. (2002). *Capitalizing on the internet social contact*, Civic Engagement and sense of community to be published in the internet in Every day life, Educed by Barny Wellman and Carroline Haythornthwaite, Oxford, Black well.

Kavanough, Anderea L. et al. (2005). Weak Ties in Networked Communities, *The Information Society*, 21, 119-131.

Larose, et al. (2001). Reformulating the internet paradox. Social cognitive explanations of internet use and depression (on line). *Journal Of Online Behavior* 1.2. Retrieved March 23.

Mandelli, A. (2002). Bounded Sociability, *Relationship costs and intagible resources in complex digital Network IT and society*, 1.1, 251-274.

Pinkett, R. (2003), Community Technology and Community Building, Farly results from the creating community connections project, *The Information Society*, 19, 5, 365-379.

Portes, Alegandro. (1995). *Economic Sociology and the sociology of Immigration: A conceptual over View*. Pp 1-43. In: The Economic Sociology of Immigration: Essays on Networks, Ethnicity, and Enter prenecurship, Alegandro ports (ed.). New York, Russell sage Foundation.

Putnam, R. D. (2000). *Bowling alone: The collapse and Revival of American Community*, New York: Simou and Schuster.

Quan-Hasse, A. and Wellman, B. (2004). *How does the internet effect social capital?* From Huysman and V. Wulf (Eds.) social capital and Information Technology, Cambridge. MA. MIT press pp 113-132.

Ritzer, George. (1992). *Contemporary Sociological theory*, New York, McGrawhill.

Siisianen, Martti. (2000). Two concepts of social capital. Bourdieu VS. Putnam, paper presented at ISTR Fourth international conference "*The Third sector: for what and for whom?*", Trinity college, Dublin, Ireland, July 5-8.

Stoll, C. (1995). *Silicon shake all: Second thoughts on the information highway*, Ny: Doubleday.

Swarts, David. (1992). *Contemporary Sociological theory*, New York, MCGrawhill.

Wellman, Barry, et al. (2001). Does the Internet Increase, Decrease or Supplement Social Capital, Social Networks Participation and Community Commitment, *American Behavioral Scientist*, 45, 3, 2001, pp 437-56.

Williams, D. (2006). On and off the Internet: scales for social capital in an on line era. *Journal Of Computer – Mediated Communication*, H (2) article 11.

Zhao, Shanyang. (2001). Do internet users have more Social Ties, Avoidance from the 2000 General social survey. A paper presented in a conference held by. *American Sociological Association*.

Zukin, Sharaon and Paul Dimaggio. (1990). *The Structure of Capital: The social organization of the Economy*, New York, Cambridge University Press.

ملحق (1): مقياس رأس المال الاجتماعي عبر الإنترنت

تساؤلات التجسير Bridging

الرقم	العامل العامل الأول: الحصول على معلومات نافعة من الخارج	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة
.1	أسمع عن فرص عمل جديدة من خلال تواصلي مع الآخرين عبر الإنترنت.					
.2	التواصل مع الآخرين عبر الإنترنت يمكنني من إيجاد طبيب جيد.					
.3	أسمع عن أماكن تسوق جديدة من خلال تواصلي مع الآخرين عبر الإنترنت.					
.4	التواصل عبر الإنترنت يوفر لي فرصة الإطلاع على كل ما هو جديد وذو سعر مناسب.					
.5	لا توفر لي الإنترنت الإطلاع على أخبار أكثر.					
.6	تواصلي مع الآخرين عبر الإنترنت يوضح لي كيف أصوت في الانتخابات القادمة.					
	العامل الثاني: التفاعل مع العالم الخارجي.					
.7	تواصلي مع الآخرين عبر الإنترنت يجعلني أكثر اهتماماً بما يقع خارج مدينتي.					
.8	أحاول التعامل مع أشياء جديدة نتيجة تواصلي عبر الإنترنت.					
.9	تواصلي عبر الإنترنت يجعلني أقل اهتماماً بتغيير نمط حياتي.					
.10	تواصلي عبر الإنترنت يجعلني أكثر اهتماماً بكيفية تفكير الآخرين.					
.11	تواصلي عبر الإنترنت يزيد معرفتي بأماكن أخرى في العالم.					
.12	تواصلي عبر الإنترنت يجعلني أكثر تألماً لمشكلات المجتمعات الأخرى.					
	العامل الثالث: التواصل مع مرجعيات وانتماءات أخرى.					

.13	أتواصل عبر الإنترنت مع الآخرين الذين هم مثلي في كل شيء فقط.					
.14	أتواصل عبر الإنترنت مع الآخرين من مستويات اقتصادية مختلفة.					
.15	أتواصل عبر الإنترنت مع الآخرين من ديانات أخرى.					
.16	أتواصل عبر الإنترنت مع الآخرين من نفس نوعي الاجتماعي (ذكور وإناث).					
.17	أرفض التواصل عبر الإنترنت مع آخرين ثقافتهم تختلف عن ثقافتي.					
العامل الرابع: مشاهدة المرء نفسه جزءاً من مجتمع أوسع.						
.18	تواصلي عبر الإنترنت يجعلني أشعر كأنني جزء من مجتمع أوسع.					
.19	تواصلي عبر الإنترنت يجعلني أمتلك صورة أكبر عن العالم.					
.20	تواصلي عبر الإنترنت يجعلني أكثر انعزالاً عن العالم الخارجي.					
.21	تواصلي عبر الإنترنت يجعلني أدرك أن العالم كله على اتصال دائم.					
العامل الخامس: التبادل مع مجتمع أكثر اتساعاً.						
.22	استخدام الإنترنت يمكن الناس من مساعدة بعضهم رغم المسافات الشاسعة.					
.23	تمكنني الإنترنت من مساعدة آخر غريب في مجتمع آخر.					
.24	لا أساعد الآخرين عبر الإنترنت ما لم أحصل على مقابل للمساعدة.					
.25	توفر لي الإنترنت أصدقاء جدد أتحدث إليهم.					
.26	أقبل باستمرار التواصل مع آخرين جدد عبر الإنترنت.					
.27	يمكنني استخدام الإنترنت من قضاء وقت أكبر لدعم نشاطات المجتمع الهامة أو المشاركة فيها.					

الترابط Bonding

الرقم	العامـل	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة
	العامل الأول: الدعم العاطفي والوجداني					
.28	توفر لي الإنترنت العديد من الأشخاص الذين أثق بهم في حل مشكلاتي.					
.29	هناك شخص ما عبر الإنترنت أطلب نصيحته عندما أريد اتخاذ قرارات هامة.					
.30	لا يوجد عبر الإنترنت من أشعر بالارتياح للحديث عه حول مشكلاتي الشخصية.					
.31	عندما أشعر بالوحدة أجد العديد من الأفراد الذين أتحدث إليهم عبر الإنترنت.					
.32	استخدام الإنترنت يشعرني بأنني غير محاط بأصدقائي المقربين.					
	العامل الثاني: الوصول إلى المصادر النادرة.					
.33	إذا احتجت إلى مبلغ من المال فإنني أعرف شخصاً ما عبر الإنترنت يمكنني الاقتراض منه.					
.34	أحظى بالصيت والسمعة الجيدة من خلال تواصلي مع الآخرين عبر الإنترنت.					
.35	توفر لي الإنترنت أشخاص يرشدونني في أعمالي المختلفة.					
.36	أتواصل عبر الإنترنت مع آخرين يشاركونني آخر دينار معهم.					
.37	تواصلي مع الآخرين عبر الإنترنت يجعلني أكثر وعياً بحقوقي ومصالحي.					
.38	تواصلي عبر الإنترنت قد يقودني للانضمام على جماعة مصلحة معينة.					
	العامل الثالث: القدرة على حشد التضامن.					
.39	تمكنني الإنترنت من دفع آخرين أكثر للاشتراك في احتجاج أو تظاهرة سلمية.					

.40	تمكنني الإنترنت من تنظيم أصدقائي المقربين للاشتراك في تظاهرة سلمية.					
.41	لا أعرف ما يكفي من الناس عبر الإنترنت لدفعهم من أجل القيام بعمل مهم.					
.42	الآخرين الذي أتواصل معهم عبر الإنترنت يمكن أن يساعدوني في محاربة الظلم واللاعدالة.					
العامل الرابع: العداء الموجه خارج الجماعة.						
.43	تواصلي عبر الإنترنت يقتصر على أصدقائي المقربين مني.					
.44	لا أثق بالتواصل مع آخرين يختلفون عني من حيث الانتماء عبر الإنترنت.					
.45	تواصلي عبر الإنترنت يقتصر على آخرين من جيلي.					
.46	أرفض التواصل عبر الإنترنت مع آخرين يختلفون عني أو عن أصدقائي.					
.47	يساعدني استخدام الإنترنت بتغيير مشاعري نحو آخرين يختلفون عني ثقافياً ودينياً.					
.48	يساعدني استخدام الإنترنت بأن أثق بالآخرين خارج مجتمعي.					
العامل الخامس: التجانسية.						
.49	أتواصل عبر الإنترنت مع الآخرين الذين يشاركونني معتقداتي.					
.50	أتواصل عبر الإنترنت مع الآخرين الذين يشاركونني مصالحي.					
.51	أتواصل عبر الإنترنت مع الآخرين الذين يشاركونني اهتماماتي.					

3- Consider the writer’s degree of success. Here, your opinion ultimately depends upon your personal response to the text. With reference to your own experience and background knowledge, you can interpret and respond to the writer’s message.

- At least one page.

FORM:

Use standard grammar and English (slang is not appropriate).

APPENDIX

The Critique Assignment

(Reading and Writing)

The critique assignment is an example of a text written to be read. It has a coherent structure which involves an introduction, a conclusion, and structured paragraphs linked by discourse markers. The style is formal, and the author's intention is to present an argument in a coherent way.

Goal: to develop analysis, synthesis, and evaluation skills in Advanced-level university students.

Guidelines:

I- Summary

1- Read carefully the reading selection.

2- Summarize the reading. Exclude some details which are not important to the author's message.

3- Present the author's view rather than your own.

- Less than one page.

II- Personal Response (Analysis)

1- Analyse the reading and select the major theme(s), or message(s) presented in reading. Consider the author's message(s) and method.

2- Examine the part of the text in relation to the whole, clarifying functions and interrelationships, and calling attention to symbols, words, sound effects, tone, figurative devices, and motifs.

3- Select specific examples from the text to support the analysis.

- At least one page.

III- Reader Response (Synthesis)

1- Evaluate the reading by expressing your

Agreement or disagreement with the them(s) of the reading. Support your position by providing examples or alternatives.

2- Record your impressions, comments, and reasons why you react strongly/lightly to the reading, providing examples where necessary.

Sato, K. and Kleinsasser, R. (1999). “Communicative Language Teaching (CLT): Practical Understandings.” *The Modern Language Journal*, 83 (vi): 496-517.

Savignon, S.J. (1983/1997). *Communicative Competence: Theory and Classroom Practice*. Reading: M.A: Addison-Wesely (1983). Sydney, NSW, Australia: McGraw-Hill (Second Edition 1997).

Scarcella, R. and Brunak, J. (1981). “On speaking politely in a second language.” *International Journal of the Sociology of Language*, 27: 59-75.

Swaffar, J.K., Arens, K.M., and Byrnes, H. (1991). *Reading for Meaning: An Integrated Approach to Language Learning*. Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.

Widdowson, H.G.(1978). *Teaching Language as Communication*. Oxford: Oxford University Press.

Widdowson, H.G. (1979a). “Interpretative procedures and the importance of poetry.” In Expbrations in Applied Linguistics (pp. 153-62). London: Oxford University Press.

Widdowson, H.G. (1979b). *Explorations in Applied Linguistics*. Oxford: Oxford University Press.

Widdowson, H.G. (1983). *Learning Purpose and Language Use*. Oxford: Oxford University Press.

Widdowson, H.G. (1998). “Context, Community, and Authentic Language.” *TESOL Quarterly*, 32 (4): 705-16.

Widdowson, H.G. (2000). “On the Limitations of Linguistics Applied.” *Applied Linguistics*, 21 (1): 3-25.

Williams, R. (1983). “Teaching the recognition of cohesive ties in reading a foreign language.” *Reading in a Foreign Language*, 1 (1): 35-53.

Goodman, K.S. (1988/1998). “The Reading Process.” In P.L. Carrell, J.Devine, and D.E. Eskey (Eds.), *Interactive Approaches to Second Language Reading* (pp. 11-21). Cambridge: Cambridge University Press.

Grabe, W. (1991). “Current developments in second language reading research.” *TESOL Quarterly*, 25 (3): 375-406.

Greenwood, J. (1989). “The Problems of Purity: Observations on Prescribed Texts with Special Reference to Greece.” *In Literature and the Learner: Methodological*, in ELT Documents: 130 (pp. 90-111). Modern English Publications in association with the British Council.

Grice, H.P. (1975). “Logic and Conversation.” In P. Cole and J.L. Morgan (Eds.), *Syntax and Semantics, 3: Speech Acts* (pp. 41-58). New York: Academic Press.

Halliday, M.A.K. (1975). *Learning how to mean: Explorations in the development of language*. London. Edward Arnold.

Halliday, M.A.K. and Hasan, R. (1976). *Cohesion in English*. London: Longman.

Hatim, B. and Mason, I. (1990/1997). *Discourse and the Translator*, London: Longman.

Hirsch, E.D., Jr. (1988). *Cultural Literacy: What Every American Needs to Know*. New York: Vintage Books.

Hymes, D.(1971). “Competence and Performance in Linguistic Theory.” In R. Huxley and E. Ingram (Eds.), *Language Acquisition: Models and Methods* (pp. 3-28). London: Academic Press.

Kern, R. (2000). *Literacy and Language Teaching*. Oxford: Oxford University Press.

Kramsch, C. (1986). “From Language Proficiency to Interactional Competence.” *The Modern Language Journal*, 70 (iv): 366-72.

Kramsch, C. and Kramsch, O. (2000). “The Avatars of Literature in Language Study. *The Modern Language Journal*, 84 (iv): 553-73.

Lubelska, D. (1991). “An. Approach to Teaching Cohesion to Improve Reading.” *Reading in a Foreign Language*, 7 (2): 569-97.

Newmark, P. (1988). *Approaches to Translation*. London: Prentice Hall.

Nolan-Woods, E. and Foll, D. (1986). *Advanced Reading Skills*. London: Penguin Books.

References

Alderson, J.C. and Urquhart, A.H. (Eds.). (1984/1986). *Reading in a Foreign Language*. London and New York: Longman.

Allen, J.P.B. and Widdowson, H.G. (1974b). "Teaching the communicative use of English." *IRAL*, 12 (1): 1-21. Reprinted in R.L. Mackay and A. Mountford (Eds.), *English for Special Purposes* 1978 (pp.56-77). London: Longman Group Limited.

Bachman, L. and Savignon, S. (1986). "The Evaluation of communicative Proficiency: A Critique of the ACTFL Oral Interview." *The Modern Language Journal*, 70 (iv): 380-90.

Beckett,S. (1956). "Waiting for Godot." In D. Hudson, *English Critical Essays: Twentieth Century* 1958 (pp.324-32). Oxford: Oxford University Press.

Bell, R.T. (1991/1995). *Translation and Translating*. London and New York: Longman.

Brown, G. and Yule, G. (1983/1987). *Discourse Analysis*. Cambridge: Cambridge University Press.

Canale, M. and Swain, M. (1980). "Theoretical bases of communicative approaches to second language teaching and testing." *Applied Linguistics*, 1 (1): 1-47.

Cooper, M. (1984). "Linguistic Competence of Practised and Unpractised Non-Native Readers of English." In J.C. Alderson and A.H. Urquhart (Eds.), *Reading in a Foreign Language* (pp. 122-35). London: Longman.

Demel, M.C. (1990). "The Relationship between overall reading comprehension and comprehension of coreferential ties for second language readers of English." *TESOL Quarterly*, 24 (2): 267-92).

Devine, J. (1988/1998). "The relationships between general language competence and second language reading proficiency: implications for teaching." In P.L. Carrell, J. Devine, and D.E. Eskey (Eds.), *Interactive Approaches to Second Language Reading (pp. 260-77)*. Cambridge: Cambridge University Press.

Eskey, D.E. and Grabe, W. (1988/1998). "Interactive models for second language reading: perspectives on instruction." In P.L. Carrell, J.Devine, and D.E. Eskey (Eds.), In*teractive Approaches to Second Language Reading* (pp. 223-38). Cambridge: Cambridge University Press.

offering more advanced reading instruction and practice than it is the case at present, especially for students majoring in translation and in literature, who need to be fluent readers for their academic future. In the new century, reading is bound up with the general process of education. I would argue that an important educational goal is to enhance students' learning through reading. Reading research should aim at the improvement of the advanced reading skill.

An empirical study is recommended to explain how much contribution literary selections as well as cultural aspects can contribute to the students' language skills in general, and reading skills in particular. Such an inquiry would make use of the results obtained.

أهمية النصوص الأدبية في برامج القراءة المتقدمة في المرحلة الجامعية

نهال عميره، قسم اللغة الانجليزية، كلية الآداب والعلوم، جامعة البتراء، عمان، الأردن.

ملخص

يهدف هذا البحث إلى تبيان أهمية الاستجابات الأدبية (الكفاية الأدبية) في تطوير الكفاية التواصلية في اللغة الاجنبية التي يتعلمها الدارس بما يؤدي إلى اقتراح منهجية محددة لمواد القراءة المتقدمة في برامج تعليم اللغة الإنجليزية لطلبة الجامعة في تخصص اللغة الإنجليزية وآدابها وطلبة اللغة الإنجليزية /الترجمة. ويقترح البحث أهمية تطوير المقدرة اللغوية لدى الطالب وذلك بربط دراسة النصوص الأدبية بمهارات القراءة. ويسلط البحث الضوء على عمليات التفاعل في كل من القراءة وفهم الأعمال الأدبية لكون الأدب (بطبيعة توظيفه للغة أو الخطاب بجوانبه اللغوية والثقافية والأدبية المتأصلة في كل نص أدبي) يساعد الطالب على تمثل مجمل المواقف التواصلية وإلى تطوير القدرة اللغوية اللازمة لتحقيق الاستخدام الناجح للغة الهدف. ويؤمل أن يساعد المنهاج المقترح على اختيار طرق التدريس المتضمنة لمقاييس لغوية وثقافية وتربوية لاختيار المادة المناسبة وتدرج مستوياتها. كما يقدم البحث مقترحات عملية محددة حول الموضوع، وأساليب لتقويم ما يتعلمه الطلبة وقدرتهم على استخدام ما تعلموه في فهم وتحليل مختلف النصوص.

* The paper was received on Oct. 31, 2007 and accepted for publication on June 29, 2008.

interpret the author's message. Selected texts should represent a variety of genres that would expose students to organizational patterns and devices that they need to recognize in academic literary and non-literary texts. Selections can be "graded by focus" in which the focus is on one or more of the rhetorical functions.

The Assessment Scheme in the Proposed Reading Program

Reading tests will address linguistic, reading, and literary levels of competence. Firstly, assessment measures will include the students' ability to make connections among textual elements, and interpret those connections to make inferences, and to recognize the connotative value of words. Testing involves assessing the students' ability to show an understanding of the genre, style, and content of a text and to generate expectations about the purpose of the writing. They must show ability to reach conclusions, contextualize, and evaluate. Testing techniques will also consider how much of a frame of reference they can use in comparing and contrasting the texts studied. Secondly, assessment measures, in this program, will include testing the student readers' ability to integrate writing into the assessment of reading.

Conclusion: Implications and Recommendations

The implications of the provision of literary texts into the advanced reading syllabus may fall into four major concerns. Firstly, since the message in a text is dependent on the student reader's ability to relate the new input to his own existing knowledge as well as to his purpose in reading, it is necessary to maximize the role of the pre-reading phase. Secondly, the major concern in teaching reading is no longer seen as providing a collection of skills and abilities. Rather, the focus of attention is now on discourse skills, i.e. the process of learning, or what Widdowson (1996:67) calls "autonomous learning." This also implies that the student readers' own experience has become of primary importance. The third implication highlights a concern for issues of negotiation and interaction among participants "to invest the language with their own personalities", making language purposeful, or "a reality for learners." (Widdowson, 1998:715) Finally, students' autonomy can be shown in the way they evaluate and respond to literary and non-literary texts as well as in their ability to transfer what is learnt to wider contexts.

In the light of what has been said thus far, it is recommended that student readers should be made fully aware of the nature of objectives of the advanced-level reading course, i.e. the relevance of the inclusion of literary selections to their present and future needs. It is equally important that course materials, methodology, and students' achievement be evaluated at the end of the program by the instructor and the students themselves. There is, also, a pressing need for

events, and generalize from features of the given literary text to features of the literary tradition or non-literary selections. For example, a unit involving three contrasting texts which, however, are linked by a unifying theme (e.g., alienation) can be presented in a modern poem, in which aspects of ordinary life are viewed through the eyes of a visitor from another planet. A second literary text (e.g., "An Ancient Legend of Ireland" in Nolan-Woods and Foll, 1986: 94-102) is then presented, in which the story-teller presents a view of heroic life of long ago, aspects of which may appear alien to the present day reader. A third literary text (e.g., "A Dramatic Sketch from Nolan-Woods and Foll", ibid: 99-101) gives the reader an insight into a modern form of alienation.

More importantly, students should be encouraged to produce creative responses; they should not replicate their instructors' views. Part of our pedagogy, indeed, must encourage 'points of view' or what Elliott (1990:191) calls 'genuine responses' to texts. This shift from the arbitrary personal-response to an academic-oriented reader-response would generate intellectual challenge, promote reading proficiency, and offer individual insight and perspective. The process may also develop the students' writing skills and make them familiar with literary conventions.

The Selection of Literary Texts

The selection of literary texts should include such headings as educational, cultural, and linguistics. The decision on these criteria must involve factors such as the teacher's experience and judgment, in fact, the student's interest and needs should be the paramount concern.

The Educational Factors

The purpose of a particular course is the most important factor to be taken into account. The criteria for selection and use of literary works must lead to a recognition of the needs and interest of particular groups.

The Cultural Factors

At advanced levels of reading, dealing with different cultural experiences will not only activate the students' schemata but also enrich it through proper interaction provided that sufficient time is given to the building of the requisite schemata through the pre-reading stage. Pedagogically, these texts will be graded according to complexity, for example, by starting with relatively simple literary texts from which student readers may generalize to ordinary life.

The Linguistic Factors

The instructor must be sensitive to the needs of the students and the aims specified. For example, a text can be selected because it stimulates students to

words and word classes (Grammar), and the author's use of other constructions in phrases and sentences (Syntax). They should also focus on how the text fits together (Cohesion) and the ways in which linguistic items give a sense of coherence and texture to the text. Students are also asked to examine the use of sound features (Phonology), and other rhetorical devices, and focus on the layout of the text. More importantly, students should discuss the effects that the above linguistic features can create; how they provide insights into literary interpretation. For example, if the assigned text is a poem, students in this part of the critique assignment are expected to show what it is that marks it out as belonging to this specific genre: how poets manipulate language to express themselves; how they experiment with language by deviating from the general rules for the creation of poetic meaning. In the critique assignment, student readers will also need to examine the ways in which authors use language to create their tone, mood, and setting.

It is necessary for students to consider all the above elements when they analyse texts. However, they should be able to justify their choice of any of them in their analysis, and use specific examples from the text to show how language is used in order to create the effects desired. That is to say, they are asked to read critically, weighing, for example, an author's claims and interpretations against evidence provided in the author's text. The analytic structure of the text can be explained and taught through language activities which engage students in the process of reconstructing the author's creation of discourse. Classroom discussion can provide a valuable forum for exposing different personal responses. They try to explore relationships between literary and non-literary texts by writing down the qualities which differentiate literary from non-literary texts. By studying a variety of texts in the way discussed above, the student readers will be encouraged to construct their own frameworks to evaluate the effectiveness of their texts.

Reader Response Activities (Synthesis)

At this stage, students' responses can be very individual, and students have the freedom to express their own ideas about what the text means to them. For example, the student readers learn to put together (synthesize) the things that seem important to them, orally and by writing. They take the responsibility to construct a text by writing ideas that develop, extend, and complement the author's text. They learn to project the author's points of view and evaluate, accept, or reject a particular point of view according to their context or experience, expressing the reason for the way they feel the way they do. They relate the content of the text to their personal life and experience (see Rossenblatt, 1978:24), their understanding of reality, and to the experiences of other writers. Consequently, the student readers can make links to present

reading. Pre-reading activities can help students activate and build their own background knowledge through student generated predictions, and text-previewing activities. Following his schema activation, they should be allowed the opportunity to apply the newly gained background knowledge to the interpretation of similar texts. They need to keep the related prior knowledge in memory while they are reading. Finally, they need to actively make inferences that link new to the given for post-reading creative and critical applications.

Systematic Knowledge Activities (During Reading)

Explicit instruction in text structure and analysis of linguistic choices can facilitate learning from text. The analytic activities may proceed from the grammatical to the lexical aspects of cohesion, and be built on a hierarchical basis, from easy to difficult. Student readers also need to work on the meaning of complex grammatical sentences. Prediction is, indeed, an essential psycholinguistic strategy that facilitates the interaction between knowledge accumulated in the brain and text-based knowledge.

Reading and Critique Writing (Post- Reading Activities)

The value of reading lies in what the student is able to do with what he reads. Thus, a form of writing which may be practiced with reading at an advanced undergraduate level is the critique assignment (see Appendix).The goal is to develop analysis, synthesis, and evaluation skills. However, critiques of advanced undergraduates will be treated as a basis for critical discussion in class. Critique writing will involve the following components:

Summary Activities

Students provide a brief summary of the assigned reading selection. However, it is necessary for students in this section to consider the purpose and audience (what the author is trying to communicate to his intended audience. The context (situation) and subject matter (topicality) are, indeed, included. Such details are important to the author’s message.

Personal Response Activities (Analysis)

Having identified what the author's illocutionary act (i.e. his intention/purpose), students can then go on to examine how the author says what he intends to say. Students, here, are required to show an understanding of the author’s message(s) and method, or style. In order to do so, they are asked to find out what gives the text its particular qualities. Indeed, students here are encouraged to examine both linguistic and literary issues in the assigned text. In other words, they concentrate on lexical choices (Semantic field) and connotations of the lexis. They should pay attention to the use of certain types of

of communicative situations.Literary texts encourage a dynamic interaction between reader-text-and external world in the course of which the reader is constantly trying to form a coherent picture of the text. An example of such an interaction is: “A Martian Sends a Postcard Home” by Craig Rain (1979), a contemporary English poet that does not conform with our expected frames of reference. (The word ‘telephone’ is represented in a different way as something that sleeps and snores)

Students’ literary competence, (i.e. their understanding of the appropriate literary conventions which mark a text) can also be improved. Students of literature and translation can be exposed to the total communicative situations and environment of different kinds of discourse. Take, for example, the spoken mode. Literary texts serve to raise learners’ awareness of the ways that lexical items are employed to end conversations, to identify the main topic, or underlie a significant theme, and how silences and pauses are also employed in conversations as deliberate strategies to produce power, suspension, and threats (see the famous ending of Samuel Beckett’s play “Waiting for Godot”,1956:94). Furthermore, the effects of literary functions of repetition as opposed to those of non-literary are the result of an iconic relationship between form and meaning. In literary texts, the function of repetition is motivated to create and reinforce deeper levels of meaning. In non-literary texts, repetition is used as a rhetorical strategy in the art of persuasion, and an aid to memorability of key ideas (e.g., advertising). For example, the poem “A Martian Sends a Postcard Home” could be compared to a non-literary text, involving directions on how to use the telephone at a public place to recognize the different functions of literary and non-literary texts, and the nature of language organization in related discourse types. Literary competence, then, implies an awareness of certain stylistic characteristics and conventions involved in different genres, allowing student readers to direct their attention to the form of the work (e.g. grammar, vocabulary, stylistic features, etc.) that interact with the writer’s intention. Literary competence, therefore, allows the ability to relate different text types to each other, within and outside the literary tradition.

A Model for Methodology: An Alternative Pedagogic Approach

This section suggests and justifies a pedagogical model for methodology. The activities suggested below can be carried out both in class and as assignments at home.

Schematic Competence Activities (A Pre-Reading Stage):

Direct explanation and lead-in discussion of the upcoming texts can help the student readers to become familiar with the content and form of the reading selection, allowing them to bring past schemata to bear upon what they are

vocabularies and learn how basic word meanings “can take on unexpected meanings”, and “how context may affect their connotational auras” (Kern,2000:76,102). They need to know and manipulate “the rules that govern syntactic relations and clause structure” (Eskey and Grabe, 1988:226) so that they can understand the propositional content of the F/S language text (Devine,1988:264) and get at the core (Kernel) of sentences (ibid). Kern (2000:78), however, suggests that students need to “attend not only to both vocabulary and syntax, but also to the complex interactions between the two”. Williams (1983:36), for example, suggests that Halliday and Hassan’s (1976) markers of cohesive relationships, and their functions across sentences and paragraphs, seem to be an essential part in the student reader’s decoding skills. Semantically, discourse markers help the reader to have “a better grasp of the ways in which writers use words to create and maintain textual relationships by exploiting features like hyponymy and synonymy” (Cooper,1984:131). Syntactically, discourse markers make linkage between propositions (Lubelska, 1991:569). In fact, Demel’s (1990:285) study in L2 reading provides evidence that a significant relationship exists between overall reading comprehension and comprehension of coreferential ties. Within their knowledge of the cohesive signals, Hatim and Mason (1990:217-218), further, assert that readers(especially translation students) need to understand and refer “to the way subsequent discourse re-uses previous themes or plans.

WHAT IS SPECIAL ABOUT LITERARY TEXTS IN THE ADVANCED READING PROGRAM?

It could be argued that particular features of literary works promote the learners’ linguistic competence. At the usage level, reading a literary text can provide students with the opportunity to explicitly analyze grammatical patterns to appreciate the function of simple and complex grammatical structures, recognizing their role in creating texture in adjacent clauses and sentences. From the point of view of discourse, studying literary texts provides unique opportunities for student readers to develop their textual competence Literature and translation students can approach a broader concept of lexical cohesion.

In addition to developing linguistic knowledge at the usage level, reading literary material, if properly presented, can help in the development of "CC". In Hatim and Mason's (1990:226) view, translators should be" constantly aware of the need to reconstruct the entire gestalt of the text from the individual fragments". However, getting the students to read and view the literary work as a whole implies the possibility (especially for translation students) of expressing the work's overall intentionality rather than feeling obliged to a given line. In this case, it could be argued that literary material is a rich source for providing the student readers with that opportunity to identify and examine a whole range

and the kind of relationship the writer intends between two parts of his text. According to Halliday and Hasan (1976:17), cohesion is the set of semantic relations that link sentences and parts of sentences with what has gone before (anaphora) or with items yet to come (cataphora), enabling a passage to function as a semantic unit where one element presupposes the other in the sense that it cannot be comprehended except by recourse to it (ibid: 4). In William's (1983:36) view, to become effective readers, EFL/ESL learners must have the ability to recognize the five cohesive relationships in English (see Halliday and Hasan, 1976:16).

However, a text hangs together not only cohesively but also coherently. Coherence helps the reader to arrive at the writer's intended meaning (illocutionary act) to perform a function ant to recognize and understand the organizational model and the different types of the patterns thought that underlie the text's organization. The student readers must also be able to evaluate and respond to the text (perlocutionary act) and employ a wide range of strategies (see Brown and Yule, 1983:223; Hatim and Mason). 1990:60; Bell, 1991:212-213. Coherence, further, enables readers to go beyond the discourse-producer's intended message by drawing possible inferences based on other notions (presupposition) Moreover, according to the cooperative principle (see Grice, 19975:45) and its associated four maxims (Quantity, Quality, Relation, and Manner of discourse), the correlation relationships between form and function and the violations of it can be interpreted by the reader (see Allen and Widdowson, 1974b).

The Interactive Roles in Text Processing

Written discourse is a communication process through which a writer and a reader negotiate meaning via the written text. In that interaction, the two interlocutors cooperate with various degrees to abide by a set of rules which refer to Grice's (ibid) four maxims. Successful communication in written language will crucially depend on the writer-reader shared knowledge related to universes of discourse. When the writer and reader of a given text employ different conventions, the contract between them falls apart and comprehension can suffer (Kern, 2000:109).

The Practical Abilities of the EFL/ESL Reader

Theoretical and practical research provides evidence in relating successful reading directly to general language proficiency in the TL (see, for example, Devine, 1988:261).

At the micro level of abstraction (bottom-up processing), researchers (e.g., Eskey and Grabe, 1988:225) contend that fluent readers must have large

The Role of Schemata in Understanding Discourse

The interactive character of reading involves a two-way process: bottom-up, or the micro level, and the top-down, or the macro level (see Brown and Yule, 1983:234). In the former, the reader is a text analyst, relying more on decoding lexical, semantic, orthographic, and syntactic features from the printed page. In the latter, the reader is a builder of the meaning of the text, relying on background knowledge of genre and topic rather than the text (see Hatim and Mason, 1990:226), and making predictions derived from the visual information available on the page. Recent research (e.g., Kern, 2000; Bell, 1991; Hatim and Mason, 1990; among others) in the EFL/ESL theory, however, has suggested that the reader draws simultaneously, but selectively, from all sources of knowledge that operate in bottom-up/top-down. It is a schema theoretic model (Bell, 1991:60) about knowledge, known to individuals as part of their previous experience about the world. From the point of view of gestalt psychologists (behaviour studied as undivided wholes), these schemata facilitate the use of this knowledge for predictions and inference purposes (Hirsch, 1988:40). Widdowson (1983:34), in this respect, states that schemas also enable us to relate new information (input data made available by bottom-up analysis) to already known information (schemata stored in memory). In this sense, new data help alert old information to start predicting in a top-down fashion. According to reading (and writing) researchers (see, for example, Kern, 2000), the interaction between previous knowledge and the information at hand looks like the characterization of presupposition in cohesive relations (a claim that I shall later try to substantiate). Of course, from the point of view of 'giveness,' Brown and Yule (1983) make plain that comprehension occurs as a result of two issues: (1) on the one hand, the reader can relate new information "theme" to given information "Rheme" (ibid:154,179-80); (2) the reader, on the other hand, is able to recognize a link, or interaction between what is being presented, and what has been inferred (ibid:260).This implies that the reader's knowledge of the world is an important factor in controlling inferences.

The Role of Microstructure (Bottom-Up) and Macrostructure (Top-Down) in Understanding Discourse

The distinction between microstructure and macrostructure involves cohesion in text and coherence in discourse.

Cohesion is the propositional relation between parts of a discourse (Widdowson, 1979b:87), and the "locutionary force" of a speech act "through <u>sentences</u> which are linked by <u>cohesion</u>" (Bell, 1991: 163; original emphases). The text, in this sense, is held together by particular linguistic means, or cohesive devices, which help the readers to work out the meaning of sentences

Knowledge of Language

Capacity		
Systematic Knowledge of Usage “Linguistic Competence”	Interpretative **Procedures**	**Schematic Knowledge of Use“ CC”**

(Widdowson’s Model of “CC” (1984))

Definition of the Learner’s “CC” in the Normal System of Communication

Widdowson (1978: 248) sees “CC” as “a set of strategies or creative procedures” where meanings are negotiated at the discourse level whether spoken or written by the skillful deployment of shared knowledge of code and rules of language use, and asserts that what the F/S language learners need to develop in the learning process is a basic underlying capacity to learn.

The Reading Component in the Advanced-Level Reading Program

Reading, at an advanced level in particular, must have a major role in the system of communication. However, researchers (see, for example, Swaffar et al., 1991) contend that EFL/ESL university students experience problems in making the transition from skills acquisition courses to the reading of subject-specific texts. Kern (2000: 108-109) suggests, that the real issue of reading lies in the ‘creation of discourse’. To achieve this, reading requires of the EFL/ESL students particular skills which must be developed through teaching.

The Nature of Reading

Goodman describes reading as a “Psycholinguistic game”, or a “Psycholinguistic process” (1988:12), in that it “starts with a linguistic surface representation encoded by a writer and ends with meaning which the reader constructs”. Goodman, then, develops this idea arguing that successful readers “are both effective and efficient” (ibid). Firstly, they are effective readers in being able to construct a meaning of a text that is often determined by the degree of fit between the textual features of the text and the reader’s actual comprehension of the meaning intended by the writer. Secondly, Goodman argues that readers are efficient in being able to select minimal language cues from the page to predict meaning. Most importantly, Goodman continues, this selectivity is supported by past experiences and knowledge of the language. As suggested by Goodman (1988), Widdowson (1979b), and Grabe (1991), reading is a constructive as well as a selective process.

Attention, thus, focuses on three interactive and interdependent issues: the reader, the text, and the interaction of the reader and the text and beyond to the writer of the text (Alderson and Urquhart, 1984: Preface).

The Linguistic Component in the Advanced- Level Reading Program

What knowledge do EFL/ESL learners need in order to function communicatively? It is now axiomatic that "CC" be proposed as a general, theoretical base for foreign/second (F/S) language learning and teaching. (see, for example, Savignon, 1983; Bachman and Savignon 1986; Kramsch 1986; Sato and Kleinsasser 1999; among others). However, in examining descriptions of models of language, and definitions of "CC" proposed since the 1970s (as shown below), it seems that the notion of "CC" does not lack difficulties of transferring knowledge.

To begin with, under sociolinguistic and ethnographic influences, Del Hymes' (1971:267, 282) concept of "CC" describes the interaction between language use and the context of situation.Viewing language in terms of the communicative functions it has evolved to serve, Halliday (1975) is more interested in the idea of 'potential' (the communicative force of linguistic forms), and its link to the context of culture (ibid:44,52). It is suggested however that what is lacking in Hymes' concept of "CC" (see Bachman and Savignon, 1986: 381) and in Halliday's model (see Widdowson, 1978) is a kind of interaction between a knowledge of language and an ability to use it. From the point of view of discourse, Canale and Swain's (1980: 41) theoretical framework of "CC" necessitates four kinds of knowledge:

Grammatical Competence, Sociolinguistic Competence, Discourse Competence and Strategic Competence (Canale and Swain's Model (1980))

However, Savignon (1983:50) raises the important issue of the interactive nature of Canale and Swain's (1980) four competencies since language strategies have unfortunately been treated as linguistic notions, on a par with the grammatical, sociolinguistic, and discourse categories.

In an attempt to resolve the problem of interaction between a knowledge of language and an ability to use it (see Figure2), "CC" is made workable, or as Widdowson, (2000:5) says, ' amenable to use' by providing opportunities that would allow learners to engage with language by exploiting their existing knowledge as well as appropriate the language themselves for learning (ibid, 1998:713). The purpose "is to get learners to invest a general capacity for further learning" in the real world (ibid: 715).

reading text as an extended reading comprehension, and focus mainly on obtaining the correct answer. Furthermore, lacking the necessary skills to read critically and negotiate different levels of meaning, EFL students seem to have a negative attitude to the text itself, and thus become reluctant readers. It may also be the case that they prefer the memorization of ready-made interpretations of texts to the enjoyment of developing their own skills of perception. If this is the case, we will continue having undergraduates whose critical abilities remain untapped and atrophied. These challenges, when combined with the difficulties posed by a partial knowledge of the TL, motivate the researcher to examine the defined course aims when planning advanced-level reading programs.

This paper supports the suggestion that literary selections provide an excellent content of an advanced reading program, which can best meet the language and future of academic needs of EFL undergraduates. The paper, however, suggests the planning of an integrated reading curriculum covering language and literary texts, without excluding other non-literary materials. Specifically, the purpose is to show the value of reading in the system of communication, and its relation to literary perceptions. The paper, thus, investigates the nature of communicative competence and its implications for the teaching of reading. It also proposes that there are vital advantages of including literary materials that would expose the students under consideration to authentic language interactions, providing them with the necessary “CC” that has to be acquired, and extending their reading competence to familiarity with literary perceptions. It also outlines a model involving pedagogical principles that will encourage the student readers to discuss, generalize, explore relationships, and form personal and reading responses to the texts they study. The paper presents a number of suggestions for the selection and grading of reading materials to be used, emphasizing the need for criteria to establish the suitability and usefulness of texts in relation to the relevant purposes of learning, and groups of learners. But, what is to be learned from the selection of texts is determined by how we teach these texts. Finally, the paper suggests ways in which the student readers’ progress is assessed and evaluated.

Literary study, in this paper, is any kind of writing in prose or verse which does not aim at communicating facts or information, but directs attention to the expressive nature of literary works and the varieties of language use that belong to different genres. It is important to include, in addition to literary texts, non-literary prose. The rationale is that while non-literary texts, are “representational in intention” (Newmark, 1988:6) and can sensitize students to what Widdowson (1983) terms the ‘conventional schemata of ordinary discourse, exposing students to both varieties of prose (literary and non-literary) will enhance their reading, literary, and communicative competences.

The Arab Journal For Arts Vol. 6 No. 2, 2009, pp. 95-112

Relevance of Literary Texts to University Advanced-Level Reading Programs: Three Interactive Processes

Nihal Ameira *

Abstract

This paper aims at describing how levels of response to literary works (literary competence) interact with levels of communicative competence (CC) in learning a foreign language (FL). It attempts to highlight the importance of planning an advanced English reading program when learning a foreign language in relevance to EFL tertiary-level students of language and literature, and to those with a special interest in translation. The paper suggests that the student's competence in using language is more likely to be successful when the study of literary texts is related to reading skill developments. The aim is to highlight the interaction processes involved in reading and understanding literary works, and enhancing communicative competence. The suggestion is that literature -by the peculiar nature of its deployment of language, or 'universes of discourse' in terms of the linguistic, cultural, and literary experience inherent in each literary selection- will assist the student reader in vicariously experiencing the total communicative situation, and creatively utilizing the language capacity required for the successful uses of the TL. Such a reading program will govern the choice of the teaching method, which will involve specific criteria (linguistic, cultural, and educational) by which the teacher can be guided for the selection and grading of materials. The paper suggests a number of activities to illustrate its main theme and assessment techniques for the evaluation of students' learning and abilities to apply what they have learnt to improve their communicative competence.

Background

There may be many university-level EFL learners who regard literary study as an unnecessary indulgence in their field of specialization.

"Majoring in translation, why the hell should literary study be part of the advanced reading program?" is a typical question posed by some translation students. There are also the literature undergraduate students who also question the relevance of literary texts to the practical concerns of the advanced reading program. These students' remarks are revealing and apply to most of non-native English students (see, for example, Greenwood, 1989:92). What seems to put the EFL students off is that, motivated by examinations, they expect to deal with the

---

* English Department, Faculty of Arts and Science, Petra University, Amman, Jordan.

Quirk, R. et al. (1985). *A Comprehensive Grammar of the English Language*. London: Longman. Pp. 265- 288.

Wallace, S. (1982). “Figure and Ground: The Interrelationships of Linguistic Categories”. In P. J. Hopper (ed.). *Tense-Aspect: Between Semantics and Pragmatics*. Amesterdam: John Benjamins.

Ward, G. & Birner, B. (1996). “On the Discourse Function of Rightward Movement in English”. In A.E. Goldberg (ed.). *Conceptual Structure, discourse and Language*. Stanford: CSLI Publications.

Szwedek, A. (1977). "The Thematic Structure of the Sentence in English and Polish". Paper Presented at the Conference on Contrastive Analysis and Error Analysis. (Stockholm, Sweden).

Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.

Gundel, J. et al. (1993). "Cognitive Status and the Form of Referring Expressions in Discourse". *Language*. 66 (4): 742-763 .

Gussenhoven, C. (1983). "Focus, Mode and the Nucleus". *Linguistics*. 19: 377-417.

Faber, D. (1987). "The accentuation of intransitive sentences in English". *Journal of Linguistics*. 23: 341-358.

Halliday, M.A.K. (1994) *An Introduction to Functional Grammar* (2nd ed.). London: Arnold.

Hogg, R. & McCully, C. (1987). *Metrical Phonology: A Coursebook*. London: Cambridge University Press.

Horne, M. (1985). "Grammatical Functions and Contextual Co-reference". *Studia-Linguistic*. 39 (1): 51-66.

Jones, L.B. & Jones, L.K. (1979). "Multiple Levels of Information in Discourse". In L.K. Jones (ed). *Discourse Studies in Meso-American Languages*. Arlington: The Summer Institute of Linguistics & The University of Texas at Austin.

Leong. A.P. (2000). "The Interference-Boundary Model: Reinterpreting Theme and Rheme". *Languages Sciences*. 22 (1): 1-26.

Masica, C. (1986). "Definiteness Marking in South Asian Languages". In B.H. Krishnamurti (ed). *South Asian Languages-Structure,Convergence and Diglossia*. Delhi: Motilal Banarsidass.

Mathesius, V. (1975). "Excerpts from A Functional Analysis of Present Day English". In J. Vacheck (ed.). Libuse Duskova, trans. Prague: Academia. Pp. 81- 85, 100-103, 153-160, 192-202.

Phillips, B. (1983). "Lexical Diffusion and Function Words". *Linguistics*. 21: 487- 499.

Prince, E. (1981). "Toward a Taxonomy of Given –New Information". In P. Cole (ed.). *Radical pragmatics*. New York: Academic Press.

Prince, E. (1992). "The ZPG Letter: Subjects, Definiteness, and Information-Status". In W.C. Mann & S.A. Thompson (eds). *Discourse Description.* Amsterdam: John Benjamins Publishing Co.

8- Prince (1981b) does not define the term link and does not even consider those constituents that can be listed under this category. My assumption regarding verbs here is no more than a filling-in-the-gap exercise.

9- Besides, in some languages such as Japanese and Quechua some particles are used.

10- The term communicative dynamism is used in the sense of Firbas (1966: 270): a criterion according to which the information status of the constituents are viewed, so as to guarantee the hetrogeniety of the text, i.e., not all items in the discourse are new (because the message cannot be totally understood), and not all of them are old (because that won't help the discourse to move forward).

References

Allerton, A.D. & Cruttenden, A. (1979). "Three Reasons for Accenting a Definite Subject". *Journal of Linguistics*. 15: 49- 53.

Bardovi-Harlig, K. (1983). “Pronouns: When ‘Given’ and ‘New’ Coincide.” In A. Chukerman, M. Marks & J.F. Richardson (eds.). *Papers from the Nineteenth Regional Meeting*. Chicago: Chicago Linguistic Society.

Birner, B. (1994). “Information Status and Word Order: An Analysis of English Inversion”. *Language*.70 (2): 233-259.

Birner, B. & Gregory, W. (1998). *Information Status and Noncanonical Word Order in English*. Amesterdam: John Benjamins Publishing Company.

Bolinger, D.L. (1972). Accent is Predictable (If you are a mind reader). *Language*. 48: 633- 644.

Bolinger, D.L. (1985). “Two Views of Accent”. *Journal of Linguistics*. 21: 79-125.

Chafe, W.L. (1970). *Meaning and the Structure of Language*. Chicago: the University of Chicago Press.

Chomsky, N. & Halle, M. (1968). *The Sound Patterns of English*. New York: Harper and Row.

Firbas, J. (1966a). “On Defining the Theme in Functional Sentence Analysis”. *Travaux Lingistiques de Prague*. Alabama: University of Alabama Press. 1: 267-280

Firbas, J. (1966b). “Non-Thematic Subjects in Contemporary English”. *Travaux Lingistiques de Prague*. Alabama. University of Alabama Press. 2: 239-256.

Givon, T. (1984). *SYNTAX: A Functional Typological Introduction*.Vol.1.

Notes

1- Following Chafe (1970: 213), we would like to assume that, as a general tendency, “those surface structures items which reflect new information are (with some exceptions) spoken with a higher pitch (and greater amplitude) than those which reflect old information”. Bolinger (1972: 633) restates the same idea by saying that tonic stress "is a matter of information, not structure". Allerton and Cruttenden (1979: 49) paraphrase this idea as " words with low informational content … are unlikely to receive a nuclear stress, whereas words with high information content … are likely to receive a nuclear stress."

2- Allerton & Cruttenden (1979) show how an intransitive verb may fail to receive tonic stress, which gets shifted on to the definite subject. In the same vein, Faber (1987) subcategorizes intransitive sentence with regard to tonic stress placement. The present study deals with the same issue in more unifying terms.

3- The discussion here is inspired by Chafe’s (1970: 214) question: “why does a noun which conveys old information have to be either definite or generic?” According to Chafe, “the trouble with sentences like (*a box is empty* or *sm boxes are empty* [p:213]) is that they treat something which has to be new information as if it were old information by placing it first in the surface structure and giving it low pitch.”

4- The discussion here is restricted to English sentences where the typical word order is SVO. An excellent overview of the theme-rheme distinction is provided in Halliday (1994) and Szwedek (1977).

5- See Allerton and Cruttenden (1979) for examples where even a definite subject takes precedence over an intransitive verb to attract tonic stress.

6- It should be pointed out that the discussion here excludes altogether the assignment of stress for emphasis or contrast6, simply because every lexical item in a certain context, including prepositions and form words which are marked for “their high word frequency and their low sentence stress” (Philips 1983: 487), can be stressed contrastively. Bolinger (1985: 85) argues that “the focusing of a preposition is like the focusing of any other word,” but I think we need to draw a distinguishing line between those stressed contrastively, and those stressed noncontrastively. Otherwise, the speaker may choose to make a “declared contribution” (Gussenhoven 1983: 383) to the context, and thus, highlight the meaning of any lexical item, for “whenever emphatic stress occurs in a sentence, it overrules normal stress” (Hogg and McCully 1987: 4).

7- Bardovi-Harlig (1983: 23) proposes a scale on which all lexical items are listed according to their semantic content: “An item is entered on the top of the scale on its first occurrence.” However, she assumes that pronouns, due to the fact that they can never be totally new, they cannot, compared to the other lexical items, reach the top of that scale.

communicates the higher degree of communicative dynamism in the sentence becomes less decisive. Each lexical item fits in its context if the choice is successful. We conclude that primary stress placement at the discourse level is a matter of how much the stressed constituent contributes to the development of the text as a whole.

التحليل السياقي لنبر الافعال

رشيد الجراح، مركز اللغات، جامعة اليرموك، إربـــد، الأردن.

ملخص

التقليد في نظرية التكديس المعلوماتي (information structuring) ركز على واحدة من مكونات الجملة الأساسية وهي التراكيب الاسمية NPs وغالباً ما غفل عن التراكيب الفعلية VPs. فقد دللَت دراسة Prince (1981b: 235) على تقسيم النص إلى ثلاثة مكونات رئيسة وهي: وحدات السياق Discourse entities والخصائص attributes، والروابط links، حيث تكون وحدات السياق الممثلة بالتراكيب الاسمية من الجملة هي التي تحتوي على المعلومات الخبرية. أما الأجزاء الأُخرى كالخصائص والروابط التي تقع ضمن السياق نفسه فقد استُثنيت من البحث لأسباب لا تتعدى ضبابية الاستخدام وعدم وضوح الرؤيا. فتحاول الدراسة الحالية تقصّي لماذا يفشل التركيب الفعلى، على وجه التحديد، في أن يقع في بؤرة التركيز ليتحمل نبر السياق، وقد تم التأطير في هذه الدراسة للافتراض التالي: تتميز الأسماء، على غير عادة الأفعال، بسمات دفينة كقدرتها على تحمَل التعريف (definiteness) والتضمير (referentiality) والترتيب (word order) التي تحدد تكديسها المعلوماتي حتى وإن كانت منعزلة عن السياق (انظر Finegan 1994: 206). ويساهم كل ذلك بشكل كبير في تعزيز مكانة التراكيب الاسمية على مستوى السياق. وبالمقابل يصعب تجلية التكديس المعلوماتي للتراكيب الفعلية إلا ضمن إطار السياق الذي تقع فيه (انظر Masica 1986: 130)، ولذا يتم تحديد درجة نبر التركيب الفعلي في أغلب الأحيان على أساس تقابلي (contrastively). وحتى عند تقسيم الجملة الى جزئين ابتدائي وخبري (انظرMathesius 1975)، فإن الفعل يعتبر جزءاً من القسم الخبري الذي يحتل فيه الاسم المتمم للجزء الفعلي الدرجة الأَعلى من الدفع الاتصالي communicative dynamism (انظر Firbas 1966: 270)، وهو بالتالي مَن يقع عليه نبر السياق. وفي دراستنا هذه فإننا نبين أن ليس من الاستحالة أن يتحمل الفعل نفسه أعلى درجة من الدفع الاتصالي وبالتالي احتلال بؤرة التركيز في السياق. وإن صحَ هذا الافتراض فالدراسة الحالية تقدم تحليلاً موحداً للتراكيب الفعلية والاسمية من خلال وظائفها في السياق.

* **The paper was received on Aug. 13, 2007 and accepted for publication on Apr. 10, 2008.**

sentence, plays the highest degree of 'communicative dynamism'—that is, pushing the text forward. Contrast:

(28) A- My wife talked to me about what happened yesterday. She doesn't know how to keep a secret.

B- My wife talked to me about what happened yesterday. Someone knocked at the door….

The 'act of talking' in A is far more important than the action that took place, simply because the second sentence emphasizes the idea by making that act its theme. On the other hand, B stresses the importance of the action that took place, not because it belongs to a certain category of lexical items, but, more importantly, because it displays the highest degree of 'communicative dynamism', resulting in making that action the topic of discussion in the next most adjacent discourse unit. In other words, (28a) is most appropriate when the speaker is telling a fact about his wife, but (28b) is most appropriate when reporting the incident that happened yesterday.

As far as primary stress is concerned, the speaker will stress the word *talked* in A in an attempt to draw the attention of the hearer(s) to it as he plans to make it his next topic. In B, on the other hand, *talked* goes unstressed as the speaker's next topic has nothing to do with 'the act of talking'. In both cases the accentuation does not convey any sort of contrast, it is just the context that determines which constituent plays the highest degree of communicative dynamism, irrespective of (a) the grammatical category of the word, and/or (b) its position in the sentence.

CONCLUSION

The foregoing discussion brings us back to the definition of the theme and rheme first proposed by Mathesius (1975), where he defines the two terms functionally. The relationship between the theme and rheme as functional terms on the one hand, and the subject and the predicate as grammatical terms on the other is not one-to-one, for they do not always coincide. Otherwise, the grammar of the language will not be able to incorporate into its system cases like (27) above where the grammatical subject (i.e., a man) may be far more salient in the subsequent discourse than the predicate complement. As for language teaching/learning, the proposed analysis provides a uniform analyis that capitalizes on the following assumptions. First, the rules that account for the accentuation of nominal constituents are the same rules that account for the accentuation of verbal constituents. Second, there is no need to for parameterization (i.e. to assume that some verbs are more likely to attract stress than others. Third, the canonical word order of the constituent which

copula here is due to its semantic content at the discourse level). This surely does not contradict Chafe's observation that "the fact that high pitch regularly reflects new information except that a verb root specified as new is not represented in the surface structure with high pitch unless it is final" (Chafe 1970: 217). Examples like these emphasize three facts: first, the rules that account for the accentuation of nouns are the same rules that account for verbs; second, there is no motivation to assume that some verbs are less likely than others to undergo the same rules; and third, the position of the constituent which communicates the higher degree of communicative dynamism in the sentence becomes less decisive. Each lexical item fits in its context if the choice is successful. The final point merits further clarification.

In Horne's (1985: 57) terms, the predicate compliment is given precedence over the grammatical subject. In light of the present discussion, this may not be true all the time. Consider:

(27) A man called while you where on your break. He said he'd call back later.

Since the grammatical subject *he* is the theme of the second sentence, I find no reason not to consider its antecedent *A man* the rheme of the first sentence, though it is not part of the predicate. Besides, the fact that the grammatical subject is indefinite, it adds new information, necessary for pushing the discourse forward; and thus gets pronominalized in the subsequent discourse. The noun phrase *A man* is the rheme, not because it is part of the subject or part of a certain grammatical category, but, may, in part, be looked at from another angle: it is the theme (the part that is under current discussion) of the second clause. The speaker in the first sentence wants to communicate the idea that there was an act of calling by someone (whom he does not know); in the next sentence he wants to convey the message of that person (that is, he will call later). That same person on the second occurrence (i.e., he) is no longer occupying a focus position in the discourse, simply because any constituent cannot have the same 'degree of communicative' dynamism on two or more successive occurrences in the development of the discourse. Otherwise, the text will be totally homogeneous, i.e., as if nothing is added to what has already been presupposed. I would hesitantly use the term 'fossilization' of the text in such instances (or 'termination' of the discourse). Making use of analogy, one would say that a discourse is like a tree with a trunk (theme) and branches (rhemes). The time the tree stops producing these branches, it reaches a state of dormancy that, if continues for too long, causes the tree to die.

As a final example to illustrate how the subsequent discourse determines which constituent, irrespective of its grammatical structure or its position in the

the part which communicates the highest degree of communicative dynamism—by being thrown to a focus position, and uttered with highest pitch. That part is really of most concern to both the encoder and the decoder.

Having established this close theme-rheme interface, it is easy to see why certain texts are more coherent than others. The more the text follows this pattern, the more it is continuous, and the more it gives the reader/hearer the opportunity to anticipate. Even without needing to consider them in larger contexts, though essential, one may comment why in a written text (24) below is far more coherent than (25):

(24) A- have you seen John?

B- I've seen his sister.

(25) A- have you seen John?

B- I've seen the manager.

To reiterate, because *the idea of seeing John* is the rheme of the question, there is no need to continue acquiring that same information status as the discourse develops; it would better be (part of) the theme in the answer, i.e., be part of the presupposed knowledge of the interlocutors; This will guarantee the heterogeneity of the text, and the continuity of the discourse; otherwise, intelligibility on the part of the reader will be greatly affected. But the important point is that this may have nothing to do with the grammatical category of the constituent(s) undergoing the change. Verbs, like nouns, can be accentuated for reasons other than emphasis or contrast, simply because they are potential carriers of meaning, and so they can push the text forward. We need not, then, provoke terms like emphasis or contrast to account for one category where, meanwhile, we can handle the subject matter in more unifying terms.

Given this uniform analysis, we then need not assume that some verbs convey a higher degree of communicative dynamism than others as Firbas (1966) does. Consider the following example:

(26) A- he is a good teacher.

B- yes, he *is*.

In A *teacher* is the rheme of the discourse unit, and so it becomes the theme (i.e., he) of B; as a corollary of the belief that each discourse unit comprises a theme and a rheme, *is* on its second occurrence does not communicate the meaning of contrast whatsoever; rather, it displays the highest degree of 'communicative dynamism'—by being thrown to a focus position and uttered with, relatively higher pitch than the pronoun *he* (that is, the accentuation of the

It is interesting to note that the rheme of each sub-part is the theme of the next, but the topic of discussion for the discourse as a whole is that of *keeping in touch with*:

(21a) A-I still see Harold, who was my best friend in high school

B- And then there's Jim, who was my college roommate

C- and Stan and Hilda, who I met in my sophomore year at state

Notice here that in those cases where the same grammatical subject of the first clause is copied into the next, the verb is the part that plays the highest degree of communicative dynamism (or the most important element in the discourse—so to speak) since the verb itself is what pushes the discourse forward, and at the same time inviting a new constituent to occupy the rhematic position:

(21b)D- I've kept in touch with many people from school days. I still see Harold

E- I really like Jim and Stann. But Harold, I can't stand him now

In D above, as the most important thing is the idea of *keeping in touch with*, *many people* is not the theme of the next discourse unit: the grammatical subject *I* is copied and a new constituent (i.e., Harold) is introduced as the rheme of the new discourse unit. Interestingly, left-dislocation in E has no effect except moving the constituent which occupies the nucleus of the rheme (i.e., Harold) from sentence final position to sentence initial position. In other words, whether *Harold* is sentence initial or sentence final, the next sentence will no doubt make him its topic:

(22) But Harold, I can't stand him now, because he ….

Another example where the verbal part, not the nominal part, has the highest degree of communicative dynamism is taken from Birner et al (1998):

(23) My sister got stabbed. Two of my sisters were living together on 18th Street. They had gone to bed, and this man, their girlfriend's husband, came in. He started fussing with my sister and she started to scream. The landlady, she went up and he laid her out. So sister went to get a washcloth to put on her, he stabbed her in the back.

It is interesting to note that the part in focus in the first sentence (got stabbed) is the one that pushes the text forward by being developed throughout. Within the larger context, there are, of course, sub-parts that all contribute to the development of the whole discourse topic. Looking at the discourse as a whole unit of heterogeneous nature in which each item contributes, relatively speaking, something to the development of the topic under discussion, it is easy to detect

(19a) I gave John a book which I borrowed from the library

(20a) I gave a book to John, who attended the meeting yesterday

Notice that as *book* is the focus of the matrix clause in (19a); it violates neither the grammar nor the semantics of the discourse unit to be developed as the theme of the embedded clause; similarly, *John* is the rheme of the matrix clause in (20a), and so changing its information status to become the theme of the embedded clause will not result in a weird construction. This can be clarified if we make the following paraphrase:

(19b) I gave John a book[that book I borrowed from the library

(20b) I gave a book to John[John attended the meeting yesterday

Once a constituent -irrespective of its type- is thrown towards a focus position, its likelihood to be developed in the discourse increases. As for the verbal-nominal dichotomy relative to their information statuses, nominal constituents are more likely to occupy rhematic-thematic positions; and thus they acquire higher degrees of ‘communicative dynamism’. Pronominalization is just one piece of evidence. To illustrate, in addition to their semantic content, which surely contributes to their saliency in the discourse, nominal constituents are usually pronominalized on subsequent occurrences. When repeated in their reduced forms, their likelihood of continuing to occupy a focus position decreases, as they move more to the left on Prince’s (1981b) hierarchy of Assumed Familiarity, or Gundel et al.’s Hierarchy (1992). This is corroborated by the findings of Prince (1981b: 250) where she shows that evoked entities in subject position make up 50% of the total tokens she investigated, whereas in nonsubject position they make up 12.55% only, implying that those entities in thematic position are more likely to have been introduced into the discourse earlier.

In the same vein, verbs occupy the rhematic position once they have the highest degree of communicative dynamism which will enable them to become the theme of the subsequent discourse (i.e., topic under current discussion) with the grammatical subject of each sub-part being copied into the next. Consider the following example taken from Finegan (1994: 209)

(21) I’ve kept in touch with many people from my school days. I still see Harold, who was my best friend in high school. And there’s Jim, who was my college roommate, and Stan and Hilda, who I met in my sophomore year at State. I really like Jim and Stan and Hilda. But Harold, I can’t stand him now.

discourse unit, and uttered with a high pitch. *On its next hypothetical occurrence it will have the least degree of 'communicative dynamism'* as it moves into a thematic position. Hence, movement into a thematic position adds no further information in this case as it becomes part of the background, and contributes no more to the development of the text. The speaker presupposes the existence of this piece of information in the consciousness of the hearer (i.e., theme), and begins thinking of adding new information (i.e., rheme) to what has already been presupposed.

This way of argumentation supports Bardovi-Harlig's conclusion that making a certain constituent occupy a focus position on a 'dynamic scale,' where "an item may move up the scale from a lower position," is not a matter of "strict appearance in the text" (1983: 22). Any constituent—be it nominal or verbal—may not occupy the rhematic position of the text unless it has the highest degree of 'communicative dynamism' - the contribution it makes to move the discourse, at least, one step forward. And this may not happen unless that constituent becomes the most significant piece of information by being the likely constituent to become (part of) the theme of the subsequent discourse unit.

Such being the case, the choice between (19) and (20) below in connected speech is not a matter of stylistic variation as one would assume at first sight. Rather, it is a function of their 'communicative dynamism' not only within the boundaries of the sentence as an independent, bounded unit, but, more importantly, in the discourse as a whole—what they contribute to the text as a whole:

(19) I gave John a book

(20) I gave a book to John

Extending Creider's (1979) analysis, I should need to mention first of all that (19) is an answer to a question like *what did you give John?* and (20) *to whom did you give the book?* The information status of examples like these, I believe, can be approached from a different angle, that is, taking the following discourse into account. In my view, their uses in the appropriate context can be revealing. Examining these two sentences in their unmarked occurrences would reveal that they are not the same as far as the following discourse unit is concerned: (19) is most appropriate if the topic (the theme) of the following discourse is *a book*, which has already occupied the rhematic position in the previous discourse, and thus, contributing more to the coherence and cohesion of the text. Similarly, the subsequent discourse unit of (20) will make *John*, not *book*, its topic (the theme) by virtue of the fact that it has already functioned as the rheme in the discourse. This fact is manifest if we try to extend the discourse of (19) and (20) as in (19a) and (20a) below:

discourse unit talks about ‘the act of robbery’ rather than ‘the bank’ that is by then, in Wallace’s (1982: 208) words, backgrounded; and the discourse following (16) about the act of sleeping; and the discourse following (17) about the act of leaving. This is so because the constituent that occupies the rhematic position is the most legitimate constituent to occupy the thematic position in the subsequent discourse. Consider the following example taken from Birner (1994: 238), where she argues for the accentuation of the postposed constituent (i.e., Nusseibeh) in terms of “the familiarity of the subject and the preposed element” (i.e., most immediately affected):

(18) Nusseibeh’s unusual predicament causes concern all around. His friends fear that Arab hard-liners will turn on Nusseibeh, thinking he is an Israeli ally. The Israelis, who certainly want to squelch the 17-month-old uprising in the West Bank and Gaza Strip, are under intense pressure from the United States not to jail moderates who may figure in their election proposal for the territories occupied since the 1967 war. <most immediately affected> is <Nusseibeh himself>

Despite the fact that *Nusseibeh* has been introduced into the discourse earlier, and despite the fact that it is a proper name, it occupies a focus position in the sentence on its second occurrence. Earlier approaches would predict that *Nusseibeh* is the least likely constituent to occupy this position by virtue of the fact that it has already been introduced into the consciousness of the hearer/reader. Otherwise, an attempt to throw it towards a position of focus, and thus, producing it with high pitch, may convey a contrastive function, i.e., as an answer to a question like: who is most likely affected? In my view, moving Nusseibeh to a rhematic position is a preparatory step to making it the theme of the subsequent discourse: for Nusseibeh to become the topic of discussion (i.e., part of the background) as the text moves forward, it is better introduced into the discourse not as part of background information, but rather as the nucleus of the discourse. Implicit in this assumption is the fact that strict appearance in the text is not the decisive factor; a lexical item may appear in the text for the first time without having it in rhematic position (cf.: Nusseibeh in initial position in 32 above). As long as it does not occupy the rhematic position of the discourse at a certain point, it may not be developed to become the topic of the subsequent discourse. Notice here that Nusseibeh on its second occurrence in the first part of the discourse is thrown towards a focus position, and is not pronominalized until it becomes the theme of a sub-part of the discourse (i.e., he is an Israeli ally). To make use of the notion of ‘communicative dynamism’ (Firbas 1966: 270), Nusseibeh on its final occurrence, being introduced on the scene as part of ‘foreground’ information, does have the highest degree of ‘communicative dynamism’ as it occupies a focus position—being the rheme of the second

contrary, are less subject to the restriction; they have a relatively higher degree of maneuverability. Consider the following examples which involve It-Clefting:

(12) it was John that bought a car

(13) it was a car that John bought

(14) *it was bought that John a car

The grammar of the language prevents such movement for the finite verb as in (14) above, thereby making its position with respect to the other constituents in the sentence highly predictable. A well-known example of movement rules that influence the information status of the lexical items undergoing the movement is the passive. Whereas the grammatical subject and object interchange positions resulting in highlighting one and backgrounding the other, the information status of the verb remains unchanged in both constructions. Besides, almost all movement rules that influence the information status of the lexical item undergoing the rule are done relative to the verb (cf. preposing and postposing). This gives us the indication that movement rules which “serve an information packaging function” (Birner 1994: 233) are not as influential in the case of verbs as they are for nouns. This would inevitably decrease the likelihood that verbs occupy a thematic or a rhematic position. Besides, in SVO languages, verbs do not occupy initial position (talking about typical declarative sentence) as that position is reserved for nominal constituents which, in order to avoid mere repetition, can be pronominalized on subsequent occurrences. Factors such as these may explain why nominal constituents are, relatively speaking, more likely to be the main DISCOURSE ENTITIES, the potential carriers of information.

However, verbal constituents, when occupying a rhematic position, become most prominent. As sentence final position is one of focus, it is necessary that a constituent occupying that position acquire an information status, relative to the other constituents in the same discourse, up to that capacity. Consider the following examples:

(15) the bank was robbed

(16) John slept

(17) John wanted to leave

In these three sentences, the verbal part is more prominent (i.e., uttered with high pitch) than the nominal part. In connected speech- all other things being equal- it is not unusual that this part of the sentence be developed as the topic of subsequent discourse units. In other words, the information structure of the discourse in which (15) occurs will not suffer from lack of coherence if the next

rheme to theme, establishing a degree of appropriateness between them" (Ping 2000: 21).

I would argue that it is not an inherent property of noun phrases, as has sometimes been implied, that they are given priority in the discourse. Although participants, as stated earlier, tend to stand out more than actions in the "landscape", the present uniform analysis proposes that the information status of constituents (theme-rheme distinction) occurring in the same discourse is determined by their relevance to the subsequent discourse. The constituent, be it verbal or nominal, that contributes more to the overall meaning of the text and pushes it forward most is the likely constituent to receive prominence (foregrounding) on its first occurrence, and backgrounding on its subsequent occurrences. THIS HAPPENS BECAUSE THE SAME CONSTITUENT KEEPS CHANGING ITS INFORMATION STATUS AS THE DISCOURSE DEVELOPS. The greater the ‘saliency’ of that constituent as the discourse develops (i.e., in terms of frequency), the less likely it is to be prominent (in terms of stress). That same constituent—be it nominal or verbal—which was part of the rheme (i.e., comment) on its first occurrence changes now to become part of the theme (i.e., topic) on subsequent occurrence(s). This can be clarified by the well-known example of the opening of the narrative:

(11) A- once, there was **a king**

B- *the king* had **three daughters**

C- *the three daughters*…..

In each case (A, B, or C), the nominal constituents acquire an information status on their second occurrences (in italics) different from that they have acquired upon entrance into the discourse for the first time (in bold). This shift in position, we argue, is the most important factor in determining the information status of a certain constituent—be it a noun, a verb, etc. It is not because *a king* is an indefinite noun that makes it more prominent than the verb *was* in this sentence in particular, but rather, because it occupies a position that makes it the most legitimate candidate to become the topic (i.e., the salient feature) of the following discourse, and thus, contributing in one way or another to the development of the discourse. This happens when a new element (thrown toward a rhematic position) takes turn to be part of the subsequent discourse. ***A king*** *in A is the rheme because the narrator wants to prepare it to become the theme of the next sentence*.

Taking this into account, one may propose that verbs are less likely to change their positions; they are less likely to occupy a rhematic position on their first occurrence, and a thematic one on their second occurrence. Nouns, on the

forward to account for the accentuation of pronouns apart from that of emphasis or contrast: “a scale on which all information bearing sentence elements are entered.” However, in the case of verbs, it is not an unusual thing that a verb reaches the top of the scale, hence it is not, nor it can be, a totally ‘evoked entity’ as is the case with pronouns.[7]

At the other end of the scale, according to Prince (1981b: 235), the text is usually divided into “DISCOURSE ENTITIES, ATTRIBUTES and LINKS”[8] in which the first two categories correspond, roughly speaking, to noun phrases (including pronouns), and adjectives, respectively (capital in original). Within this framework, pronouns are always regarded as ‘contextually evoked’ entities that cannot be stressed for their infomativeness. Verbs, on the other hand, are neither discourse entities (which are represented by noun phrases) nor attributes. Although Prince’s discussion says nothing about verbs, one can infer that they can be treated as links—the third category in this taxonomy. I should mention, however, that the information structuring of verbal constituents merits further investigation.

INFORMATION STRUCTURING AND SENTENCE FOCUSING

The encoding of the information structure, i.e., “highlighting certain elements and backgrounding other elements” (Finegan 1994: 197), of nominal constituents has been extensively studied in the literature (Prince 1981b, 1990; Gundel et al 1992; Birner 1994; Ward et al. 1996; inter alia). It turned out that at the surface structure, intonation and word order are the most important features (Chafe 1970: 233; Creider 1979: 16)[9]. However, in order to understand the real impact of these factors at the discourse level, we need to consider other parts of speech whose information statuses seem to be less crystal clear.

At the discourse level, the prominence of a certain constituent is to a large extent determined by the context (verbal or nonverbal) in which it occurs. Several studies have shown that once a certain constituent enters into the discourse for the first time, it is more likely to receive prominence as it adds a new piece of information to the message communicated by the speaker/writer to the audience (see Bardovi-Harlig 1983: 23-4); meanwhile, that same constituent is often thrown towards a focus position (Mathesius 1975; Firbas 1966; Prince 1981; 1992; Birner 1994; Ward et al. 1996; inter alia). This may contribute to considering the text as consisting of “degrees of significant discourse information” (Jones and Jones 1979: 6).

Firbas (1966a;1966b), argues that each constituent in the discourse communicates a certain degree of ‘communicative dynamism’[10], i.e., securing the heterogeneity of the discourse. In Ping's words, "Backward inferences relate

(7) Predicate Complement > Subject > Verb

a car > the man > bought

HIERARCHY OF IMPORTANCE

Bardovi-Harlig (1983) argues that pronouns, which are contextually evoked- to use Prince's (1981b) terminology- can be stressed for their "semantic roles."[6] In a sentence like (8) below, the accentuation of the pronoun *he* is accounted for on semantic grounds, namely, the change of semantic relations:

(8) John hit Sam and then *he* was hit by Ira,

where *he* (i.e., the topic of the second clause) is not interpreted as referring to *John* (i.e., the topic of the first clause), but to *Sam* (i.e., the comment of the first clause). This semantic role shift makes it clear that the accentuation of pronouns is not solely, though it does imply, for emphasis or for contrast. Such being the case, Bardovi-Harlig (1983: 21-2) rightly concludes that "[p]ronouns are also potential carriers of new information," and "[n]ewness…is definable not only by strict appearance in a text or discourse."

The same rationale applies to verbs. Verbs cannot be excluded from the investigation on the basis of the meaning they contribute to the text, for their semantic content is undeniable. For example, a verb is often accentuated when repeated. Consider the following examples taken from Bardovi-Harlig (1983: 17), where in (9) the verb *broke* is in focus, but in (10) the pronoun gets that privilege:

(9) She saw the window break, but she didn't know what broke it.

(10) I saw the glass that Floyd broke, but I couldn't tell what it broke.

Whereas Bardovi-Harlig argues for the accentuation of sentences like (10), I would like to extend the same argument to include sentences like (9). Here, the accentuation of the verb can also be accounted for in terms of the change in the semantic content: *broke* in the second clause does not communicate exactly the meaning of *break* in the first clause: Whereas the verb *break* in the first clause communicates the idea that the experiencer saw the whole action, it is not used in that sense in the second clause. Notice here that the verb *break* on its second occurrence in (9) has changed its grammatical function: whereas it is transitive on its second occurrence, it is not on its first occurrence. Therefore, in both cases (i.e., the accentuation of verbs and pronouns), the two lexical items are accentuated not only because of their semantic content, but also their discourse function. This, at least, gives us an insight how accentuation works at the discourse level: *for the meaning they contribute to the text in which they occur*. This may fit well with the suggestion that Bardovi-Harlig (1983: 23) puts

use Prince's terminology. However, in cases where the verbal constituent contributes more to the development of the discourse, i.e. stands out more in the landscape, it receives more prominence.

HIERARCHY OF PROMINENCE

To account for the position of the nucleus, i.e., the hierarchy of prominence as in (3) above, scholars have approached the subject matter from different angles. Chomsky and Halle (1968), for instance, propose two rules: Compound Stress Rule (CSR) which applies to lexical categories, and Nuclear Stress Rule (NSR) which applies to phrasal categories. The example in (1) above can have a syntactic structure as in (4) below:

(4) [S[NP the man [VP[V bought [NP a car] VP]S]

Since the two rules apply cyclically—that is, the most deeply embedded constituent and so on, then the NSR assigns primary stress to the NP *a car* first, and erases inner-most brackets. The resulting syntactic structure is like (5) below:

(5) [S[NP the man [VP *bought* a **car**] S]

Now the most deeply embedded constituent is the VP, and so the NSR applies once more and assigns primary stress to the rightmost stressed constituent (i.e., car) while, at the same time, demoting all other constituents in the same domain of application (i.e., bought a car) by one level and erasing inner-most brackets as in (6) below, where the word *car* continues to be primarily stressed, but the word *bought* receives secondary stress. In the third cycle, the domain of application is the whole sentence:

(6) [S the *man* bought a **car**]

The stress on **car** continues to be primary because of the application of the NSR for the third time, but the stresses on *bought* and *man* are reduced by one level, resulting in tertiary stress for *bought* and secondary stress for *man*.

It is quite clear, therefore, that the adoption of the syntactic approach does not tell us why a certain constituent is made more prominent than all the other constituents in the same domain of application (i.e., hierarchy of importance). Rather, it just accounts for how that constituent gets more prominence in its context (i.e., hierarchy of prominence).

The argument that takes the grammatical function of the lexical item into account yields almost identical results. They just tell us what constituent is more prominent, but they do not tell us why that constituent is made more prominent. Consider, for example, the hierarchy of grammatical functions proposed by Horne (1985: 57) where the predicate complement is always given priority:

'theme' (i.e., topic) and a 'rheme' (i.e., comment). The word *car*, therefore, by virtue of the fact that it is indefinite, conveys new information to the discourse[3], and thus, occupies the nucleus of the rheme, but '*the man*' does not add new information because the use of the definite article *the* implies that this lexical item is either 'situationally' or 'contextually evoked' (Prince 1981: 236). A natural deduction of this line of thought is the requirement that the whole proposition be divided into two portions only. If no movement rules are applied, the theme, then, comprises all the lexical items up to the verb, and all the other lexical items, including the verb, of course, make up the rheme. In (1) above, the NP *the man* is the theme, and the VP *bought a car* is the rheme. However, it is not crystal clear why the verb *bought*, though neither situationally nor contextually evoked, and despite being part of the rheme, is less prominent than the subject *the man* (i.e., the theme). If we assume that *a car* is the least familiar lexical item in this sentence because it adds new information into the discourse, and that *the man* is the most familiar because it does not, then we come up with a hierarchy of importance (based upon newness vs. givenness)[4] as in (2) below which does not match up with the hierarchy of prominence (based upon relative pitch height) as in (3):

(2) HIERARCHY OF IMPORTANCE

a car > bought > the man

(3) HIERARCHY OF PROMINENCE

a car > the man> bought

Our task is to account for this discrepancy. In particular, why "bought", despite being as new as "a car", is less prominent; and even despite not being as old as "the man", is still less prominent. The relative "newness" of the verb does not match its relative prominence in the discourse[5].

Chafe (1970: 212) proposes that "new is a specification which may be added, not to a whole verb or noun, but to a particular semantic unit within a verb or noun." Therefore, it may be helpful to assume, following Jones and Jones (1979: 6) that the text consists of "degrees of significant discourse information".

I here argue that the significance of each information unit is dependent upon its contribution to discourse development. As a general tendency, I argue that participants (N's) tend to contribute more to the discourse than actions (V's). For, participants, being more concrete, tend to stand out more in the "landscape". And in these cases (i.e. where the nominal constituent contributes more to discourse development), the verbal constituent functions no more than a link, to

The Arab Journal For Arts Vol. 6 No. 2, 2009, pp. 75-93

Accentuation of Verbs: A Discourse Analysis

Rasheed Al-Jarrah *

Abstract

The tradition of the theory of information structure has focused upon one of the phrasal constituents, namely noun phrases. Prince (1981b: 235), for instance, argues in favor of dividing any text into three main components, namely: "DISCOURSE ENTITIES, ATTRIBUTES, and LINKS" (capitals in original), in which "all discourse entities," which are mainly the potential carriers of information, "are represented by NPs"[1]. The other parts of speech have almost been totally excluded from the investigation for no reasons other than unclarity and fuzziness of the subject matter (Finegan 1994: 206). This paper tries to investigate why the verb, in particular, fails to be the most prominent constituent in the discourse. Within the framework of this paper, it is argued that unlike verbal constituents, nominal constituents exhibit 'inherent properties', such as its definiteness and referentiality, which mark their information structure apart from the context (Finegan 1994: 206). At the discourse level, reference and word order contribute as well to this state of affairs. However, the information structure of the verb is, due to uncertainty of its definiteness status (Masica: 1986: 130), only determined by the context in which it occurs, and so it is stressed most of the time contrastively. Even when dividing the sentence, for example, into a 'theme' and a 'rheme' (Mathesius 1975), the verb is usually regarded as part of the rheme in which the noun phrase following it plays the highest degree of 'communicative dynamism' (Firbas 1966: 270), and thus, gets more prominence[2]. Our argument will make clear that it is never unusual for the verb to communicate the highest degree of communicative dynamism, and thus occupies the focal position in the discourse. If this is true, we then provide a uniform analysis where the same argument is applicable to both nominal and verbal constituents.

Introduction

In a sentence like (1) below, the lexical constituent *car* is most prominent due to the fact that it receives primary stress, whereas *man* and *bought* receive secondary and tertiary stress, respectively.

(1) the man bought a **car**

One straightforward explanation for the subject matter comes from the thematic theory (Mathesius 1975) in which each discourse unit is divided into a

---

* Language Center, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

assemblage de poutrelles, portant au milieu de leur dorure des améthystes et des topazes dans les noeuds du bois. Sur les deux grands côtés de l'appartement, s'allongeait un lit très bas fait de courroies blanches; et des cintres, pareils à des coquilles, s'ouvraient au-dessus, dans l'épaisseur de la muraille, laissant déborder quelque vêtement qui pendait jusqu'à terre.

10. *Salammbô, op. cit,* p. 44.

11. *Ibid*. p. 68.

12. *Ibid,* pp. 346-347.

13. *Ibid*. p. 46.

14. Victor Segalen, *op. cit*, p. 33

15. Michel de Certeau, *L’Ecriture de l’histoire*, Paris: Gallimard, 1978, p. 21.

16. Albert Thibaudet, *Gustave Flaubert*, Paris: Gallimard, 1935, p. 146.

Bibliographies

FLAUBERT Gustave, *Correspondance*. III, Paris: éd. Gallimard, coll. «Bibliothèque de la Pléiade», 1991.

FLAUBERT Gustave, *Salammbô*, Paris: éd. Gallimard, coll. «Folio», 1970.

Flaubert, *Correspondance*, t. III, Paris: Gallimard, Edition établie, présentée et annotée par Jean Bruneau.

JOURDA Pierre, *L'Exotisme dans la littérature française depuis Chateaubriand,* Paris: Montpellier, 1938-56, 2 vol.

LABOULAIS-LESAGE Isabelle, «Le voyage comme pratique documentaire», *Salammbô de Flaubert Histoire, fiction*, Paris: H. Champion, 1999, p. 37-48.

MATHE Roger, *L’exotisme*, Paris: Bordas, 1972.

Michel de Certeau, *L’Ecriture de l’histoire*, Paris: Gallimard, 1978.

Paul Robert, *Le Nouveau Petit Robert*: Dictionnaire alphabétique et analogique de la langue Française, Paris: le Robert, 2007.

Roger Mathé, *L’exotisme*, Paris: Bordas, 1972.

SELLIER Philippe, *L’Evasion*, Paris: Bordas,1971.

THIBAUDET Albert, *Gustave Flaubert*, Paris: Gallimard, 1935.

Victor Ségalen, *Essai sur l’exotisme*, Montpellier: Fata Morgana, 1978.

مفهوم الغرابة في رواية سالمبو لغوستاف فلوبير

محمد راضي، قسم اللغات واللغويات، كلية الآداب، جامعة الحسين بن طلال، معان، الأردن.

ملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة مفهوم الغرابة في رواية سالمبو للكاتب الفرنسي المعروف غوستاف فلوبير فقد تكرر هذا المفهوم بأشكال مختلفة، وألوان عديدة، حيث نلحظ أن الكاتب يحاول من خلال هذا العمل الهروب من واقعة، فيلجأ إلى الأدب وسيلة لتحقيق هذا الهدف زماناً ومكاناً، ويتضح معنى الغرابة من خلال طبيعة الموضوع في روايته الذي يروي حروب المرتزقة ضد مدينة قرطاج، ومن خلال تحديد المكان الذي تدور فيه أحداث الرواية، ونشير في هذا المقام إلى أن غوستاف فلوبير أراد من خلال هذا العمل أن يروي تخيلاته وهواجسه التي كان يحلم بها منذ زمن بعيد.

* **The paper was received on May 4, 2008 and accepted for publication on Sep. 3, 2008.**

Notes

1. Tous les articles constituant le dossier de la querelle est reproduit en appendice à l'édition du club de l'Honnête Homme de *Salammbô*, Paris, 1971.
2. Victor Ségalen, *Essai sur l'exotisme*, Montpellier: Fata Morgana, 1978, p. 20.
3. Paul Robert, *Le Nouveau Petit Robert*: Dictionnaire alphabétique et analogique de la langue Française, Paris: le Robert, 2007, p. 979.
4. Ibid.
5. Consulté le 27 mars 2008: http://www.universalis.fr/encyclopedie/G971401/EXOTISME.htm
6. Roger Mathé, *L'exotisme*, Paris: Bordas, 1972, p. 10.
7. FLAUBERT Gustave, *Salammbô*, Paris: éd. Gallimard, coll. «Folio», 1970, pp. 43-44. Au cours de notre étude, toute citation renverra à cette édition.
8. Ibid. p. 316.
9. Nous pouvons trouver cette idée, à la page 148 du roman, dans le passage suivant: Une lampe en forme de galère brûlait suspendue dans le lointain de la chambre; et trois rayons, qui s'échappaient de sa carène d'argent, tremblaient sur les hauts lambris, couverts d'une peinture rouge à bandes noires. Le plafond était un

Conclusions

Flaubert a voulu, dans *Salammbô*, coûte qui coûte entreprendre la résurrection de Carthage. En effet, pour lui, il importe moins de raconter l'ancienne civilisation punique que de permettre à ses rêves les plus fous de prendre corps dans l'œuvre. En se transportant par le rêve dans ce climat d'antiquité barbare et orientale, il se donne l'impression de vivre une vie, illusoire, et qui est celle de ses personnages. D'un point de vue symbolique,

Salammbô, si insolite en apparence et si détaché de la vie, esquisserait fort bien un de ces conflits monstrueux, et Carthage […] peut symboliser ici une des possibilités qui attendent la terre, parmi d'autres, entre lesquelles la volonté de l'homme choisira[16].

Au fond, n'a-t-il pas voulu par là présenter un miroir aux hommes ? Toutes ces horreurs et ces crimes représentés dans le roman sont en fait une déposition contre tous les hommes. Flaubert ne parvient pas à cacher son pessimisme, son dégoût pour l'humanité tout entière. Finalement, dans *Salammbô* il a mis tous ses rêves, tous ses désirs mais il y a déversé aussi son amertume. En ce sens, l'exotisme de Flaubert vaut comme un espace, un lieu sur lequel l'auteur projette l'étrangeté de ses phobies ou de ses fantasmes.

De même, l'évocation de lieux ou d'anecdotes associés à des époques révolues ou à des cultures éloignées ne produit en vérité que des "effets de réel" qui servent à renforcer cette impression de réalité. L'utilisation subtile des bruits, des couleurs, des odeurs, des termes exotiques sont autant de moyens qui visent à éveiller notre imagination et à établir une connivence de lecture à la faveur de laquelle l'auteur impose son monde cohérent et particulier.

Enfin, dans *Salammbô*, le temps historique se confond avec le temps romanesque qui se trouve souvent arrêté, suspendu, par une anecdote ou par une image exotique qui relativise l'action en manifestant un ailleurs à la fois spatial et temporel. Son exotisme se situe en effet dans le choix du sujet, du décor et dans la relation à l'espace et au temps.

signes du deuil, les Carthaginois enferment leur barbe dans un petit sac, attaché aux oreilles par deux cordes.

En bref, c'est dans la description des diverses coutumes et des mœurs antiques que la sensation d'exotisme est la plus patente. C'est véritablement là que le lecteur se trouve plongé dans un monde qui lui est totalement étranger, dans la mesure où «tout ce qui est en dehors de l'ensemble de nos faits de conscience actuels, quotidiens, tout ce qui n'est pas notre tonalité mentale coutumière»[14] est évoqué d'une façon nette par Flaubert.

L'étude analytique des mots utilisés par Flaubert dans *Salammbô* fait apparaître un vocabulaire très riche et exotique. Remarquons que les mots employés peuvent aussi bien appartenir au français qu'à un registre étranger: grec, latin ou phénicien par exemple. Ainsi, pour le terme "Syssites", il en donne immédiatement la définition: "compagnies de commerçants qui mangeaient en commun".

De même, le mot "Schalischim" ne serait pas compris du lecteur si Flaubert n'en donnait pas immédiatement la signification: "général en chef" des Barbares. Il arrive que Flaubert sorte du lexique français et fasse appel à un terme étranger pour désigner un concept déjà connu: la planète de Chabar est l'équivalent de la planète de Vénus, tibby et schebaz renvoient aux premiers mois de l'année: janvier et février; Melkarte, dieu des phéniciens est associé à Héraclès, une divinité grecque. Quelquefois Flaubert s'abstient d'expliquer certains mots, cela n'empêche pas pour autant de comprendre et de saisir le sens de la phrase. Cela est surtout valable pour les mesures de capacité, les noms de monnaie, et les mois dont le sens est indiqué par la phrase elle-même. Ainsi, quand nous retrouvons les expressions comme louer une maison douze késitah par mois ou un béka par lune, prêter quinze cents sicles, nous comprenons qu'il s'agit ici de monnaies ayant cours en Orient. Ainsi, nous saisissons le sens des expressions comme: «le septième jour du mois de Nyssan», «un matin du mois de Tammouz». Mais il existe certains mots pour lesquels Flaubert ne donne pas d'explication, qui se complait à laisser le lecteur dans le vague:

Le langage cité a ainsi pour rôle d'accréditer le discours: comme référentiel, il y introduit un effet de réel; et par effritement, il renvoie discrètement à une place d'autorité. […] Elle produit de la fiabilité[15].

Il ressort finalement que le lexique flaubertien est très divers et très exotique. Les mots techniques se comprennent grâce à la définition immédiate qui suit ou à la description de l'objet.

montre un exotisme cosmopolite des races, des vêtements, des mœurs; les soldats sont composés par des «hommes de toutes les nations; des Lusitaniens, des Ligures, des Baléares, des Nègres …»[10]. Partout, ce sont des «visages noircis, des cris rauques, des barbes épaisses, des membres nus, effrayants comme des machines de guerre»[11].

Ce roman oriental est aussi le lieu de rencontre de toutes les races, de tous les cultes. Les personnages sont capables des actions les plus audacieuses et les plus extravagantes qui sont dignes de l'épopée. Chaque race possède une ou plusieurs particularités qui la distinguent des autres; ce peut être dans les mœurs, les vêtements ou le physique. Le passage qui suit illustre bien cela:

...les Zuaèces, couverts de plumes d'autruche, étaient venus sur des quadriges; les Garamantes, masqués d'un voile noir, assis en arrière sur leurs cavales peintes; d'autres sur des ânes, sur des onagres, sur des zèbres, sur des buffles; et quelques-uns traînaient avec leurs familles et leurs idoles le toit de leur cabane en forme de chaloupe. Il y avait des Ammoniens aux membres ridés par l'eau chaude des fontaines; des Atarantes, qui maudissent le soleil; des Troglodytes, qui enterrent en riant leurs morts sous des branches d'arbres; et les hideux Auséens, qui mangent des sauterelles; les Achyrmachides, qui mangent des poux, et les Gysantes, peints de vermillon, qui mangent des singes[12].

Dans *Salammbô* abonde un vocabulaire propre aux aliments, que l'on retrouve surtout dans les scènes décrivant des orgies ou des festins. En décrivant les Barbares en train de manger, l'écrivain souligne l'hétérogénéité des Mercenaires au sein de cette ville.

La surprise des nourritures nouvelles excitait la cupidité des estomacs […] Les Gaulois aux longs cheveux retroussés sur le sommet de la tête, s'arrachaient les pastèques et les limons qu'ils croquaient avec l'écorce. Des Nègres n'ayant jamais vu de langoustes se déchiraient le visage à leurs piquants rouges[13].

Flaubert décrit les habitudes alimentaires étranges et insolites de certains peuples: les Auséens mangent des sauterelles, les Achyrmachides mangent des poux, les Gysantes mangent des singes, qui sont autant des détails insolites pour le lecteur. Ce dernier mentionne aussi certains traits de mœurs, des superstitions et des croyances diverses qui caractérisent ce peuple oriental. Ainsi, les rites funéraires, par exemple, varient d'un peuple à l'autre. Certains pratiquent l'incinération, d'autres inhument leurs morts au bord de la mer afin qu'ils soient perpétuellement arrosés par les flots, les Troglodytes, eux, enterrent leurs morts en riant, sous les arbres. Pour pleurer leurs morts, les Barbares se tirent du sang, se font des entailles à l'imitation des blessures qui défigurent leurs morts. En

à Salammbô, la jeune princesse, qu'il voudrait vivre avec elle dans «une île couverte de poudre d'or, de verdure et d'oiseaux. Sur les montagnes, de grandes fleurs pleines de parfums qui fument se balancent comme d'éternels encensoirs; dans les citronniers plus hauts que des cèdres, des serpents couleur de lait font avec les diamants de leur gueule tomber les fruits sur le gazon…»[8]

Comme nous venons de le voir, les paysages naturels de *Salammbô* peuvent tantôt revêtir un exotisme pittoresque avec une nature abondante et douce, tantôt un exotisme sensuel qui évoque une atmosphère de volupté tendre ou de sensualité exacerbée. Enfin, le fantastique trouve aussi sa place par la description de paysages étranges, vaguement monstrueux.

De même, les décors de *Salammbô* sont très divers. Les différents éléments qui le composent, l'atmosphère particulière qui émane des lieux font que l'exotisme flaubertien peut aller du simple pittoresque au fantastique, il se teinte volontiers d'une touche de sensualité et d'exotisme dans certains décors. Dans la chambre, les différents objets féminins épars à travers la pièce donnent l'impression d'un désordre discret qui trouble Mathô. Chez la fille d'Hamilcar, l'exotisme est dans la forme des objets [9]: la lampe est en forme de galère, les cintres sont pareils à des coquilles et la jeune fille dort dans un lit suspendu. Les pantoufles en peau de serpent, le lit en peau de bœuf suggère un exotisme dans la matière même des objets. Dans l'appartement de la fille d'Hamilcar règne une profusion d'objets comme les coussins de pourpre, les étrilles d'écaille, les coffrets de cèdre, les spatules d'ivoire.

Ainsi, dans certains décors, la nature peut revêtir un aspect insolite. Dans les jardins d'Hamilcar, le sentier est parsemé de sable noir mélangé à de la poudre de corail, dans ceux de Salammbô, la terre est couleur d'azur, ailleurs elle est couverte de poudre d'or. Cet abus d'artifice au sein d'une nature luxuriante prête au paysage un air sophistiqué et un peu artificiel.

Dans cette description de l'Orient flaubertien, les effets visuels et sonores sont importants. En effet, les couleurs et la lumière donnent au paysage oriental une tonalité particulière, les sons et les bruits qui animent le paysage contribuent aussi à donner à celui-ci ses particularités. Flaubert abuse de couleurs en attribuant aux choses des teintes, des coloris étranges, irréels: le fleuve est en couleur de lait, les montagnes sont de cristal, les brouillards de sang ou d'argent. Le lecteur est plongé dans un univers aux couleurs insolites, froides et métalliques comme ces mers de bronze ou d'argent, et qui, à la limite, laissent une impression de malaise.

Le thème de l'exotisme est présent tout au long du roman. Nous le rencontrons dans la description de la foule des Barbares. En effet, celle-ci

d’éloignement s’ajoute l’attirance pour tout ce qui a trait aux civilisations lointaines et étrangères.

Donc, l’exotisme, vu sous son aspect littéraire consiste à décrire dans une œuvre d’art les mœurs, les us et les coutumes d’une civilisation étrangère qui se caractérise aussi par sa façon de voir les choses, ses habitudes alimentaires, ses modes vestimentaires. L’écrivain s’efforcera de faire ressortir les différences afin de mettre en valeur les éléments qui sont étrangers à la civilisation occidentale. Cette attitude de l’écrivain n’est pas arbitraire car il ne s’agit pas d’une description sèche et impersonnelle; une œuvre d’art est exotique «non seulement à cause de la seule présence d’éléments étrangers […], mais lorsqu’elle est inspirée par les émotions provoquées par l’évocation de pays étrangers ou par leur contact en particulier par certains pays de l'Orient ou du Midi»[5].

Le but n’est pas tant de tenir au courant le lecteur de ce qui se passe au-delà des frontières, mais de créer en lui des émotions, des sentiments suscités par l’évocation de ces pays lointains. La définition que donne Roger Mathé est encore plus explicite: «L’exotisme c’est à la fois le caractère de ce qui est étranger et le goût de tout ce qui possède un tel caractère»[6]. Finalement, ces différentes définitions se recoupent entre elles. La notion d’exotisme évoque l’idée de pittoresque, de la recherche de la couleur locale et de l’évasion.

Développement

Ce thème se présente dans le roman carthaginois sous différents aspects. Ainsi, dès le début du roman, *Salammbô* s’ouvre sur une description magistrale des jardins d’Hamilcar. Flaubert y peint une nature luxuriante; il nous y brosse un tableau riche en couleurs, qu’il enrichit de nombreux motifs exotiques.

Des figuiers entouraient les cuisines; un bois de sycomores se prolongeait jusqu'à des masses de verdure, où des grenades resplendissaient parmi les touffes blanches des cotonniers; des vignes, chargées de grappes, montaient dans le branchage des pins: un champ de roses s'épanouissait sous des platanes; de place en place sur des gazons, se balançaient des lis; un sable noir, mêlé à de la poudre de corail, parsemait les sentiers, et, au milieu, l'avenue des cyprès faisait d'un bout à l'autre comme une double colonnade d'obélisques verts[7].

Ainsi, les nombreuses plantes aux noms rares comme les canéficiers, les asclépias, les oiseaux comme les galéoles à collier, les cailles de Tartessus et les pintades puniques donnent une touche exotique à l’ensemble du tableau. Cet exotisme pittoresque cède la place à l’exotisme sensuel et au fantastique à partir du moment où Flaubert laisse vagabonder l’imagination de ses personnages et les prête aux rêves les plus extravagants. Mathô, emporté par son amour, déclare

manière ou d'une autre, la classification de *Salammbô* nous importe peu. Ce qui nous intéresse ici, ce sont les différents aspects exotiques de l'œuvre. En effet, l'exotisme a contribué à enrichir les aspects littéraires du romantisme. Flaubert, justement, a été fortement imprégné par ce mouvement; ses écrits de jeunesse comme *Smarh*, *Novembre*, l'attestent. Nous retrouvons aussi les autres formes de l'évasion, chez Flaubert: l'Art, les voyages, l'amour. Mais ces différents thèmes, qui sont d'ailleurs présents dans l'œuvre, nous les traiterons en relation avec l'exotisme – le thème dominant – qui nous a paru illustrer le plus la volonté désespérée de Flaubert de s'échapper du réel, de s'évader hors des contingences matérielles.

Définitions

L'étude du thème littéraire de l'exotisme à travers *Salammbô* s'impose parce que ce roman illustre la tentative de Flaubert de s'évader hors de la réalité. Mais avant de commencer notre étude proprement dite, nous nous trouvons obligés de donner une définition opérationnelle de l'exotisme sans laquelle il serait impossible de traiter efficacement notre sujet.

L'exotisme recouvre un domaine très vaste. Au fil des siècles, cette notion a subi des avatars; elle a été utilisée dans le domaine littéraire à des fins différentes, et les buts que les écrivains se proposaient d'atteindre ont varié d'une époque à l'autre. Au XIXe siècle, la documentation, le voyage, l'amour de l'Orient et la faillite des valeurs de la civilisation occidentale était parmi les raisons qui ont poussé beaucoup de romantiques à entreprendre tels sujets.

Nous allons voir les différentes définitions de cette notion et les formes essentielles sous lesquelles peut se présenter ce concept. Nous nous accorderons d'abord à garder ici au mot «exotisme» son sens habituel: l'exotisme consiste à «prendre l'étranger (spécialement ce qui est fort loin) comme sujet d'une œuvre littéraire», "l'étranger" s'identifiant à ce qui est irréductiblement "autre": «Tout ce qui est en dehors de l'ensemble de nos faits de conscience actuels, quotidiens, tout ce qui n'est pas notre "tonalité mentale" coutumière»[2].

En effet, le sens exotique a été toujours présent chez l'homme, curieux de dépasser l'horizon qui lui est familier. Selon le dictionnaire *le Nouveau Petit Robert*, l'adjectif «exotique» voit son apparition en 1548, il dérive du latin «exoticus» et du grec «exôtikos» qui signifie «étranger»[3]. Par contre, le substantif «exotisme» n'est utilisé qu'à partir de 1845, époque à laquelle le terme a été définitivement adopté. Le *Nouveau Petit Robert de la langue française* entend par «exotique» ce qui n'appartient pas aux civilisations de l'Occident ou qui provient des pays lointains et chauds[4]. À l'idée d'évocation

Le thème de l’exotisme dans Salammbô de Gustave Flaubert

Mohammad Radi *

Abstract

This paper aims at examining the exotic aspects of *Salammbo*. This theme appears in the Carthaginians novel in different ways. Indeed, this novel illustrates Flaubert'attempt to escape from reality. His refusal of the latter leads him therefore to seek refuge in literature, to escape in time and space. In this sense, the exoticism of Flaubert is represented in space, a place where the author projects the strangeness of his phobias or fantasies. His exoticism is thus in the choice of subject, setting and relationship to space and time.

Introduction

Le XIXe siècle connut de grands progrès dans le domaine scientifique et industriel, ainsi qu’un essor économique sans précédent pour la France. Ce siècle fut l’âge d’or de la Bourgeoisie. Dans le milieu littéraire, les écrivains, pour la majorité, proviennent d’un milieu plus ou moins aisé. Nombre d’entre eux sont issus de la souche bourgeoise et jouissent d’une certaine aisance pécuniaire. Mais, nul n’ignore que le XIXe siècle fut marqué par une maladie morale; le fameux «mal du siècle», qui a affecté la plupart des âmes romantiques, souvent en proie à des sentiments mélancoliques. Celui-ci se reflète dans la plupart des écrits de l’époque: le pessimisme, le dégoût précoce des choses envahissent les œuvres littéraires, l’ennui, tel un fleuve, circule dans les romans. Pour échapper à cette sensation d’étouffement qui l’accable, l’écrivain ressent désespérément le besoin de s’évader. Beaucoup ont trouvé des moyens d’évasion dans l’Art, les voyages, l’amour, l’exotisme, la drogue aussi.

Flaubert a éprouvé d’une façon particulière ce besoin d’évasion, d’un au-delà. Personne n’a ressenti comme lui le désir impérieux de s’échapper d’une réalité qu’il jugeait mesquine et contraignante. Ce qui frappe le plus dans les lettres échangées avec ses intimes et ses proches, c’est son dégoût de l’existence, l’ennui qui pèse sur sa vie et qui reviennent sans cesse comme une litanie.

Salammbô a été l’objet de diverses polémiques[1], quant au genre qu’il faut lui attribuer. Certains ont vu dans cette œuvre un roman historique et ont discuté sa valeur archéologique. D’autres la considèrent comme une épopée, moins nombreux sont ceux qui voient en elle un roman psychologique. Mais d’une

* Department of Languages and linguistics, College of Arts, Al-Hussein Bin Talal University, Ma'an, Jordan.

Table of Contents

Articles in French

Articles in English

Articles in Arabic

- *AARUJA* does not pay remuneration for the articles published therein
- One copy of the issue in which the manuscript is published well be sent free of charge to the sole or principal author of the published manuscript.
- Manuscripts should be addressed to:

Secretary General
The Society of Arab Universities Faculties of Arts and Humanities Sciences
Editor – in –Chief
Association of Arab Universities Journal for Arts
Yarmouk University , Irbid , Jordan.
Tel . 00962 2 7211111
Fax. 00962 2 7211137
E-mail:saufa@yu.edu.jo
Website :http://saufa.yu.edu.jo

Documentation

References in the text are serially numbered between brackets ( ) .

References at the end of the article shall be as follows in case the source or reference work is a book:

The author’s full name: source or reference work , part, number, publisher, place of publication , year, page(s).

e.g. Dayf, Shawqi : *The First Abbasid Period* ,Dar al- Maarif , Egypt,1966,.24.

In case where a periodical or a journal is consulted , referral thereto shall be as follows :

The author’s full name, source or reference work, *name of periodical or journal*, volume number, year, page.

e.g. Sa’aydan , Ahmad Saleem :" On Arabicization of Sciences". *Jordanian Arabic Language Academy Journal,* Volume I .No 2 July 1978,p.101.

References should be listed in the bibliography at the end of the manuscript in alphabetical order of authors’ surname, beginning with Arabic references, then foreign ones.

Subscription Information

Annual subscription rates in Jordan: individuals (JD 3.00), institutions (JD 5.00); outside Jordan: individuals (US $ 7.00), institutions (US $ 10.00) or equivalent.

Association of Arab Universities Journal for Arts and Humanities Sciences

A Biannual Refereed Academic Journal

Association of Arab Universities Journal for Arts and Humanities Sciences (*AARUJA*) is a biannual refereed academic journal published by the Society of Arab Universities Faculties of Arts at Universities members of the Association of Arab Universities.

Notes to Contributors

Language

AARUJA's Articles are published in Arabic together with their abstracts in English. Manuscript, however, may be published in any other printable language.

Rules Regulating the Journal

- Manuscripts should be submitted in Arabic together with an English abstract. However, submission in either English ,French, or any other printable foreign language, with an Arabic abstract, is subject to approval by the Editorial Board
- *AARUJA* publishes genuinely original articles characterized by clear academic methodology, comprehensiveness, and thorough investigation; where exact referencing is made to sources and reference works, and the article has not been previously published anywhere else. A specialized criticism or review of an academic work published in the Arab world or abroad as well as reports on specialized Arab or inter- national symposiums and conferences may be published. Manuscripts accepted for publication in *AARUJA* are approved for academic promotion
- *AARUJA* publishes academic articles in the fields of arts, languages, social and human sciences, social service, journalism and mass communication
- Manuscripts should be computer-typed and double spaced. Four copies are to be submitted together with a floppy disk congruent with IBM (Ms Word)
- Manuscripts including figures, drawings, tables and appendixes shall not exceed thirty pages
- Manuscripts submitted for publication in *AARUJA* shall be sent, if initially accepted, to at least two specialist referees, who are chosen with absolute confidentiality by the Editor –in –Chief
- *AARUJA* reserves its right to ask the author to omit, reformulate, or reword his/her manuscript or any part thereof in a manner that conforms to the publication policy
- Copyright pertinent to the manuscript accepted for publication shall be transferred to *AARUJA*.

Typesetting and Layout
Majdi Al-Shannaq

ISSN 1818-9849



Association of Arab Universities



The Society of Arab Universities Faculties of Arts

Association of Arab Universities Journal for Arts and Humanities Sciences

A Biannual Refereed Academic Journal

Published by The Society of Arab Universities Faculties of Arts at Universities Members of AARU

Vol. 6 **No. 2** **1430/2009**